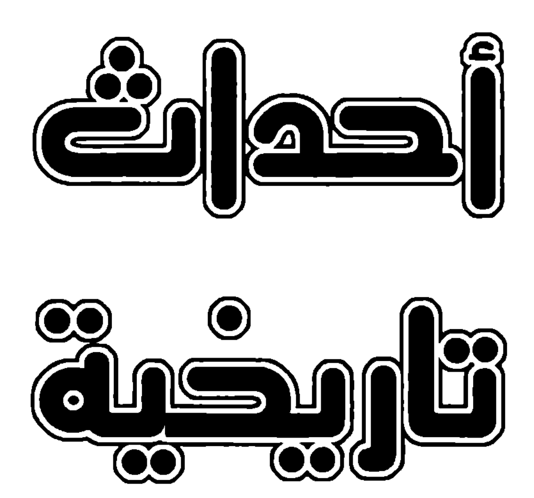
أحداث تاريخية
غيرت مجرى العالم

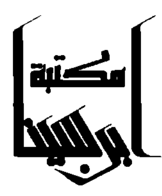
علي الجوهري





غيرت مجرى العالم

على الجوهرى





للطبع والنشر والتوزيع

٧٦ شارع محمد فريد - النزهة - مصر الجديدة - القاهرة
☎ ٦٣٧٩٨٦٣ - ٦٣٨٩٣٧٢ ف: ٦٣٨٠٤٨٣

اسم الكتاب
أحداث تاريخية غيرت مجرى العالم

اسم المؤلف
على الجوهرى

تصميم الغلاف
إبراهيم محمد

رقم الإيداع
٢٠٠٤/١٩٩٣٥
977 - 271 - 711 - 5

تطلب جميع مطبوعاتنا من وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية
مكتبة الساعى للنشر والتوزيع
ص. ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٣٣ - هاتف: ٤٢٥٣٧٦٨ - ٤٣٥١٩٦٦ فاكس: ٤٣٥٥٩٤٥
جدة - هاتف: ٦٥٣٢٠٨٩ - ٦٥٢٤٠٩٥ فاكس: ٦٥٢٤١٨٩

طبع بمطابع العبور الحديثة بالقاهرة ت: ٦١٠١٠١٣ فاكس: ٦١٠١٥٩٩

Web site : www.ibnsina-eg.com E-mail : info@ibnsina-eg.com

مقدمة

التاريخ .. سجل الحياة ووقائعها ..

وصف لأحداثها ، وما جرى فيها .. وهو كثير .

ما من يوم يمر إلا ويحمل بين طياته العديد من الأحداث ، وهذا ما يصوره الشاعر فى قوله :

والليالى من الزمان حبالى .. يلدن كل عجيبة

تلك الأحداث التى تتفاوت من حيث أهميتها وجسامتها وتأثيرها .. وفى هذا الكتاب اخترنا بعضا من الأحداث التى أثرت بطريق مباشر وغير مباشر ، فى مجرى الحياة .. فقامت بسببها الحروب ، وانقسمت دول ، واتحدت دول أخرى ..

علق عظماء فى أحبال المشانق وقفز صعاليك إلى سدة الحكم .. بادت ممالك وسادت أخرى ..

إمبراطوريات أفل نجمها ، وأخرى سطع نجمها وبسطت نفوذها ..

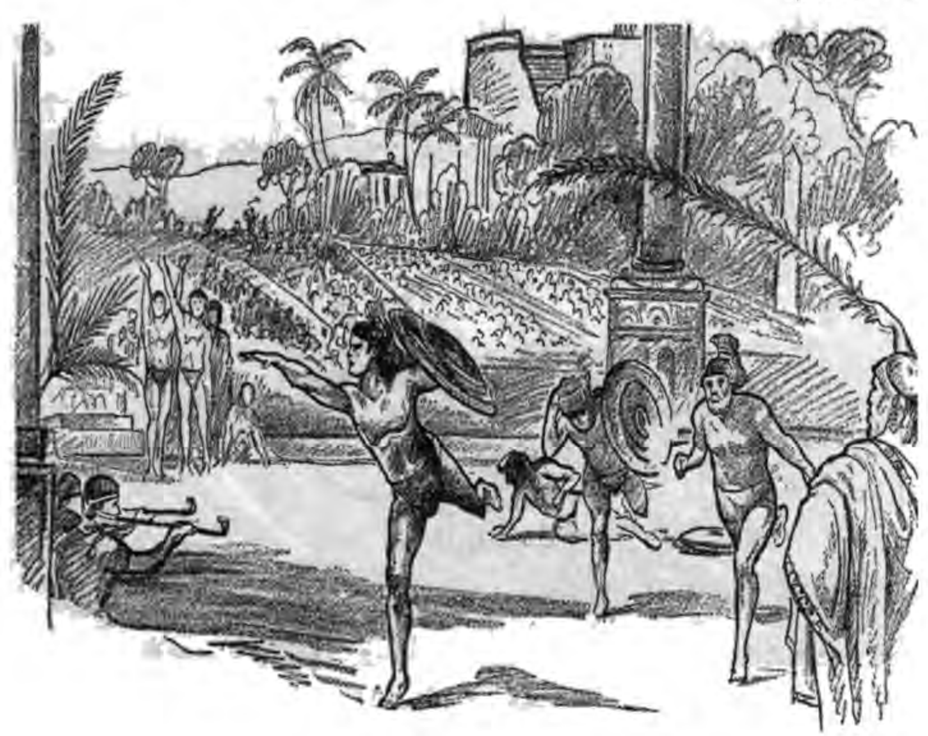
وهكذا الحياة لا استقرار لأحداثها فهى لا تدوم لأحد ، وإنما هى دُول ترفع أقواما وتضع آخرين ..

وإذا كان هذا الكتاب يسجل الأحداث والوقائع، فإنما هو فى الوقت ذاته يعطى بعض العبر للعالمين .. فهل من متعظ ؟!

1- الألعاب الأوليمبية الأولى (776 ق.م)

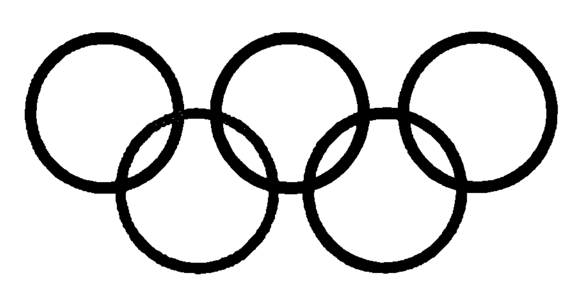
The First Olympic Games (776 B.C)

كانت الحروب قد فككت أوصال بلاد اليونان القديمة ، وكانت أسباب النزاع والقتال بينهما كالوباء الذى ينتزع الأرواح من الأبدان . وتوسل ملك المملكة الإيلية إلى مستشاريه المقربين طلبا للمساعدة فى درء خطر كان يوشك أن يقضى على مملكته ، فأخبروه أنه لا نجاة من ذلك الخطر الوشيك إلاعندما يستعيد الملك إحياء الأعياد والعادات الشعبية القديمة بكل ما كان يتخللها من مسابقات رياضية بعد أن كان الناس قد هجروها ، وتلاشى بينهم حرصهم عليها . وبناء على ذلك بدأ الإيليون ، ومعهم البسانيون فى إحياء ذكرى هذه الأعياد ذات المحتوى الرياضى كل أربعة أعوام فى بلدة «أوليمبيا Olympia» وهى مدينة فى غربى مملكة «البيلوبونيز Peloponnesia» ، وسرعان ما شاركهم فى هذه الألعاب الرياضية أهالى «إسبرطة Sparta» ، ولم يمض وقت طويل حتى كانت كل بلاد اليونان تشارك باستمرار فى هذه الألعاب .



وكانت تعلن الهدنة ويتوقف القتال بين الممالك المتحاربة فى بلاد اليونان أثناء انعقاد مسابقات الألعاب الأوليمبية . وكان المتسابقون يتم فحصهم واختبار مدى صلاحية كل منهم للمشاركة فى هذه الألعاب ، وذلك فى الملعب الرئيسى الموجود فى المملكة الإيلية ، كما كان المتسابقون يمارسون التدريب لمدة عشرة أشهر . وكانت المسابقات تجرى فى ألعاب اختراق الضاحية أو المصارعة ، أو الملاكمة أو سباق المركبات أو المبارزة . وكانت المسابقات تستمر لمدة خمسة أيام . وكان الفائزون يتم الاحتفال بفوزهم احتفالا بالغ الروعة ، كما كانوا يتسلمون الجوائز القيمة الكبيرة . ويظهر لنا اسم «كوريوبوس Coroebus» فى عام (776 ق.م) باعتبار أنه هو الفائز فى سباق اختراق الضاحية فى أول دورة أوليمبية من بين المتسابقين الإيليين. ولقد ظلت بلاد اليونان تشهد الاحتفال بمسابقات الألعاب الأوليمبية كل أربعة أعوام طوال اثنى عشر قرنا من الزمان حتى أوقفها الإمبراطور الرومانى المسيحى ثيودوسيوس Theodosius بمرسوم فى عام (393 ق.م) .

ولقد كانت الألعاب الأوليمبية بمثابة رابطة قوية تربط بين الممالك الصغيرة العديدة . وكانت هذه الألعاب ذات أثر كبير فى صهر وتشكيل الطابع القومى اليونانى وإبراز نمط الجمال والاتساق البدنى للجسم الإنسانى ، وهو الاتساق الذى تظهر آثاره بوضوح فى الفن اليونانى القديم . ولقد بدأ إحياء الألعاب الأوليمبية فى العصر الحديث فى عام (1896م) . ومنذ ذلك العام ظلت هذه الألعاب الأوليمبية تجرى مسابقاتها بانتظام كل أربعة أعوام فى مختلف أقطار العالم باستثناء سنوات الحرب العالمية.



شعار الدورة الأولمبية

يتكون رمز الأولمبياد من خمس دوائر متداخلة ، ألوانها : الأحمر ، والأخضر ، والأسود ، والأصفر ، والأزرق . وتمثل هذه الدوائر القارات الخمس : إفريقيا، وآسيا ، واستراليا ، وأوربا ، والأمريكتين (الشمالية – والجنوبية) ..

حفل الافتتاح :

عادة ما يكون حفل افتتاح الدورات الأولمبية غاية فى الروعة والإتقان ، ويرجع ذلك إلى حرص الدولة المضيفة على الظهور أمام العالم بصورة مشرفة من خلال حفل الافتتاح ، وقد ساعد علي ذلك التقنيات الحديثة التى سهلت نقل وقائع هذه الدورات إلى كل بقاع العالم من خلال البث المباشر عبر الفضائيات وغيرها .

دخول الرياضيين المشاركين :

تعتبر دورة الألعاب الأولمبية أهم دورات الألعاب الرياضية في العالم ، فهي لاتقتصر علي لعبة واحدة ، بل تضم العديد من الألعاب الرياضية الجماعية والفردية ، ويشارك فيها الآلاف من أفضل الرياضيين في العالم .

وعند الافتتاح يتقدم الرياضيون اليونانيون أولاً ، وذلك تكريما لليونان صاحبة الفكرة منذ القدم ، وعلى أرضها أقيمت أول الدورات الأولمبية .

ثم يتبع ذلك دخول الرياضيين من الدول الأخرى حسب الترتيب الأبجدى لهذه الدولة فى لغة الدولة المضيفة .



حفل افتتاح إحدى الدورات الأولمبية

2- تأسيس رومولوس لمدينة روما (753-716 ق.م)

***The Founding Of Rome** By Romulus (753-716 B.C)*

تحيط أساطير كثيرة بشأن تأسيس الحضارة الرومانية . وكل ما نعرفه هو أن شبه الجزيرة الإيطالية كانت تقتطنها قبائل كثيرة مثل قبائل السابينيين Sabines والإتروسكانيين Etroscans والإمبرانيين Embrians والألبانيينAlbanians وغيرهم،.. واستقر أبناء هذه القبائل ، بالإضافة إلى الغزاة الشماليين ، بالتدريج فوق التلال السبعة المحيطة بمصب نهر «التيبر» «The Tiber River» .

ومن المؤكد أن مدينة روما لم يتم بناؤها فى يوم وليلة . والأسطورة الشائعة عن تأسيس روما تتعلق بكل من : «رومولوس Romulus» وتوأمه «ريموس Remus» وهما أميران قدما إلى ذلك المكان من «ألبا Alba» ، حيث كانت جماعة بشرية قوية الشكيمة تقيم إلى الجنوب من مدينة روما فى حوض نهر التيبر وتطل عليها تلال شاطئ البلاتين . ولقد كان هذان الأميران يرضعان فى طفولتهما الأولى اللبن من ثدى إحدى الذئاب ثم أشرف على رعاية كل منهما أحد رعاة الأغنام .



الذئبة رمز روما ، وهي التي أرضعت رمولوس وريموس ، كما تروى الأسطورة الشهيرة

وعندما شب رومولوس عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال اختاره السكان ليكون ملكا عليهم وشرع فى بناء مدينة روما . ولقد كان رومولوس ملكا قوياً ، حكيما بارعا . واستطاع أن

يهزم القبائل التى كانت تعيش فى الأماكن المجاورة لمدينة روما مما جعل شعب مدينة روما يعرف قيمة البراعة فى استخدام السيوف . وهكذا بدأ نظام الحياة العسكرى الطابع الذى أتاح لأهل مدينة روما أن ينتصروا على كل من القرطاجيين واليونان .

روما عبر التاريخ :

أسس الشقيقان التوأم : رومولوس وريموس مدينة روما على تل يشرف على نهر التيبر ، ويبدو بالفعل أن أقدم سكان تلك المنطقة عاشوا هناك قبل ميلاد المسيح بنحو ألف عام ، وكان اسمهم اللاتين .. وقد انتشروا فى المناطق المجاورة لروما ، وكونوا إقليما يعرف باسم إقليم لاتيوم .. فى حوالى عام 600 ق . م ، خضعت روما وإقليم لاتيوم لحكم الاترسكبين الذين كانوا يعيشون فى شمال ايطاليا ، ونظراً لما كانوا عليه من حضارة ورقى فى ذلك العهد ، فقد عمدوا إلى تطوير روما ، وتحولت إلى مدينة عظمى ، حتى كان عام 509 ق.م تمكن أهلها من التخلص من الحكم وبدأت روما فى التوسع على حساب جيرانها ، حتى تمكنت من السيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية خلال القرن الثالث قبل الميلاد ، وعمدت إلى تأسيس مستعمرات لها خارج تلك الحدود، وخلال القرون التالية امتدت تلك المستعمرات من بريطانيا شمالاً وحتى بلاد النوبة جنوباً ..

وعلى الرغم مما جنبه هذا التوسع على الرومان من خبرات كثيرة ، إلا أنه أجج الفتن والصراعات بين حكام الأقاليم والمستعمرات ، مما أدى إلى انهيار الحكم الجمهورى وقيام الحكم الملكى عام 27 ق.م .

وخلال القرنين الأول والثانى الميلاديين وصلت روما إلى قمة قوتها وذروة اتساعها ومجدها ، وانتشرت المسيحية بين ربوعها .. إلا أن دعوة المسيحية للمحبة والسلام اصطدمت بأطماع وقسوة الأباطرة والحكام ، ولذا عانى المسيحيون فى بداية أمرهم ، من اضطهاد الحكام .. وعلى الرغم من ذلك أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للامبراطورية ، وأصبحت روما نفسها مركزاً للكنيسة الكاثوليكية .

انقسام الإمبراطورية :

في عام 395 م انقسمت روما إلى إمبراطوريتين :

* الإمبراطورية الشرقية (البيزنطية) ، وعاصمتها بيزنطة (القسطنطينية) ، واستمرت هذه الإمبراطورية حتى كانت نهايتها على يد العثمانيين عام 1453 م .

* الامبراطورية الغربية ، وعاصمتها روما . وقد سقطت فى يد القبائل الجرمانية عام 476 م .

3- معركة الماراثون (490 ق.م)

The Battle Of Marathon (490 B.C)

منذ خمسة وعشرين قرناً ثار الأيونيون الذين كانوا يعيشون حول مدينة أثينا ضد سادتهم من الفرس ، وساعد الأثينيون والإترانيون جيرانهم الأيونيين ، ولكن مساعدتهم لم تكن ذات جدوى . وبعد أن أخمد الفرس الثورة ، وتغلبوا عليها ، أمر «داريوس» إمبراطور الفرس قادة الجيش الفارسى أن يستعبدوا أهل أيونيا ، وأهل أثينا . لقد تمكن الفرس من هزيمة أيونيا والتغلب عليها ، وشرعوا فى التفكير فى قتال الأثينيين الذين كانوا يساعدون أيونيا ، واتخذ الجيش الفارسى موقعا لبدأ الهجوم ضد أثينا عند مشارف وادى ماراثون بالقرب من ساحل البحر على مقربة من أثينا .



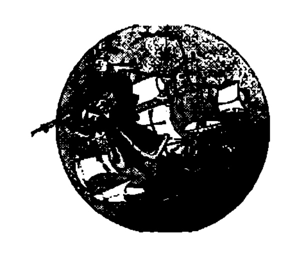
ولكن اليونانيين لم يركنوا أبدا إلى الاستسلام . كان «ميلتيادس Miltiades» قائد جيش اليونان مطمئنا إلى حماية سلسلة من الجبال لأحد جوانب جبهة جيشه ، وقام بعمل هجوم سريع على سفوح التلال المواجهة للبحر ، وسحقت قوة الفرسان لأجنحة جيشه مشاة الجيش الفارسى وأطاحت بصفوفهم واضطرتهم إلى التراجع نحو البحر . وقتل اليونانيون قائد الجيش الفارسى . وعندما اكتمل النصر لليونان عاد الأثينيون إلى مدينتهم وكانوا على أتم الاستعداد للقضاء على أى هجوم آخر للفرس .

ولقد ظلت معركة ماراثون معركة هامة ، حاسمة يشار إليها فى تاريخ العالم ، حيث إنها قد وضعت حدا لأطماع التوسع الفارسى غربا فى أعماق جنوب أوروبا.

ومباريات الماراثون التى لا تزال تمارس حتى الآن ، وهى مباريات فى الجرى لمسافات طويلة ، قد اكتسبت تسميتها من حقيقة أن «فيديبيدس Pheidippides» ، وهو أحد أبطال العدو لمسافات طويلة ، كان قد شرع فى الجرى لكى يسبق الجيش اليونانى المنتصر ، ليحمل خبر الانتصار اليونانى على جيش الفرس إلى العاصمة .

وقد جرى لمسافة 22 ميلا بين ماراثون والعاصمة أثينا ، ثم سقط على الأرض يلتقط أنفاسه الأخيرة ويقول وهو متقطع الأنفاس وقد تملك منه الإجهاد والضعف: «أبشروا .. وابتهجوا .. لقد انتصرنا على ...»

وكلمة «ماراثون» فى عصرنا الحاضر تشير إلى سباق للجرى لمسافة تبلغ 42.2 كيلو متراً ، ويطلق عليه أحياناً سباق اختراق الضاحية ، وأصبح هذا السباق ضمن الألعاب الأولمبية منذ عام 1896م .



4- معركة ثرموبيلاى (480ق.م)

The Battle Of Thermopylae (480 B.C)

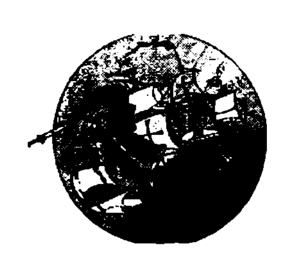
على الرغم من هزيمتهم فى معركة ماراثون ، إلا أن الفرس لم يتوقفوا عن محاولتهم ورغبتهم العارمة فى معاقبة وكبح جماح اليونان لإجبارهم على الخضوع للسيطرة الفارسية . ولقد تسببت ثورة المصريين ضد الفرس فى مصر بالإضافة إلى وفاة «دارا Darius» ملك الفرس القوى الشكيمة ، فى تأخير الهجوم الفارسى لتأديب بلاد اليونان التى ظلت تقاوم السيطرة الفارسية لمدة عشر سنوات ، ولكن فى عام (480 ق.م) قاد ملك الفرس «إكسيركسيس Xerxes» الذى اعتلى العرش الفارسى بعد وفاة «دارا» جيشا قيل إن عدده كان يصل إلى (3.000.000) محارب ، وعبر على رأس ذلك الجيش الضخم مضيق الدردنيل عند «هيلسبونت Hellespont» ، وهكذا عاد الفرس ليكونوا ضيوفا غير مرغوب فى قدومهم إلى جنوب أوربا .



وإزاء ذلك الهجوم الفارسى الضخم فى حجمه ، قاد «ليونيداس Leonidas» الإسبرطى جيشا مؤلفا من أربعة آلاف مقاتل فقط ، وسار بهم حتى وصلوا إلى سلسلة جبال «تيسالى Thessaly» التى كانت تفصل بين مملكة مقدونيا وبين ممالك جنوبى بلاد اليونان . وفى مكان كان يطلق عليه اسم «ثرموبيلاى Thermpylae» لوجود عيون مائية فى الممر الجبلى الذى كان يحمل ذلك الاسم أقام اليونانيون تحصيناتهم واستعدوا للتضحية بأرواحهم دفاعاً عن أوطانهم . وعلى الرغم من عدم التكافؤ من حيث العدد إلا أن المدافعين مع قلة عددهم استطاعوا طوال يومين من القتال أن يغلقوا تماما طريق تقدم الجيش الفارسى الضخم .

وفى اليوم الثالث من أيام القتال ، وبسبب الخيانة تم إرشاد الجيش الفارسى إلى ممر يقع خلف خطوط الجيش اليونانى . وصمد ثلاثمائة من خيرة المقاتلين الإسبارطيين وهم تحت حصار الجيش الفارسى الضخم وقاتلوا حتى النفس الأخير حتى تم سحق ليونيداس ، وكل من بقى معه من المحاربين اليونانيين الشجعان تحت ضغط التفوق العددى للجيش الفارسى .

ولقد جعل التفانى فى الإخلاص لواجب القتال دفاعا عن الوطن الإسبارطى معركة ثرموبيلاى - بصرف النظر عن نتيجة القتال - واحدة من أشهر المعارك فى التاريخ . ولقد تأثر ملك الفرس إكسيركسيس أيما تأثير لهذا المسلك البالغ فى الشجاعة والتضحية بالأرواح دفاعا عن الوطن الذى لمسه لدى اليونانيين فى هذه المعركة التى أصبحت مثالا يحتذى لروح البسالة اليونانية التى كان لها الأثر القوى فى طرد الفرس من جنوب أوربا نهائياً فيما بعد عندما هزمهم اليونانيون وحطموا مملكة الفرس وطردوهم إلى الشرق من جنوب أوربا فيما بعد هذه المعركة الخالدة التى غدت مثلا أعلى للدفاع عن الوطن بكل إخلاص وتصميم.



5- معركة سلاميس (480 ق.م)

The Battle Of Salamis (480 B.C)

بعد أن هزم ملك الفرس إكسيركسيس اليونان فى معركة ثرموبيلاى فى عام (480 ق.م) كانت بلاد اليونان كلها معرضة للدمار تحت سنابك خيول الجيش الفارسى . وواصل الفرس تقدمهم ، ودخلوا أثينا التى سيطر على أهلها اليأس والقنوط ، وعندما دخلها جنود الفرس أضرموا فيها النيران .

وفى نفس الوقت كان قائد إحدى الممالك اليونانية التى لم يسيطر عليها الفرس ، ويدعى تيمستوكليس Themistocles قد كرّس كل جهوده ، وجلّ اهتمامه ، ومعظم ثروة مملكته التى كانت فى ازدياد مطرد بسبب العثور على مناجم الفضة فى بلاده ، وذلك لبناء سفن أسطول بحرى يونانى كبير ... ولقد تكللت جهوده فى هذا المجال أخيرا بإنشاء (360) سفينة حربية فى ميناء سلاميس بالقرب من إحدى الجزر



المتاخمة للساحل الجنوبى لبلاد اليونان . وكـان قادة السفن اليونانية ـ رغم كل شىء ـ يخشون بأس الأسطول البحرى المساند للجيش الفارسى الغازى لبلاد اليونان ، إذ كانت سفن الأسطول الفارسى يصل عددها إلى (1200) قطعة بحرية . ولكى يتغلب تيمستوكليس على تردد البحارة اليونانيين وإحجامهم عن الدخول فى معركة بحرية ضد الأسطول الفارسى ، عمد بنفسه إلى الإعلان عن مكان وجود الأسطول اليونانى ، وتحدى الأسطول الفارسى أن يتقدم لكى يلاقى الأسطول اليونانى ، وهكذا لم يجد البحارة اليونانيون مناصا ولا مفرا من القتال .

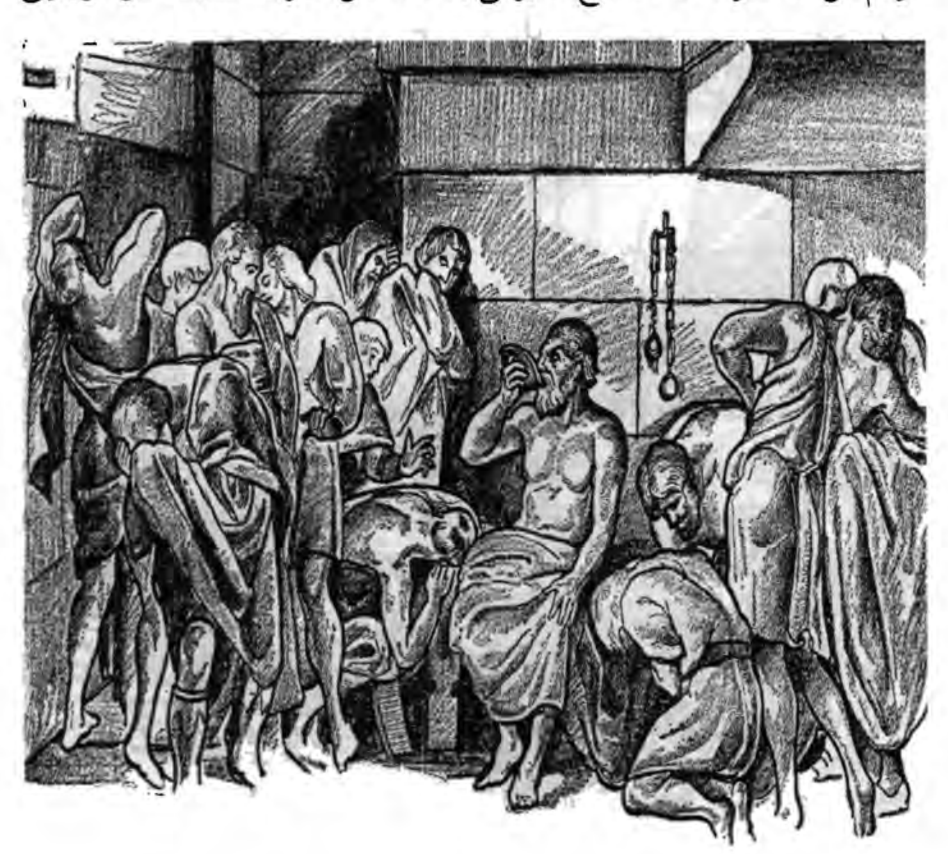
وتحت أنظار ملك الفرس إكسركسيس الذى كان يراقب المعركة البحرية الهامة من مكان مرتفع على شاطئ البحر اقترب الأسطول الفارسى محاولا الإطباق على سفن الأسطول اليونانى ، ولكن ضيق الممر المائى المفضى إلى مكان وجود الأسطول اليونانى أفضى إلى المزيد من الاضطرابات بين قطع الأسطول الفارسى الكثيرة العدد ، إذ لم تستطع التقدم بكل عددها فى الممر المائى الضيق . وهاجم بحارة الأسطول اليونانى القطع القليلة العدد من سفن الأسطول الفارسى ودمروها أولا بأول لتزداد الفوضى بين قطع الأسطول الفارسى ، وتم إغراق ما لا يقل عن مائتى سفينة من سفن الأسطول الفارسى إغراقاً تاماً ، بينما لم يخسر الأسطول اليونانى فى تلك الجولة إلا أربعين سفينة فقط .

واضطرب الملك الفارسى إكسركسيس عندما شاهد بعينه هزيمة وتدمير الأسطول الفارسى فى معركة سلاميس البحرية ، وقرر على الفور الجلاء بجيشه البرى عن بلاد اليونان ، إذ كان الأسطول البحرى الفارسى هو وسيلة الاتصال والإمداد والتموين الذى كان يربط بين الجيش الفارسى المحتل لبلاد اليونان وقواعد ذلك الجيش فى مصر وبلاد الشام وآسيا الصغرى ، مما اضطر ملك الفرس إلى الإسراع بالرحيل عن بلاد اليونان مخلفا وراءه جيشه الضخم ، وقد انقطعت صلته تماما بالبحر والبر . ولكن أصبحت الكلمة العليا لليونانيين بعد انتصار أسطولهم على الأسطول الفارسى فى معركة سلاميس ، ولم يهدأ لليونانيين بال حتى رحل آخر جندى فارسى عن أرض اليونان . وهكذا أنقذت معركة بحرية بلاد اليونان من سيطرة الفرس ، وكفلت لهم النصر فى معاركهم البرية ضد الفرس بعد معركة سلاميس البحرية .

6- إعدام سقراط (399 ق.م)

The Death Of Socrates (399 B.C)

لقد كان سقراط واحدا من أوائل عظماء الفلاسفة الأقدمين . كان مستقيم الطبع ، عادلا غير أنانى ، حاول من خلال محاوراته مع الآخرين فى شوارع مدينة أثينا أن يجعل الناس يفكرون فى شئون أنفسهم بأنفسهم غير مستسلمين لأفكار زائفة رائجة . وكان المعتقد الأساسى له هو قولته الشهيرة : «اعرف نفسك بنفسك وابحث عن الحقيقة» . ولقد تأثر الكثير من الفلاسفة الذين جاءوا بعده بهذه المقولة وغيرها من توجيهات سقراط للفكر البشرى لكى يهتدى إلى المسار الصحيح فى التفكير من أجل الوصول إلى الحقيقة . وعلى الرغم من صحة هذا المسار السقراطى السليم فى التفكير ، وعلى الرغم من براعة ومهارة سقراط فى إدارته للحوار مع الآخرين ، وعلى الرغم من أن سقراط قد استطاع أن يرسى بذكاء أسس الطريقة السليمة للوصول إلى



الحقائق موضع البحث والتفكير ، فلقد أفضى ذلك إلى ظهور كثير من الأعداء الذين تصدوا لمقاومة تأثير سقراط وتغييره أنماط التفكير الذى كان شائعا قبل ظهوره.

ولقد وجه «ميليتوس Meletus» أحد مواطنى مدينة أثينا بالفعل إلى سقراط الاتهام بأنه قد أفسد عقول شباب أثينا ، وحاول هدم قداسة آلهتهم المزعومة ، ولقد كان من حق أى مواطن أثينى حر أن يوجه الاتهام علناً إلى أى شخص ليمثل هذا الشخص أمام قضاة أثينا لمحاكمته والنظر فى شأن براءته أو إدانته

ولما مثل سقراط أمام نحو خمسمائة قاض من قضاة أثينا لمحاكمته بشأن الاتهامات التى وُجهت إليه ، وقف الخصوم يطالبون بضرورة إنزال أقصى عقوبة بهذا العجوز الشرير المضلل الذى كان عمره حينئذ قد قارب السبعين عاماً !!

سقراط يدافع عن نفسه :

بعد أن فرغ خصومه من كلامهم وتوجيه أشد الانتقادات إليه بدأ سقراط في الدفاع عن نفسه برد تلك التهم ، ثم انتقل من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم فقال إن من يدعى العلم من بين كل من حاورت وناقشت إنما هم جهلاء لايفقهون من العلم شيئًا والحقيقة هى أنى أعلم الناس ، وذلك لأن الناس يعتقدون أنهم يعرفون شيئًا ، وهم فى الواقع لا يعرفون أى شئ ، أما أنا فإنى أعرف أنى لا أعرف

وحذر سقراط القضاة من الحكم عليه بالموت ، وإن فعلوا فلن يجدوا مثله أما إذا لم يفعلوا فسيعود إلى سيرته الأولى ونشر أفكاره

فلم يكن فيما قاله سقراط ما يشير إلى استدرار عطف القضاة .. وانتهت الجلسة، وصوّت 280 قاضياً بإدانة سقراط ، بينما برأه 220 قاضياً

وحكم عليه بالإعدام بتجرع السم المستخرج من أحد النباتات السامة وهو نبات الشوكران Hemlock ، على أن يكون تنفيذ هذا الحكم بعد مرور ثلاثين يوما من صدوره حتى تنقضى أيام أحد الاحتفالات الدينية لدى الأثينيين . ولقد كان فى هذه الأيام الثلاثين ـ ودون فرض أى نوع من الحراسة المشددة عليه ـ متسع لكى يهرب

سقراط بمساعدة محبيه وتلاميذه فرارا من هذا الحكم القاسى ، إلا أن سقراط آثر أن يضرب المثل للناس فى الخضوع لأحكام القانون سواء كانت عادلة أو ظالمة ، وما دامت أحكام القانون صادرة عن قضاة فلا يملك تغييرها إلا القضاة وفقاً لأحكام القانون المعمول به ، وارتضى سقراط الخضوع إلى الحكم القضائى المحدد لمصيره ورفض الهروب تفاديا لتنفيذ الحكم فرارا بحياته .

وهكذا قضى سقراط أيامه الأخيرة وهو يقدم للبشرية التطبيق العملى لتعاليمه ، واستمر خلال تلك الأيام فى مناقشاته وحواراته مع تلاميذه وأصدقائه ...

وقبيل تنفيذ الحكم جاءته زوجته وبعض تلاميذه ، وأجهشت زوجته بالبكاء ، وعلا صريخها ، فنهاها عن ذلك ، وطلب منها أن تخرج ، ثم التفت إلى تلاميذه وأخذ يحاورهم ، وسط دهشة الحراس ، وطال الحوار .. والجلاد يقف بجواره حاملاً السم ، وقد جُنَّ جنونه فصاح به : هيا يا سقراط ، انته من هذا الحوار سريعًا حتى لا يفقد السم تأثيره !!

فيرد عليه سقراط فى سخرية : ولم لا تضاعف الكمية ؟ أليست هذه مهنتك ؟!

وقبل أن يتناول السم طلب أن يغتسل ، ولما خرج وجد الجلاد فى انتظاره حاملاً السم ، فسأله : ماذا علىَّ أن أفعل ؟

قال الجلاد : لا شئ ، كل ما هو مطلوب منك أن تتجرع هذه الكأس ، وبعد قليل ستشعر بثقل فى ساقيك ، عندها عليك أن تستلقى على الأرض ، وسيقوم السم بإنهاء المهمة !!

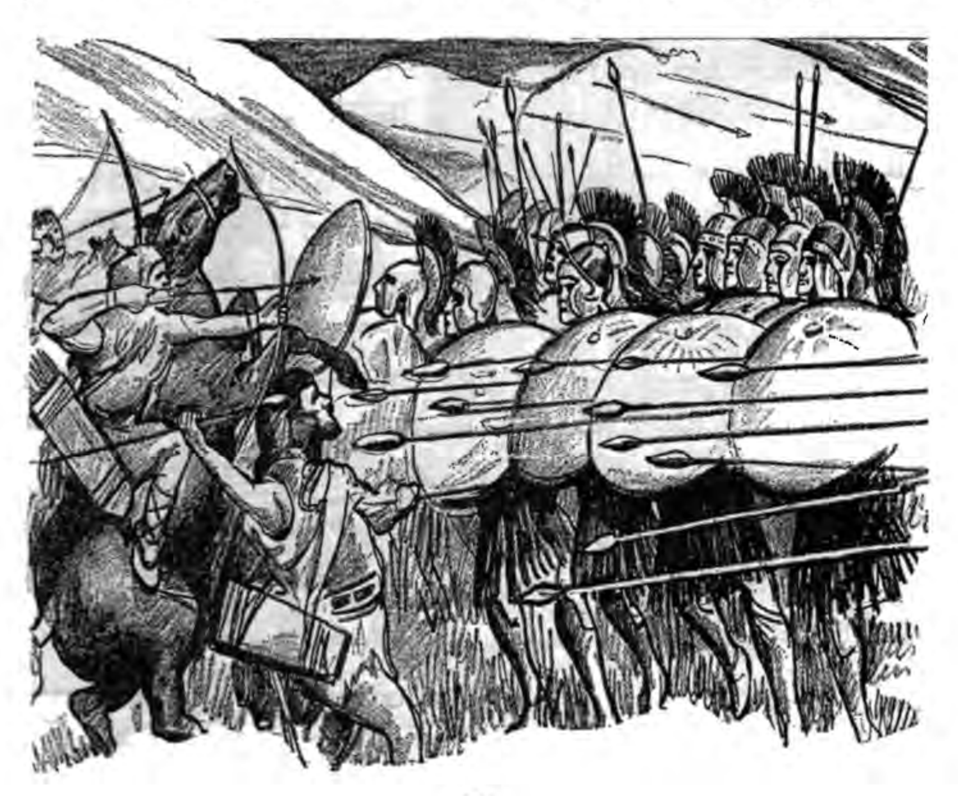
وأخذ سقوط الكأس وتجرعها دفعة واحدة وسط ذهول تلاميذه ، وسرعان ما انخرطوا فى البكاء ، فغضب منهم ، وأمرهم بالخروج حتى يموت فى هدوء !!

ومات سقراط الذى طالما حاور تلاميذه فى الموت والحياة والروح .. وكثيراً ما قال لهم : إن الموت هو الشفاء من مرض اسمه الحياة !!

7- معركة إسوس (333 ق.م)

The Battle Of Issus (333 B.C)

عندمـــا خلف الإسكندر الأكـــبـــر المقـــدونى Alexander The Great Of Macedonia» أباه الملك المقـدونى فـيليب الثـانى «Philip II» على عـرش بلاد اليـونان، وبعـد اعتـلاء الأسكندر العرش ، زحف جنوباً نحو اليونان ، وفرض سلطة مقدونيا عليها ، وحمل التحالف اليونانى على انتخابه قائداً لحملة آسيوية كان أبوه قد خطط لهـا اتجه نحو الجنوب ليحمى تخـــوم مقدونيا الشمالية ، ثم انتشرت شائعات عن مقتله ، فاندلعت ثورة فى اليونان بدعم من الأثينيين ، فزحف الأسكندر جنوباً حتى أخمـدت هذه الفتنة واطمـأن على سلامة قـاعدته فى أرض اليـونان ، وتأهب للحـملة التى كـان أبوه قـد أعـد لهـا ، عـبـر الإسكندر الأكـبـر المقـدونى الهليسبونت (البوسفور) إلى آسيا الصغرى Asia Minor ، وفى عام «334 ق.م» كان يهاجم بالفعل أراضى الإمبراطورية الفارسية الواسعة الأرجاء بكل ثرواتها التى كانت تجل عن الحصر ، وبكل مدنها المليئة بعجائب العمران . وعمد الإسكندر



الأكبر المقدونى إلى احتلال سوريا على الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط حتى لا يهدد الأسطول الفارسى فى البحر المتوسط جيشه ويقطع خطوط مواصلاته فى أى وقت . وحتى ذلك الوقت ، كان يبدو أنه من المستحيل أن يتحقق الحلم بتحطيم كتلة الإمبراطورية الفارسية الضخمة ، إذ كان مثل ذلك الحلم يفوق كل خيال .

وقاد الملك الفارسى دارا الثالث Darius III جيشا ضخما يبلغ عدد رجاله 600 000 مقاتل للبطش بذلك الجيش اليونانى الذى يحاول مهاجمة أراضى إمبراطوريته الضخمة ، ولا يزيد عدد المحاربين اليونانيين فيه على 35000 مقاتل . لقد كانت جيوش الإمبراطورية الفارسية هى التى تهاجم بجيوش جرارة بلاد اليونان، ولقد كان يبدو غريبا كل الغرابة أن يتحول اليونان إلى الهجوم وغزو الأراضى الفارسية ذاتها .

ونظرا لعدم تقدير الملك دارا الثالث لقدرات ومزايا آلة الحرب اليونانية تحت إمارة الإسكندر الأكبر المقدونى ، قبع الملك دارا الثالث وسط جزء كبير من جيشه وراء سلسلة من الجبال كانت تفصل بينه وبين الجيش المقدونى وهو يظن أن جزءاً من جيشه سيكون كافيا لدحر الجيش المقدونى الصغير ، ورده على أعقابه إلى بلاد اليونان ، وكانت نتيجة هذا الاستخفاف الفارسى بالقوة العسكرية لجيش الإسكندر الأكبر هى الهزيمة الساحقة للفرس الذين اندفعوا إلى الفرار شرقا أمام جيش الإسكندر المنتصر نصرا ساحقا ماحقا ...

ولم يكن أى انتصار فى أى حرب سابقة يضارع انتصار جيش الإسكندر على جيش الفرس فى معركة إسوس من حيث حجمه أو من حيث نتائجه ... لقد فتح ذلك الانتصار اليونانى فى تلك المعركة بلاد سوريا وكل البلاد الواقعة على الساحل الفينيقى للبحر المتوسط حتى مصر نفسها ليدخلها جيش الإسكندر الأكبر المقدونى بسهولة تامة كما لو كان ذلك الجيش فى نزهة حربية ، بينما جيوش الفرس ترتعد خوفاً شرقى وشمال شرقى البلاد التى يفتحها جيش الإسكندر الأكبر المقدونى ، واستمر التخاذل الفارسى حتى أخضع الإسكندر الأكبر كل أراضى الإمبراطورية الفارسية لنفوذه بعد انتصاره الحاسم على جيش الفرس فى معركة إسوس سنة (333 ق.م) .

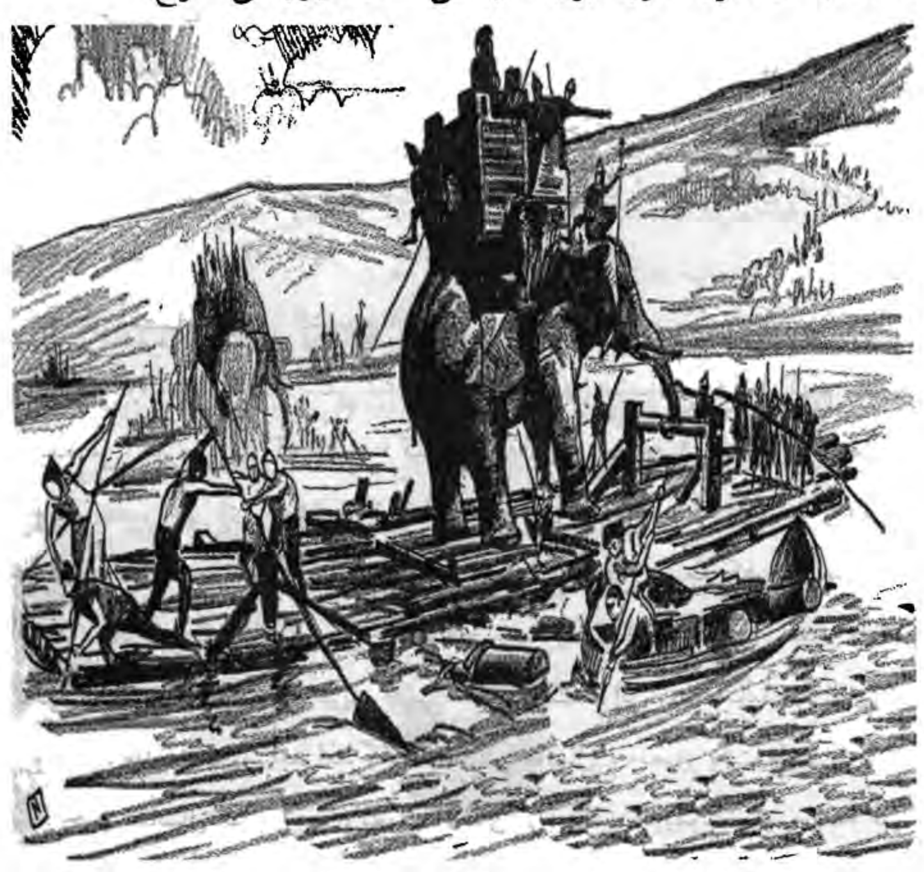
وفى غضون حكم الأسكندر الأكبر ، شيدت أعظم إمبراطورية عرفها العالم القديم، امتدت من حدود ليبيا حتى البنجاب .

8- هانيبال يحاول غزو إيطاليا (218-203ق.م)

Hannibal's Invasion Of Italy (218-203 B.C)

منذ زمن بعيد ، كانت «قرطاجنة Carthage» هى أكبر منافسى «روما Rome» فى شمال غرب إفريقيا . وفى غمار أحداث «الحرب البونية الأولى First Punic War» استباحت الجيوش الرومانية أراضى قرطاجنة ، واستعبد الرومان شعب قرطاجنة بعد انتصارهم فى معارك الحرب البونية الأولى بفضل سيطرة الرومان البحرية فى البحر المتوسط .

وأقسم «هانيبال Hannibal» أن يكون عدواً دائما لروما وأن يستعيد لموطنه القرطاجى مكانته فى العالم كقوة لها شأنها واحترامها . ورغم كل النصائح الرامية إلى إثنائه عن عزمه ، هاجم هانيبال إقليم ساجنتوم Sagantum فى شرق إسبانيا مفتتحا بذلك معارك الحرب البونية الثانية التى ذاعت شهرتها فى التاريخ .



وتوغل هانيبال بجيشه متجها جهة الشمال فى الأراضى الإسبانية فى محاولة للتمويه على الهدف الحقيقى من عبوره البحر المتوسط من مضيق جبل طارق لكى يجعل الرومان يعتقدون أنه يقصد إلى التوسع فى احتلال الأراضى الإسبانية ولا يقصد الهجوم على روما ، أو أى أراضٍ إيطالية . وهكذا خدع هانيبال القائد الرومانى «سكيبيو الإفريقى Scipio Africanus» الذى كان قد تحرك لمنازلة جيش هانيبال فوق الأراضى الإسبانية ، إذ انحرف هانيبال بجيشه فى اتجاه الجنوب الشرقى وعبر «جبال الألب The Alps» لكى يواجه الجيوش الرومانية المندهشة المرعوبة لمجرد أن هانيبال قد استطاع أن يجتاز بجيشه عقبة جبال الألب لكى يحارب الرومان فى أعماق موطنهم الأصلى وفى عقر ديارهم ، وهو الشأن الذى لم يكن يدور أبدا بخيالهم .

وانتصر هانيبال على الرومان فى ثلاث معارك حربية متتالية ، هى : معركة «تريبيا Trebia» ومعركة «بحيرة تراسيمينيا Lake Trasimene» ومعركة «كانيا Cannae» . وانزعج مجلس الشيوخ الرومانى إزاء الانتصار الذى تحقق لجيش هانيبال على جيوش الرومان فى ثلاث معارك متتالية مما ينبئ أن هانيبال ـ لو استمر الحال به على هذا المنوال ـ سيصل إلى روما ذاتها .

وسأل أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى زميلهم «فابيوس كونتاكتور Fabius Contactor» عن الطريقة المثلى للتغلب على جيش هانيبال ، فقال لهم كلمة واحدة هى: «الزمن Time» سألوه «كيف؟» فقال لهم : «جيش هانيبال باستخدامه الأفيال ينتصر على أى جيش رومانى يلتحم مع جيشه فى معركة تصادمية . والرأى عندى هو ألا يلتحم الجيش الرومانى مع جيش هانيبال فى أى معركة ، بل ينسحب أمامه ، فلا يتمكن هانيبال من تحطيم الجيش الرومانى اعتمادا على أفياله وآلات الحرب فى جيشه ، وليكن طريق جيش هانيبال المتجه إلى روما خاليا من الجيوش الرومانية ، وبذلك يطول أمد المعركة ضد جيش هانيبال ، وبمرور وقت طويل دون أن يبلغ جيش هانيبال أبواب روما ، تموت الأفيال فى جيشه ، ويموت بسبب شدة البرد

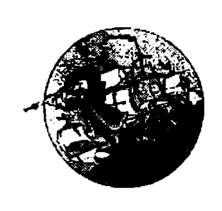
عدد كبير من جنوده ، ويضعف جيش هانيبال بمرور الزمن ، ونتمكن من هزيمته بسهولة» .

وافق أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى على هذه الاستراتيجية الحربية التى ابتدعها فابيوس كونتاكتور ، وصدرت التعليمات إلى قيادة جيش الرومانى بعدم الالتحام مع جيش هانيبال فى معركة تصادمية ، وبمرور الوقت ماتت الأفيال ومات الكثير من الجنود فى جيش هانيبال مما اضطره إلى الارتداد مع الفلول القليلة المتبقية من جيشه لكى يعود إلى قرطاجنة ، وقد فقد كل جيشه بعد ستة عشر عاما من محاولته غزو روما .

ومنذ ذلك الحين ظهر إلى الوجود مفهوم «الفابية Fabism» نسبة إلى فابيوس كونتاكتور ، ومعناه هو الاعتماد على الزمن وصولا إلى الإصلاح التدريجى فى مواجهة المشكلات الكبرى دون محاولة اللجوء إلى حل سريع لها، خصوصا عندما يكون الحل السريع للمشكلات عصى المنال .

وتحول الرومان بعد عام (203 ق.م) من الدفاع إلى الهجوم على قرطاجنة من جديد ، وهاجمها الرومان بجيوشهم لتأديب القرطاجيين حتى لا تقوم لهم قائمة ضد السيطرة الرومانية حول البحر المتوسط مرة أخرى .

وتم للرومان دحر مقاومة القرطاجيين فى معركة «زاما Zama» سنة 204 ق.م فى شمال إفريقيا لتتوقف مقاومة قرطاجنة لنفوذ روما إلى الأبد ، ولتنفرد روما بالسيادة المطلقة على العالم من حولها ، وشهد هانيبال بعينه تحطيم أمله الوحيد فى الحياة الذى كان يتمثل فى الانتقام من روما وتحطيمها ، مما أفضى فى النهاية إلى تحطيم وطنه المحبوب قرطاجنة وانتحر هانيبال عام 183 ق.م .



9- بناء سور الصين العظيم (214 ق.م)

Building The Great Wall Of China (214 B.C)

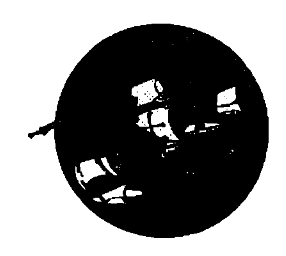
منذ زمن قديم ، كانت بلاد الصين مقسمة إلى ممالك وولايات صغيرة كثيرة العدد ، وكان لكل إقليم أو ولاية حاكم مستقل بالحكم فيها . وكانت ولاية «تسين Tsin» ، لأسباب ما ، معرضة لهجوم الولايات الأخرى هجمات متتالية على مدار زمن طويل . ومن خلال تمرس أهل ولاية تسين بأعمال الحرب والقتال ازدادت لديهم المقدرة الحربية التى جعلتهم يستطيعون أن يخضعوا لنفوذهم كثيرا من الأقاليم والولايات من حولهم حتى بسطوا سلطانهم فوق كل أراضى بلاد الصين . ولم يكتف أهل ولاية تسين بذلك ، بل خطط ملكهم «شين هوانج تى Shin Huang Ti» للقيام بعمل كبير ؛ ليحمى بلاده من هجمات «التتار The Tartars» البرابرة الذين كانوا قد دأبوا على مهاجمة بلاده من الشمال .



وفى عام (214 ق.م) كانت أجزاء صغيرة من سور الصين قد تم بناؤها بالفعل، واستمر البناء حتى بلغ طوله (740 ميلا) فى حياة الإمبراطور «شين هوانج تى» ، ويقال : إنه كان يجعل ثلث سكان مملكته يعملون فى بناء السور ويعمل باقى الشعب فى أعمال أخرى تستلزمها الحياة .

وكان ارتفاع السور يصل إلى عشرين قدما ، وهو مشيد بصفة أساسية من طين الأرض المغطى من جوانبه بالصخور الجرانيتية الصلبة . وكان فى السور ممرات ذات أبواب يبلغ اتساع كل منها خمسة عشر قدما ، وقد تم تزويد كل منها بمنارة مربعة الشكل فوق برج مرتفع تشتعل فيه النيران المتوهجة التى يرتفع منها اللهب لكى يضىء ما حولها ، ولكى يوفر التحذير من أى هجوم للعدو. وعندما اكتمل بناء السور بلغ طوله (1400) ميل وكان يمر فوق جبال و وديان وأنهار ، وبذلك كان اكتمال ذلك السور عملا هندسيا دخل سجلات التاريخ .

ولا يزال هذا السور يشكل الحد الشمالى والشمال الشرقى للصين حتى اليوم ، ولا يزال يحمى شمال الصين وشمال شرقها من الغزو الخارجى . ولقد كفل ذلك السور الحماية لطرق التجارة القديمة إلى وسط آسيا حتى أوربا ، ولعب دورا مهما فى الحروب على مدار الزمن ، وظلت أهميته موضع اعتبار حتى احتلال ميناء بور آثر سنة 1905 .



10- غزو يوليوس قيصر لبريطانيا العظمى (55-54 ق.م)

Julius Caesar Invasion of Great Britain (55 - 54 B.C)

بعد أن سيطر جيش يوليوس قيصر على بلاد غاليسيا (الغال Gual)(فرنسا الحالية) اقترب على رأس جيشه من «القنال الإنجليزى The English Channel» واتجه نحو الجزيرة البريطانية التى كان الرومان لا يعرفون عنها أى شىء ، ولا يعرفون أى شىء عن سكانها من القبائل البربرية Barbaric Tribes أو عن قساوستها الوثنيين «الدرويديين Druids» ..

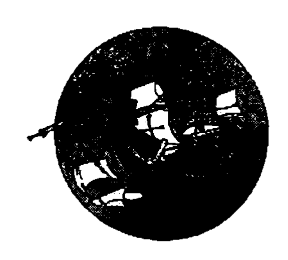
وفى اليوم السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة (55 ق.م) أبحر يوليوس قيصر على رأس جيشه وعبر الممر المائى الضيق ، وبعد قتال قصير الأمد على شاطئ مقاطعة «كنت Kent» نجح يوليوس قيصر فى أن يرسو بجيشه فوق الأراضى البريطانية ..



وبعد مضى أيام عديدة دمرت رياح عاتية معظم السفن فى أسطوله البحرى، وتضاءل بمضى الأيام عدد جنوده أيضا مما اضطره إلى العودة إلى الأراضى الفرنسية.

وفى ربيع العام التالى ، تمكن يوليوس قيصر من إعداد (800) سفينة وخمسة فيالق من جنود المشاة ، وألفى فارس ، ورست قواته مرة أخرى فوق الشاطئ الإنجليزى . وبالرغم من أنه قد استطاع أن يعبر على رأس جيشه «نهر التايمز The Thames River» ، فلقد كان تقدم جيشه فوق أراضى الضفة الأخرى من النهر بطيئا كل البطء من جراء المقاومة العنيفة الباسلة للقبائل البريطانية «Britons» تحت قيادة زعيمهم «كاسيفالانوس Cassivellanus» ، وبفضل استخدامهم الجيد لمركباتهم الحربية التى كانت تجرها الجياد القوية . وفى شهر سبتمبر كان يوليوس قيصر مضطرا إلى التراجع عن مساحات شاسعة من الأراضى التى فرض على أهلها دفع الجزية إلى الرومان قبل أن يدفعوا منها أى شىء ...

وعلى الرغم من المحاولات القوية لإخضاع الأراضى البريطانية للنفوذ الرومانى ، لم يتحقق للرومان السيطرة على قدم واحد من الأراضى البريطانية وانصرم قرن كامل من الزمان حتى تحققت السيطرة الرومانية على الأراضى البريطانية بنجاح تام فى عهد الإمبراطور الرومانى «كلوديوس Claudius» وذلك فى عام 43 للميلاد .



11- اغتيال يوليوس قيصر (15 مارس 44 ق.م)

The Assassination Of Julius Caesar (March 15.44 B.C)

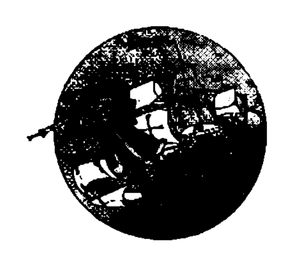
فى عام (44 ق.م) عندما بلغ يوليوس قيصر السادسة والخمسين من العمر ، كان قد وصل إلى السيطرة الفعلية على كل مقاليد الحكم فى الإمبراطورية الرومانية ... وكانت روما تحت قيادته الدكتاتورية المطلقة قد أصبحت أعظم قوة فى العالم ... وعلى الرغم من أنه كان قد رفض التاج مرات عديدة ، فلقد كان القادة والزعماء الرومان الحريصون على بقاء النظام الجمهورى يخشون أن يقبل التاج فى النهاية لكى يصبح ملكا ، ويتغير النظام الجمهورى للإمبراطورية الرومانية ... وعندما عمد يوليوس قيصر إلى تبنى ابن أخته المدعو «جايوس أوكتافيوس Gaius Octavius» وأعلنه خليفه له ، زادت شكوك الجمهوريين فى رغبة يوليوس قيصر فى أن يصبح ملكا بدليل إعداده خليفة له يرث عرش الإمبراطورية الرومانية من بعده ليظل الجلوس على العرش الرومانى فى أسرته ، وتضيع بذلك أسس ودعائم النظام الجمهورى ...

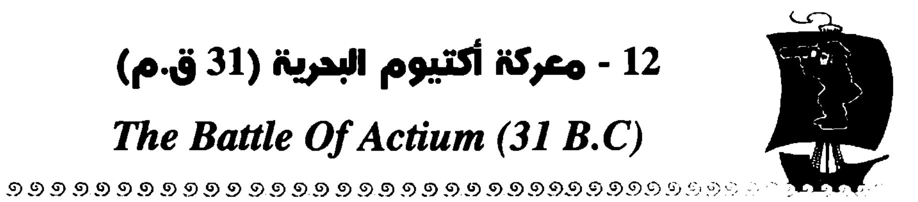


ورسم أعضاء زمرة من المتآمرين الجمهوريين ، وصل عددهم إلى ستين شخصا ، خطة لاغتيال يوليوس قيصر ، وضم المتآمرون إلى صفوفهم كلا من «ماركوس بروتوس Marcus Brutus» و«كاسيوس Cassius» وهما من أتباع يوليوس قيصر المقربين إليه . وفي الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم الخامس عشر من شهر مارس سنة (44 ق.م) ذهب يوليوس قيصر كالمعتاد إلى مقر «مجلس الشيوخ Senate House» وكان مارك أنطونيو Mark Antony على وشك أن يدخل وراءه عندما ناداه «تريبونيوس Trebonius» .. وفور أن أصبح يوليوس قيصر داخل مبنى مجلس الشيوخ أحاط به المتآمرون ... وصدرت إشارة متفق عليها ، وأغمد المتآمرون يتقدمهم «كاسكا Casca» الخناجر في جسد يوليوس قيصر الذى تكاثرت عليه ثلاث وعشرون طعنة خنجر في كل أنحاء جسمه لكي يموت القائد الروماني العظيم على الفور ويقضي نحبه .

ويحكي أن قيصر ظل يقاوم مهاجميه حتى شاهد صديقه الذى كان يعتبره مخلصا له كل الإخلاص «بروتوس Brutus» بين مهاجميه فصاح قائلا له : «حتى أنت يابروتس أيها الوغد» .

وفي أعقاب اغتيال يوليوس قيصر غدا حكم روما مشتركا بين ثلاثة أشخاص، هم: «جايوس أوكتافيوس » و «ليبيدوس» و «مارك أنطونيو» ... وانتهت فترة مضطربة في حكم روما حتى استقرت سلطات الحكم فيها بين يدى «أوكتافيوس» الذى أصبح إمبراطورا أوغسطوسيا «Emperor Augustus» ، وازدهرت روما في عصرها الذهبي في عهده بعد اغتيال يوليوس قيصر أعظم القادة الرومان وأكثرهم نبلا واستقامة .





12 - معركة أكتيوم البحرية (31 ق.م)

The Battle Of Actium (31 B.C)

فى أعقاب اغتيال يوليوس قيصر سنة (44 ق.م) أصبح حكم روما فى يد ثلاثة رجال ، هم : جايوس أوكتافيوس الذى أصبح إمبراطورا بعد ذلك ، و ليبيدوس الذى تمت إزاحته من السلطة خلال خمس سنوات ، ومارك أنطونيو .

كان مارك أنطونيو قد تعلق قلبه بحب كليوباترا ، وهى كليوباترا السابعة ابنة الملك بطليموس الثانى عشر ، كانت قد تزوجت أخاها بطليموس الثالث عشر ، وارتقت معه عرش مصر تنفيذا لوصية أبيهما قبل موته ، إلا أنه حدث خلاف بينها وبين أخيها حينما أراد الانفراد بحكم مصر إلا أنها تمكنت من الانفراد بالحكم .

لم تكن كيلوباترا شخصية عادية ، لذا اختلف المؤرخون والأدباء فى وصفها وتحليل شخصيتها ، فبينما يرى بعض المؤرخين من الرومان واليهود القدامى أنها كانت امرأة غانية ، توقع الرجال فى حبائلها ، ومن أشهر من وقع فى حبها يوليوس قيصر ، ومارك أنطونيو .. فقد أوقعتهما فى حبائلها لتحقق أطماعها فى السيطرة على الإمبراطورية الرومانية بأسرها .. بينما يرى المنصفون من المؤرخين ، الذين درسوا التاريخ بحياد تام ، أن كليوباترا كانت من أعظم ملكات العالم القديم ، وكانت شجاعة قوية الإرادة ، واسعة الثقافة ، تتمتع برقة وعذوبة ، كما كانت تتمتع فى الوقت نفسه بمشاعر وطنية فياضة ، حيث خططت لفرض النفوذ المصرى على الأقاليم السورية وآسيا الصغرى ..

كان يوليوس قيصر قد وصل إلى مصر لمحاربة عدوه الرومانى الهارب «بومبى» الذى حاول اللجوء إلى مصر ، فأعجب بشخصية كليوباترا ، فساعدها فى القضاء على معارضيها ، مما أتاح لها الانفراد بحكم مصر ، ثم صحبها معه إلى روما ، وظلت هناك حتى اغتياله عام 44 ق.م ، ويذكر بعض المؤرخين أنهما كانا قد تزوجا، إلا أنهما اتفقا على عدم الإعلان عن ذلك حتى يتم تتويج يوليوس قيصر ملكا على روما .

وبعد مصرع يوليوس قيصر ، عادت كليوباترا إلى مصر ، ولم تكن قد تخلت بعد عن طموحاتها وأحلامها فى السيطرة على الإمبراطورية الرومانية ..

فى عام 37 ق.م تقابلت كيلوباترا مع مارك أنطونيو الذى وقع فى حبها وتزوجها بالفعل ، وعندها انتعشت آمالها فى السيطرة على الإمبراطورية الرومانية ، وفي البداية منحها مارك أنطونيو الحق فى حكم الكثير من مناطق النصف الشرقى للإمبراطورية الرومانية .. إلا أنها لم تقنع بذلك ، فأوعزت إلى أنطونيو بضرورة محاربة أوكتافيوس والقضاء عليه لينفردا معا بالحكم .. وتمكنت من إقناعه بذلك .. وكانت معركة أكتيوم البحرية ..



وهاجمت سفن أوكتافيوس السريعة السفن الكبيرة الضخمة تحت قيادة مارك أنطونيو عند «أكتيوم» بالقرب من خليج «أرتا Arta» عند الساحل اليونانى فى اليوم الثانى من شهر سبتمبر سنة 31 ق.م .

وكانت السفن الكبيرة تحت قيادة مارك أنطونيو تستطيع أن تتغلب بالتأكيد على السفن الصغيرة فى أسطول أوكتافيوس ، ولكن عندما كانت المعركة البحرية محتدمة

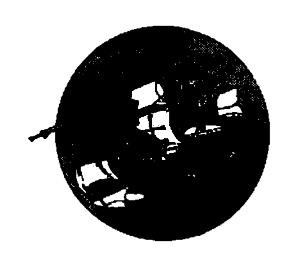
بين الأسطولين انسحب الأسطول المصرى المشارك لسفن أسطول مارك أنطونيو فى المعركة من الاشتباك البحرى الشديد الوطيس ، واتجهت كليوباترا بالسفن المصرية نحو الإسكندرية .

وعندما اكتشف مارك أنطونيو هذه الحقيقة ، اتجه بسفينة القيادة أيضاً نحو الإسكندرية تاركا بقية سفن أسطوله لمصيرها . واشتعلت النيران فى بقية سفن أسطول مارك أنطونيو وتم تدميرها .

انهزم أسطول كيلوباترا ومارك أنطونيو فى معركة أكتيوم البحرية ، وعادا إلى الإسكندرية وقد تحطمت آمالهما ، وتبعهما أوكتافيوس للقضاء عليهما ..

أدركت كيلوباترا حقيقة موقفها ، وعجزها عن الدفاع عن مملكتها أمام جيش أوكتافيوس ، فآثرت التضحية بكل طموحاتها ، وأرسلت إلى أوكتافيوس تاجها وصولجانها ، وعرضت عليه التنازل عن العرش لأحد أبنائها ، إلا أن أوكتافيوس كان قد عزم على رفض ذلك وأسرها ونقلها إلى روما ليعرضها على الشعب فى قفص أثناء احتفالاته بالنصر .. لذا قررت كليوباترا الانتحار ، بلدغة حيه سامة وضعتها فى صدرها .. وما أن علم مارك أنطونيو بمصرع كليوباترا حتى أسرع إليها وانتحر بين يديها !!

وبعد تلك المعركة الفاصلة ، تمكن أوكتافيوس من فرض سيطرته على الإمبراطورية الرومانية .



13 - احتراق روما (64م)

The Burning Of Rome (64)

كان العهد الذى اعتلى فيه «نيرون Nero» عرش روما عهدا مفعما بالطغيان ، مليئا بكل أنواع التخريب . أية فكرة تلك التى كانت تملأ خيال نيرون ، وتتلاعب بعقله عندما قرر أن يحرق روما ؟

هل كان يريد إزالة مدينة روما لأن تخطيطها لم يكن يعجبه وكان يرغب فى إعادة بنائها من جديد؟ لا أحد يعرف ما كان يجول بخاطر نيرون فى هذا الصدد على وجه التحديد !

لقد كان «أجريبينا نيرون Agripina Nero» شريراً منذ طفولته تربى ونشأ فى رعاية أمة منغمسا فى الملذات المغلفة بالفساد ، الممتزجة بألوان مختلفة من الشرور ، إذ كانت الملذات المعتادة لدى كل الناس لا تدخل السرور إلى نفسه الشريرة ، بل كان يجد اللذة فى أنماط شريرة شاذة من السلوك ، ووصلت ممارساته الشاذة مداها فى ذلك الخراب والتدمير والإحراق لمدينة روما .



فى عام (64 م) شبت النيران فى المحلات التجارية فى أحد أطراف مدينة روما . وتكفلت الرياح الشديدة بنشر النيران فى أجزاء كبيرة من المدينة بسرعة فائقة . وسرعان ما انتقلت النيران إلى الأجزاء الأخرى من المدينة فوق ذلك التل الذى شيدت عليه المدينة الكبيرة التى كانت شوارعها الضيقة قد أصبحت لقمة سائغة تلتهمها النيران بسرعة فائقة منتشرة فى كل الاتجاهات .. اضطرب الناس ، وملأ الرعب قلوبهم وهم يتدافعون خارج المبانى والشوارع فى محاولات يائسة للإفلات من الاحتراق رجالا ونساء ، شيبا وشبانا وأطفالا ، وأصبحت عائلات كثيرة بدون مأوى وقد هاموا على وجوههم فى الحدائق والمزارع بعد فرارهم من المنازل المحترقة والشوارع .

وبعد ستة أيام ، هدأت النيران بعد أن أتت على الأخضر واليابس مخلفة المنازل والشوارع قاعا صفصفا ، بعد أن تداعت المبانى واحترقت ، ولم يبق من أقسام مدينة روما الأربعة عشر قسما إلا أربعة أقسام فقط ظلت سالمة لم تصل إليها النيران.

وعلى الرغم من أن نيرون قد بذل قصارى جهده لكى يعيد بناء مدينة روما من جديد ، ولكى يخفف من عناء أهلها الشديد ، فلقد أصبح الرومان يكرهونه كراهية شديدة ، إذ بلغ به الطيش والنزق والشذوذ أن عمد إلى إحراق مدينتهم ومنازلهم معرضا حياتهم للخطر ، فكيف يأمنون بعد ذلك جانبه ؟

ولم يقر لأهل روما بعد أن أحرق نيرون روما قرار حتى أنزلوه عن عرش روما بعد أربع سنوات فقط من حريق روما الذى كان قد التهم كنوزا ثمينة من تراث حضارة قديمة عريقة فى عام (64) .

ومن عجب أنه ألصق تهمة إحراقها بالمسحيين الذين عانوا على يديه كثيرا من جحيم الاضطهاد !!

14- اختفاء مدينة بومبى (79م)

The Burial Of The City Of Pompeii (79)

كانت بومبى مدينة قديمة من المدن الإيطالية تقع بالقرب من خليج نابولى «The Bay Of Naples» على بعد ميل واحد من « جبل فيزوف Mount Vesuvius» وكانت مدينة مزدهرة تنعم بكل ما تنعم به المدن الرومانية فى عصر سيادة النفوذ الرومانى فى معظم أرجاء العالم المعمور آنذاك ، وكانت تغص بعدد هائل من السكان ... وفى عام (63 م) دمر بركان بعض أجزاء من تلك المدينة ، وتهدمت بعض المبانى العامة بها ، ثم هدأ البركان وظل هادئا لمدة ستة عشر عاما ، وبعد انقضاء هذه المدة ، تعددت البراكين وازدادت شدة وضراوة ، وبالرغم من ذلك اتجهت جهود سكان المدينة إلى ترميم وإعادة بناء المنازل التى دمرتها البراكين ، إذ كانوا يأملون أن تهدأ البراكين حتى ولو بعد حين ، لتمضى بهم الحياة سيرتها



الأولى بدلا من أن يتحملوا مشاق الهجرة وآلام وأهوال الغربة وفقدان الممتلكات فى مدينتهم وموطنهم الأصلى الذى عاشوا فيه أجيالا بعد أجيال ... واستمر الحال يجرى على هذا المنوال ، دمار جزئى محدود ، ومحاولات لإصلاح شأن ما سبق للبراكين تدميره إلى أن حلت بهم الطامة الكبرى والكارثة الأخيرة التى قضت عليهم جميعا دون استثناء وحاق الفناء بهم جميعا !! ... فى الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم الرابع والعشرين من شهر أغسطس سنة 79 بعد الميلاد حدث انفجار هائل مدو مروع من داخل أعماق جبل فيزوف الذى كان ساكنا هادئا منذ زمن طويل ، ولم يسبق أبدا ظهور أى بركان بداخله ...



حفظت خرائب بومبى تحت الرماد ، بعد انفجار بركان فيزوف عام 79 م الذى **وصفه** لنا بلينى الاصغر ، كشف التنقيب عن سجل فريد للحياة الرومانية

لقد اندفعت من باطن الجبل أعمدة هائلة من الدخان تشق عنان السماء ، ثم اندلعت على إثرها ألسنة بالغة الضخامة ، شديدة الاندفاع ، شاهقة الارتفاع من اللهب ليمتزج لون حمرة وصفرة اللهب مع لون الدخان القاتم ، ويتداخل معه وكأنما ألسنة اللهب تحاول مصارعة أعمدة الدخان لتفسح لها المجال لتشق طريقها إلى عنان السماء ، بحيث لا تكون السيطرة فى الفضاء للدخان إزاء البحث الدائم لألسنة اللهب لكى تجد لها فى كتل الدخان مكانا ... أى مكان .. وتساقط الرماد المشتعل فوق ثلاث مدن هى «هركيولانيوم» ـ «أسترابيا» ـ بالإضافة إلى مدينة بومبى ذاتها .. وساد الظلام ليل نهار لمدة ثلاثة أيام بسبب كثافة الدخان ، ومات فى هذا الجحيم زهاء (2000) من الناس من جراء الدخان الخانق ، وسقوط الحمم والمواد الملتهبة... ومحيت مدينة بومبى من خريطة العالم ، وتم دفنها كاملة تحت طبقة من الحمم والمقذوفات البركانية يتراوح سمكها بين (20) و(60) قدما ، ظلت مدينة بومبى مطمورة تحت ذلك الغطاء السميك من بقايا الحمم والمقذوفات البركانية حتى القرن التاسع عشر ، عندما بدأت الدراسات تكشف أسرار دمار المدينة .

وألقت اكتشافات المعابد ، ومنازل مدينة بومبى ، والحمامات العمومية والمسارح والمحلات التجارية الأضواء على الحضارة التى كانت سائدة فى ذلك العصر ، وظهرت معالم الحياة فى ذلك الجزء من العالم الرومانى الذى كان مطمورا تحت بقايا الحمم والمقذوفات منذ ثورة بركان جبل فيزوف قبل قرابة ألفى عام من الزمان .



15- هجرة نبى الإسلام ، محمد - ﷺ - (622م)

The Migration Of Mohammad (P.B.U.H) (622 A.D)

دأب المؤرخون غير المسلمين على تصوير هجرة نبى الإسلام ، محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة المكرمة إلى المدينة كما لو كانت مجرد «هروب Flight» لشخص كان مضطهدا فى موطنه الأصلى ، ضاق مواطنوه به ذرعا ، وضاق بهم ، ولم يعد يطيق العيش معهم .

فاضطر إلى الهروب اضطرارا ، وفر من موطنه الذى لم يعد يستطيع فيه استقرارا ، وكأنما لم يأمره الله بالهجرة تحقيقا لمشيئة إلهية بالغة الحكمة ، حتى لا يقال : إنه اعتلى عرش الملك فى موطنه ثم انطلق منه انطلاق الغزاة المعروفين فى التاريخ إلى أجزاء أخرى ونشر دينه بحد السيف ، اعتمادا على القوة الغاشمة والعسف ، وفى ثنايا ذلك يدسون أيضا كثيرا من الأكاذيب التى تحاول أن تظهر نبى الإسلام ـ عليه السلام ـ باعتبار أنه شخص غير سوى فى دوافع سلوكه وفى وسائله وغاياته .. كل هذه الأكاذيب فندها القرآن الكريم وردها على أصحابها . لقد كانت هذه الهجرة نقطة تحول بالغة الأهمية فى تاريخ البشرية .

نبى الإسلام ـ عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ـ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، أوحى الله إليه الشريعة الكاملة للدين الصحيح المتضمن للعقيدة السليمة الإلهية الخالدة كما أرادها الله للناس جميعا ، عقيدة وشريعة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . كانت رسالة كل رسول من رسل الله قبل ذلك قاصرة على قومه خاصة ، أما رسالة نبى الإسلام فهى موجهة من الله إلى البشر كافة فى كل مكان وكل زمان.

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ينتهى نسبة الشريف إلى سيدنا إسماعيل، الابن البكر لأبى الأنبياء والمرسلين ، سيدنا إبراهيم عليه السلام .

ولقد ولد نبى الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مكة المكرمة فى عام (570م.) وهو العام المعروف فى التاريخ العربى أنه «عام الفيل» ، إذ حاول أبرهة على

رأس جيشه أن يهدم الكعبة المشرفة ، ولكن الله أنقذ بيته الحرام وأرسل على أبرهة وجيشه طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ، كما جاء فى القرآن الكريم .

وكان أبوه عبد الله بن عبد المطلب قد توفى فى يثرب ، موطن أخواله – صلى الله عليه وسلم–قبل مولده ، وماتت أمه آمنة بنت وهب وهو فى السادسة من عمره ، فكفله جده عبد المطلب الذى توفى فى عام (578م)عندما كان سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – فى الثامنة من عمره . وكفله بعدئذ عمه أبوطالب حتى وفاته فى عام (620م)،وكان سيدنا محمد–صلى الله عليه وسلم قد بلغ عند وفاة عمه أبى طالب الخمسين من عمره، وكان قد تزوج وأعلن دعوته إلى قومه أن يتركوا عبادة الأصنام ليعبدوا الله وحده لا شريك له الذى خلقهم ورزقهم ، أما الأصنام، التى كانوا يعبدونها فهى لا تنفع ، بل إنها تضر بهم ضررا بليغا، إذ يشركون بالله الواحد ما يزعمون ألوهيته ، وهى ليست فى حقيقة الأمر إلا أصناما من صنع البشر ، ولكن معظم قومه فى مكة وما جاورها كذبوه وآذوه وقاوموه ولم يؤمن بدعوته إلى الدين الصحيح إلا قليل من أتباعه الذين اضطهدهم مشركو مكة كل الاضطهاد ، وعذبوهم واضطر كثير منهم إلى الهجرة إلى الحبشة .

واستمر نبى الإسلام – عليه السلام – مقيما فى مكة المكرمة يتحمل المشاق فى دعوة قومه إلى دين الله طوال ثلاثة عشر عاما كانت حافلة بالأحداث التى لا يتسع المجال لذكر تفاصيلها ، وقد أيده الله بأن أنزل عليه القرآن الكريم منجما معجزا لقومه، مفحما لزيغهم عن الدين الصحيح ، وداحضاً لرغبتهم فى التمسك بعبادة الأصنام ، مظهرا لبطلانها ، بأسلوب معجز ، ولم يجدوا سبيلا أو دليلا إلى إنكار إعجازه وإنزاله من عند الله على خاتم رسل الله – عليه الصلاة والسلام.

ووصلت محاولات كفار قريش فى إلحاقهم الأذى برسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الذروة عندما اجتمع زعماؤهم فى دار الندوة ، واستقر رأيهم على أن يختاروا من كل قبيلة من قبائل المشركين شابا قويا يتقلد سيفه ، وأن يقتحم أولئك الشبان دار رسول الله ﷺ ليضربوه ضربة رجل واحد ويتفرق دمه بين القبائل ، فلا يستطيع أبناء عمومته أن يحاربوا كل القبائل ثأرا لمقتله ، ويرضون بقبول الدية التى كان المشركون مستعدين لعرضها عليهم .

وجاء جبريل ـ عليه السلام ـ إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبلغه تفاصيل مؤامرة المشركين لاغتياله ، وأمره بالهجرة من مكة إلى المدينة وهكذا كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة بأمر الله وفقا لمشيئة الله وإرادته ، ونجح النبى – صلى الله عليه وسلم ـ فى الوصول إلى المدينة يوم الإثنين ، فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة (622م) واستقبله المسلمون من المهاجرين والأنصار فرحينَ مستبشرين .

ولعل السؤال الذى يتبادر إلى الأذهان بشدة هو : لماذا كان كفار قريش يحرصون إلى هذا الحد على منع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الهجرة ؟ وجواب هذا السؤال هو أنه كان لدى كفار قريش فى مكة أسباب مادية بحتة هى التى جعلتهم يحرصون كل ذلك الحرص الشديد على منع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأتباعه من الهجرة من مكة المكرمة إلى أى مكان آخر . كان كفار قريش أهل تجارة ، وكانت لهم علاقات تجارية ضخمة مع الحبشة ومصر والشام وكل أقاليم الإمبراطورية الرومانية ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى رحلة الشتاء ورحلة الصيف باعتبار أنهما من مصادر الرزق والدخل لأهل مكة . وكان من الطبيعى إذن أن يخافوا خوفا شديدا من هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة مثلا حتى لا ينتشر الإسلام فى بلاد الحبشة مما يؤثر سلبا على تجارتهم مع أهل الحبشة ، فأرسلوا بعمرو بن العاص بهدايا إلى ملك الحبشة ليحثه على أن يعيد المهاجرون المسلمين من الحبشة إلى أهليهم وذويهم فى مكة المكرمة على نحو ما هو معروف من ذلك . وكان من الطبيعى أيضا أن ترتعد فرائص التجار المشركين فى مكة من أن يهاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة حيث يوجد كثير من المهاجرين المسلمين وكثير من الأنصار الذين دخلوا فى الإسلام من أهلها كما هو معروف . وتقع المدينة مباشرة على طريق القوافل التجارية الخارجة من مكة ، والقادمة إليها مما يعتبر تهديدا مباشرا للنشاط التجارى لمشركى مكة ، وهو قوام حياتهم ، ولذلك كانوا يمكرون ويحاولون إبقاء سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأتباعه فى مكة ليكون تحت أعينهم وليكون تأثير انتشار الإسلام محدود النطاق داخل مكة لا يتجاوزها إلى مدن وأقطار أخرى ، ولكن مشيئة الله غلبت مشيئتهم ، والله غالب على أمره . ويمكرون ويمكر الله .. قضت المشيئة الإلهية أن ينجح النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الهجرة المدنية من مكة المكرمة إلى المدينة ولا راد لمشيئة الله .

ومن المفارقات الهامة المتعلقة بالهجرة أيضا أن اليهود فى المدينة كانوا قد قويت شوكتهم ، وتكاثرت أعدادهم ، فوجئ اليهود فى المدينة بأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو النبى المنتظر ، خاتم الأنبياء حقا وصدقا ، أنزل الله إليه القرآن الكريم متضمنا للشريعة الإلهية الكاملة ، ولكنه من بنى إسماعيل وليس من بنى إسرائيل كما كانوا يشتهون ، فكرهوا هذه الحقيقة الإلهية ، وأصر «معظمهم» على الكفر بنبوته ورسالته ، بل كانوا يجتهدون فى الكيد له ومحاولة القضاء على دعوته بكل الوسائل المتاحة . وكان ليهود المدينة فى عدائهم ومقاومتهم لدعوة الإسلام شئون ذات شجون ، وانتهى بهم الحال إلى الجلاء عن مدينة الرسول قبيلة بعد الأخرى لخيانتهم العهود والوعود كما هو دأب اليهود فى كل آفاق الوجود .

وهكذا كانت الهجرة النبوية نقطة تحول فى التاريخ البشرى كله ، ولم يستطع مشركو مكة التى هاجر منها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأتباعه ، ولم يستطع يهود المدينة التى هاجر إليها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه أن يطفئوا نور الله ، لأن الله يأبى إلا أن يتم نوره ، وكانت الهجرة النبوية وفقا للمشيئة الإلهية منارة غمرت أنوارها كل آفاق البشرية ، وكان لها شأن حاسم فى ظهور الإسلام واستمرار الدعوة إلى دين الله ، لكى تنطلق دعوة الإسلام بعد منعطف الهجرة النبوية لتشمل مساحات شاسعة من أرض العالم المعمور ، يغمرها حتى اليوم نور الإسلام ، هى ما نعرفه اليوم باعتبار أنه أرض الإسلام أو أرض العالم الإسلامى كما أراد الله لأرض الإسلام أن تتسع وتمتد. ونظرا لعظم الهجرة وأثرها فى مستقبل نشر الدعوة الإسلامية ، فقد اتخذ منها المسلمون مناسبة يؤرخون بها أيامهم .. وهذا ما رآه عمر ابن الخطاب وارتضاه المسلمون أجمعون ، باعتبار أن الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة علامة هامة وحدثاً مميزاً فى تاريخ الدعوة الإسلامية .





16- معركة تور (معركة بلاط الشهداء) (732 م)

The Battle Of Tours (732 A.D)

وقعت معركة تور فى اليوم العاشر من شهر أكتوبر سنة (732 م) بين العرب المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقى ، وجيش الفرنجة بقيادة شارل مارتل ، وتمكن جيش الفرنجة من رد جيش المسلمين على أعقابه فى هذه المعركة الحاسمة .

ويعرض المؤرخون الغربيون لذكر هذه المعركة بكثير من الفخر والغرور والتيه والتعالى والغطرسة ، كما لو كانت الشعوب الأوربية قد نجحت فى القضاء على غارة همجية بربرية !!

ونعرض فيما يلى لدراسة موقعة تور فى الإطار التاريخى الصحيح دون مغالطة أو تعصب ، ودون مبالغة أو تكبر .

امتدت حركة الفتح الإسلامى انطلاقا من شبه الجزيرة العربية شرقا لتقضى على الإمبراطورية الفارسية وتطوى كل الأراضى الفارسية ، ثم تتجاوزها شرقا حتى الهند وبلاد الصين وبلاد الأفغان وجنوب شرق أوربا حتى الحدود الروسية . كما امتدت حركة الفتح الإسلامى أيضا شمالا لكى تضم إلى أرض الإسلام كل الولايات التى كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية فى الشام وفلسطين ولبنان حتى جبال «طوروس» ، التى أصبحت الحد الفاصل بين أرض الإسلام وبقايا الإمبراطورية الرومانية ، بل امتدت أرض الإسلام شمالا لكى تضم أراضى آسيا الصغرى ليصبح مضيقا البوسفور والدردنيل هما الحد الفاصل بين أراضى المسلمين وأراضى الإمبراطورية الرومانية ، ناهيك عن عبور الأتراك العثمانيين لهذين المضيقين وإخضاعهم دول جنوب شرق ووسط أوربا لحكم الخلافة العثمانية ، وامتدت كذلك حركة الفتح الإسلامى فى كل شمال إفريقيا ، كما عبر المسلمون مضيق جبل طارق غربى البحر المتوسط عند التقائه بالمحيط الأطلسى إلى أسبانيا ، أو بلاد الأندلس، وأخضعوها للحكم الإسلامى لبضعة قرون من الزمان .

ويلاحظ أن حركة الفتح الإسلامى لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل من وجهين: أولهما : هو السرعة الكبيرة الخارقة للعادة ، وثانيهما : هو الاستقرار العربى الإسلامى فى كل هذه الأجزاء الشاسعة من العالم المعمور بحيث اكتسب السكان الأصليون لهذه البلاد المفتوحة اللغة العربية ، لغة الإسلام ، ولغة القرآن الكريم ، كما دخل معظم أهل البلاد والأقاليم التى خضعت للفتح العربى فى الإسلام طواعية واختيارا وليس قهرا وإجبارا .

وربما شهد التاريخ قليلا من حركات الفتح السريع لأجزاء شاسعة من الأراضى كما هو الشأن فى فتوحات الإسكندر المقدونى ، أو اكتساح الجيوش الألمانية لأراضى كثير من الدول الأوربية فى العامين الأولين من الحرب العالمية الثانية ، ولكن يلاحظ أن فتوحات الإسكندر الأكبر المقدونى قد ضاعت آثارها هباءً بعد وفاته وهو فى الثالثة والثلاثين من العمر دون أن يترك أية آثار بشأن اللغة اليونانية أو بشأن نشر الديانة التى

كان يعتنقها اليونان آنذاك ، مما يجعل حركة الفتح الإسلامى منقطعة النظير بين حركات الفتح السابقة واللاحقة دون شك أو جدال لأسباب كثيرة ، منها : بساطة ووضوح الإسلام عقيدة وشريعة ، إعجاز القرآن الكريم إعجازا حاسما ، عدم إجبار المسلمين رعايا أى أقليم خضع للحكم الإسلامى على اعتناق الإسلام ، لأن فرض عقائد الدين بالقوة مستحيل ، ولو تحقق منه شىء فهو سريع الزوال ، التسامح الإسلامى الذى لا يفرق بين عربى وأعجمى ، ولا بين أبيض وأسود ولا بين أحمر وأصفر إلا بالتقوى ، كل الناس فى شريعة الإسلام أبناء آدم ، وآدم من تراب ، وكل الناس فى شريعة الإسلام قد خلقهم الله من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا . ولقد توافرت هذه الأسباب كلها وتضافرت لكى تكفل لحركة الإسلام خاصيته التى انفرد بها من بين حركات الفتح السابقة واللاحقة .

فى ضوء هذه الحقائق ، وفى ضوء حقائق أخرى سنذكرها بعد قليل ، نسوق بين يدى القارئ الكريم لمحة عن معركة «تور» التى يبالغ المؤرخون الغربيون فى التعليق عليها وتحميلها أكثر مما تحتمل عندما يصبغون هذه المعركة بصبغة التعصب الدينى والاستعلاء والتفاخر الحضارى .

نحن الآن فى اليوم العاشر من أكتوبر سنة 732م وقد التقى جيش المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقى بجيش الفرنجة بقيادة شارل مارتل الملقب بالمطرقة Hammer وهو أحد الملوك الإفرنج وكان يحكم الجزء الشمالى من فرنسا .

ومنذ أواخر القرن الأول الهجرى (92 هـ =711م) كان طارق بن زياد قد عبر مضيق جبل طارق من شمال إفريقيا إلى أسبانيا ، وهزم جيش القوط تحت قيادة لذريق (رودريجو) فى معركة «وادى بكة» ، ودخل العاصمة طليطلة ، واستمر حكم العرب المسلمين فى أسبانيا خمسة قرون متصلة امتدت إلى حوالى ثمانية قرون فى جنوب أسبانيا .

ولم تكن الدول الأوربية فى إيطاليا وجنوب أوربا ليستقر لها قرار أو يهدأ لها بال وهم يشاهدون الزحف العربى الإسلامى بادئا من الطرف الجنوبى الغربى للقارة .

واستمرت محاولات الدول الأوربية المتاخمة لأسبانيا فى شن الغارات والمعارك ضد العرب المسلمين فى أسبانيا ، مما كان يضطر العرب المسلمين إلى التوسع شمالا فى سلسلة من الحروب الوقائية للسيطرة على مزيد من الأراضى الأوربية فيما وراء الجزء الشمالى من أسبانيا .

فى عام (102هـ =721م) خاض حاكم الأندلس العربى ، السمح بن مالك سلسلة من المعارك حتى استشهد فى معركة بالقرب من «تولوز» فى الأراضى الفرنسية بعد أن عبر بجيشه جبال البرانس الفاصلة بين أسبانيا وفرنسا .

وتولى حكم الأندلس بعد السمح بن مالك عنبسة بن سحيم الكلبى الذى قاد سلسلة من المعارك ، ووصلت جيوش الأندلسيين تحت قيادته إلى إقليم «بورجندى» على مسافة لا تزيد على 160كم من باريس ، ولكن عنبسة قتل فى كمين نصب له فى جبال البرانس فى طريق عودته على رأس جيشه إلى الأندلس سنة (106هـ =725م) مما يدل على وجود جيوب مقاومة لجيوش المسلمين خلف خطوطهم .

وتولى حكم الأندلس بعد عنبسة عبد الرحمن الغافقى الذى تقدم بجيشه وأخضع النصف الجنوبى من فرنسا حتى وصل على رأس جيشه إلى بلدة «تور Tour» على مسافة قليلة جنوبى العاصمة الفرنسية باريس .

ولم تكن فرنسا آنذاك تحت حكم ملك واحد ، بل كان شأنها فى ذلك شأن معظم الممالك الأوربية آنذاك مجرد أقاليم وولايات ، لكل ولاية أو إمارة ملك أو أمير، ولكل ولاية أو إمارة جيش صغير أو كبير حسب مساحة كل منها وحسب عدد سكانها .

وإزاء تقدم الجيش العربى الإسلامى تحت قيادة عبد الرحمن الغافقى إلى وسط فرنسا ، وهو جيش كان قوامه نحو 400 000 مقاتل ، اضطر حاكم ولاية «إيدو Eudo» فى وسط فرنسا إلى طلب النجدة من شارل مارتل Charles Martel الملقب بالمطرقة لشدة بأسة وقوة جيشه فى شمال فرنسا.

وفى اليوم العاشر من أكتوبر سنة (732م =113هـ) التقى جيش شارل مارتل بجيش عبد الرحمن الغافقى الذى أصيب بسهم أودى بحياته فى معركة تور ، مما أضعف معنويات جنوده وجعلهم يشرعون فى الانسحاب من المعركة ، وهكذا توقف تقدم المسلمين فى الأراضى الفرنسية إلى الأبد .

وينسى المؤرخون الغربيون كل المعارك التى انتصرت فيها جيوش المسلمين فوق الأراضى الأسبانية والفرنسية .

وليس انتصار جيش وهزيمة آخر حدثا منقطع النظير فى التاريخ الإنسانى بطبيعة الحال ، خصوصا عندما ندرك طول خطوط مواصلات الجيش الفاتح مما يبعده عن مواطن إمداده وتموينه بالرجال والسلاح ، ومن الطبيعى أن يضعف هذا الجيش بالتدريج ويفقد قوة اندفاعه شيئا فشيئا كما حدث بالنسبة لغزوة هانيبال بعد عبوره جبال الألب ومحاولته دخول روما . ولقد حدث ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية فى مرات عديدة أبرزها ضعف الإمدادات الألمانية لجيش روميل فى شمال إفريقيا مما جعله ينهزم فى معركة «العلمين» ، وكذلك تراجع الجيوش الألمانية عن الأراضى الروسية فى الحرب العالمية الثانية نظراً لطول خطوط الإمداد .

من طبائع الأمور فى المعارك الحربية أن تقف الجيوش الغازية عند حد معين لا تستطيع أن تتجاوزه ، وعندما يحاول جيش أن يتجاوز قدراته الهجومية يتعرض للهزيمة دون شك فى ذلك باطراد على مدار التاريخ .

ولا ينبغى أبدا أن ننسى أن الحروب والمعارك الكبرى إنما هى أسباب لتحديد مصائر شعوب ودول وأمم وفقاً لإرادة الله ومشيئته . وخلاصة القول فى هذا الصدد هو أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد شاءت إرادته أن تتوقف الفتوحات الإسلامية فى جنوب غرب أوربا عند بلدة «تور Tour» وأن تتوقف الفتوحات العثمانية عند ڤيينا فى جنوب شرق أوربا ، لتظل قارة أوربا مغلقة فى وجه الفتوحات العربية الإسلامية بعد ذلك ، حيث تحرص القيادات المسيحية فى أوربا على أن تظل مغلقة فى وجه أى اختراق عربى إسلامى .

17- الحملة الصليبية الأولى (1096م - 1099م)

The First Crusade (1096 - 1099 A.D)

يوجز مؤرخ غربى مغزى وخلاصة وعبرة وأهمية الحملة الصليبية الأولى (1096 ـ1099م) عندما يكتب عنها تحت العنوان مباشرة باللغة الإنجليزية ما يلى :

(The Pilgrimage That Marked The Revival Of Religion In Europe)

ومعناه ، كما لا يخفى ، هو أن الحملة الصليبية الأولى إنما كانت من وجهة نظره هى : «رحلة الحج التى أعادت الحياة إلى الدين فى قارة أوربا !» .

هل كانت الحملة الصليبية الأولى حقا بمثابة رحلة حج وبعث جديد ، وهى التى جعلت الحياة تدب من جديد فى أوصال الدين المسيحى فى أوربا ؟ يدحض هذا الادعاء دحضا تاما حقيقة أن المسيح عليه السلام لم يكن بأى حال من الأحوال



داعية حرب ، بل كان داعية سلام يدعو إلى تحقيق السلام فى النفس البشرية بالوداعة والهدوء والقناعة والعزوف عن الإسراف فى الإقبال على أسباب اللذات الحسية ، والاكتفاء من الحياة بما يقيم أودها . دعا المسيح ـ عليه السلام ـ أيضا إلى السلام مع الآخرين ونبذ الحروب ، وهو القائل : «كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (متى 26 : 52) ، ودعا المسيح ـ عليه السلام ـ إلى نبذ الثورة ضد الملوك والحكام ، وهو القائل : (اعط ما لله لله وما لقيصر لقيصر) داحضاً بذلك الاتهام الذى كان خصومه من اليهود قد حاولوا إلصاقه به ، وهو الاتهام بأنه كان يدعو اليهود إلى عدم دفع الجزية ، ودعا المسيح ـ عليه السلام ـ إلى العزوف عن التهافت للحصول على السلطة السياسية وفرض النفوذ والهيمنة على الآخرين عندما قال للحاكم الرومانى بيلاطس : «مملكتى ليست من هذا العالم» داحضا بذلك اتهام اليهود له بأنه يريد الاستقلال بفلسطين عن السيطرة الرومانية ليصبح المسيح ـ عليه السلام ـ ملكا لليهود فيما زعم اليهود زورا وبهتانا . كان المسيح ـ عليه السلام ـ داعية سلام مع النفس ومع الآخرين ، ويطلق عليه المسيحيون ـ ولهم كل الحق فى ذلك – لقب «أمير السلام Prince Of Peace» .

كيف إذن قلب المسيحيون حجر الزاوية فى دعوة المسيح ـ عليه السلام ـ ونبذوا كل ما نادى به من سلام وامتشقوا الحسام ليشنوا الحملة الصليبية الأولى ضد أقطار إسلامية فى الشام وفلسطين ، دون أى مبالاة بسفك دماء الملايين من الناس مسلمين ومسيحيين ؟

كيف بدأت الحملة الصليبية الأولى ؟ وماذا كانت وقائعها ؟ وكيف كانت نتائجها ؟

هل كان دعاة الحملة الصليبية يعتقدون أنها الأولى والأخيرة ؟ كيف ولماذا لم تكن الحملة الصليبية الأولى هى الأولى والأخيرة ؟

شن الصليبيون الحرب فى الحملة الصليبية الأولى دون أن يعرفوا عواقبها ، ودون أن يدركوا نتائجها ، وأنى لهم أن يطلعوا على الغيب المخبوء فى المستقبل وهم يجهلون كل الجهل ما يتضمنه المستقبل ؟

غرور القيادات المسيحية فى العصر الوسيط هو الذى زج بملايين الضحايا فى المأزق المأساوى الدموى للحروب الصليبية لتنتهى بعد ثلاثة قرون من الزمان الحملات الصليبية دون أن تحقق أى هدف من أهداف الزعامات المسيحية لدى الكنيسة

الكاثوليكية التى حرصت على أن تشن الدول الأوربية سلسلة من الحروب الدموية ضد الأراضى والأقطار الإسلامية من عام 1095م حتى عام 1291م عندما تمكن السلطان قلاوون وابنه الأشرف خليل من طرد آخر بقايا الصليبيين من فوق الأراضى العربية الإسلامية .

ولقد كانت بداية الحملة الصليبية الأولى هى تلك الخطبة التى ألقاها البابا «أوربان الثانى Urban II» الذى اعتلى الكرسى البابوى فيما بين عامى (1088ـ1099) ، وألقى خطبته الشهيرة فى حشود المستمعين وبينهم حشد من حكام وأمراء الدويلات الأوربية فى حقل فسيح فى كليرمون جنوبى فرنسا لبدء تحريك حملة حربية ضد المسلمين فى فلسطين ، إذ قال البابا أوربان الثانى فى ثنايا خطبته بالحرف الواحد ما يلى : «إننى أخاطب الحاضرين ، وأعلن أولئك الغائبين من المسيحيين أنه فضلا عن أن المسيح يأمر بالحرب لتخليص أرض المسيح من أيدى الكفار ، فإنه سوف يتم غفران ذنوب كل أولئك الذاهبين إلى هناك إذا ما انتهت حياتهم بأغلالها الدنيوية سواء فى مسيرتهم على الأرض ، أو أثناء عبورهم البحر ، أو فى خضم قتالهم ضد الوثنيين . وهذا الغفران أمنحه لكل من يذهب بمقتضى السلطة التى أعطانى الرب إياها ... » .

ولم يكن المسيح ـ عليه السلام ـ يأمر بتلك الحروب ، بل كان أميرا للسلام، داعية إليه كما سبق أن أشرنا ، ولم يكن البابا أوربان الثانى يستطيع أن يغفر ذنوب الناس لأنه لا يغفر ذنوبهم إلا الله ـ سبحانه وتعالى . ولم يكن المسلمون كفارا ، بل إنهم يعبدون إلها واحدا قهارا . وليس المسلمون وثنيين ، بل كان الإسلام هو الدين الوحيد الذى أبطل ودحض عبادة الناس للأصنام على المستوى المادى وعلى المستوى العقلى . وكان نبى الإسلام ـ عليه السلام ـ هو الذى حطم الأصنام مرددا : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء :81] .

وهكذا منح البابا أوربان الثانى الأمراء المسيحيين الذين استمعوا إلى خطبته عصا ، وتصريحا بالحرب ضد المسلمين لاحتلال القدس وبيت لحم ، ولقب جندى المسيح، وصكا بغفران الخطايا والآثام ، وهى الصكوك التى ثار ضدها وأعلن بطلانها «مارتن لوثر Martin Luther (1483ـ 1546م) الذى تزعم حركة الإصلاح البروتستانتى الرافضة لصكوك الغفران المناوئة للكاثوليكية .

لقد كانت فكرة الحرب ضد بلاد المسلمين قد داعبت الأحلام فى أوربا بتحريض

من الكنيسة الكاثوليكية لطرد المسلمين من أسبانيا ، ثم تحولت الفكرة نحو حرب المسلمين من جهة الشرق أيضا . وبعد أن كانت الفتوحات الإسلامية تهدد أوربا غربا من أسبانيا وشرقا من القسطنطينية ، تحول المسيحيون من الدفاع غربا وشرقا إلى الهجوم .

وكان ذلك عندما ظهرت بوادر الخلاف وأسباب الفرقة والانقسام بين أجزاء العالم الإسلامى ، ولم تعد البلاد الإسلامية يحكمها خليفة واحد من عاصمة واحدة، بل أصبحنا نجد فى القرن العاشر الميلادى أو الرابع الهجرى خلافة عباسية سنية المذهب فى بغداد ، وخلافة فاطمية شيعية المذهب فى القاهرة ، وخلافة أموية فى الأندلس ، ناهيك عن استقلال الحكام والأمراء وقادة الجند بالأقاليم تحت سيطرتهم استقلالا شبه تام عن أى عاصمة إسلامية من تلك العواصم الثلاث ، مما شجع أوربا على محاولة استعادة الأراضى التى فقدتها الإمبراطورية الرومانية المسيحية أمام حركة الفتح الإسلامى اعتبارا من القرن الأول لظهور الإسلام ، عندما شاهدوا التفكك والتشرذم يسود العالم الإسلامى نتيجة الانغماس فى متاهات السياسة الدنيوية، والتهافت على الملذات والاستحواذ على السلطة ، وأصبحت أرض العالم الإسلامى مجزأة إلى إقطاعات تشبه كل الشبه الإقطاعات الأوربية بعد أن ابتعدت عن قيم الإسلام الروحية التى كانت تربط بين أجزائها ، فلماذا لا تكون هذه الفرقة وذلك الانقسام إغراء للكاثوليكية المسيحية أن تستعيد كل ما فقدته الإمبراطورية الرومانية ؟ ولماذا لا تستعيد الكنيسة الكاثوليكية نفوذها الذى كانت تمارسه فى ظل السيطرة الرومانية فى الشام وفلسطين ومصر وكل الساحل الجنوبى للبحر المتوسط ؟

من هنا ، ونظرا للجهل والظلام الذى كان يسود أوربا فى العصر الوسيط ، ونظرا للتواطؤ المستمر بين الكنيسة الكاثوليكية والسلطات السياسية والعسكرية الحاكمة فى أوربا ، كانت الأجواء مهيأة لبدء الحرب الصليبية الأولى ضد أقطار العالم الإسلامى بدءا من عام 1095م ، ثم توالت الحملات الصليبية الأخرى على مدار ثلاثة قرون حافلة بالمعارك وسفك دماء المسيحيين والمسلمين على السواء .

ومن غير المجدى فى هذه العجالة الموجزة أن نستعرض تفاصيل معارك ووقائع الحروب الصليبية المتتالية ، ونكتفى بعرض قليل من مناظر الإعداد للحملة الصليبية الأولى . لعب «الهوس الدينى Religious Phobia» برءوس الأوربيين بعد استماعهم إلى خطبة البابا أوربان الثانى سنة 1095م ، وانتشار أخبارها فى الأقطار الأوربية انتشار النار فى الهشيم ، خصوصا أن البابا أوربان الثانى كان قد أعد وانتقى جمهور

المستمعين لخطبته تلك إعدادا جيدا ، إذ عمد مسبقا إلى توجيه الرسائل والمبعوثين إلى ملوك وأمراء الدول الأوربية يدعوهم إلى الحضور إلى الخطاب المرتقب الذى كان البابا سيتفضل بإلقائه على مسامعهم ، وكانت تلك الدعوة على هذا النحو منقطعة النظير مثيرة للفضول ، فحضر ـ معظم إن لم يكن كل ـ ملوك وأمراء الدول الأوربية إلى كليرمون ليستمعوا إلى البابا ، ويعرفوا ما كان يريد أن يقوله لهم .

وهكذا نجح البابا فى أن يضمن جمهورا على أعلى مستوى من القوة والنفوذ فى كل الدول والإمارات الأوربية فى آن واحد ، مما جعل مضمون خطبته تلك ينتشر بسرعة فائقة منحدرا من أعلى سلطة فى كل دولة من الدول الأوربية إلى جموع الشعب فى كل منها ، وليجد الجميع هدفا مشتركا يسعون لتحقيقه لكسر الرتابة والجمود فى حياة الأمراء والحكام الحافلة بالترف ، وحياة الناس الفقراء الحافلة بالبؤس والظلم والشقاء ، بحيث يجد الأمراء والحكام شيئا يفعلونه وهدفا يحققونه ، وبحيث يجد الناس الفقراء ظروفا للحياة فى بلاد أخرى ربما تكون أفضل من حياتهم البائسة اليائسة ، إذ من المحتمل أن تحقق لهم مزايا دنيوية ومزايا أخروية ، وشاعت بين الناس فى مختلف أنحاء أوربا عبارة لاتينية هى «Deus To volt» ومعناها : «الرب يريدها» أى أن الرب يريد هذه الحرب الصليبية ضد المسلمين . من الذى قال لهم : «الرب يريدها؟» هل قال لهم الرب ذلك ؟ بالطبع لا . ولكن البابا أوربان الثانى هو الذى قال لهم ذلك . وما دام البابا قد قال لهم هذه المقولة فقد اعتبروا أن الله قد قال هذه العبارة ، وكأنهم بذلك قد خلطوا بين البابا وبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يكفهم أن يجعلوا المسيح هو الرب ، وها هم أولاء يعتبرون أن الكلام الذى يصدر عن البابا هو كما لو كان كلاما يصدر عن الرب !

ومن المشاهد المعبرة عن الهوس الدينى فى فترة الاستعداد والتحضير للحملة الصليبية الأولى مشهد ذلك القس الراهب المسمى بطرس الناسك الذى كان معاصروه يطلقون عليه لقب« كيوكيو Kiokio» أى الصغير ، لضآلة جسمه . وكان بطرس الناسك هذا راهبا فى بلدة إميان ، وهجر الدير بتكليف من البابا أوربان الثانى لكى يقوم بدعوة الناس الفقراء وعامة الشعب للاشتراك فى الحملة الصليبية التى دعا إليها البابا . وقضى بطرس الناسك عامى 1096/1095 م فى شمال وشرق فرنسا واللورين يتجول من مكان لآخر داعيا إلى المشاركة فى حملة البابا . وفى كل مكان كان يذهب إليه كان يسحر ويخلب ألباب عامة الناس بفصاحته ومقدرته الخطابية التى كانت تتناقض مع هيئته الزرية ، إذ كان بينه وبين حماره شبه عجيب ، كان

حماره الذى يتنقل به من مكان إلى مكان وهو يمتطيه حمارا ضئيل الحجم زرى الشكل . وحيثما كان يحل بطرس الناسك ممتطيا حماره كان الفقراء المشدوهون يهرعون للالتفاف حوله ، ويستمعون إلى خطبة حماسية تلهب عواطفهم وتخلب ألبابهم وهو يكيل الاتهامات الزائفة للإسلام وللمسلمين وللقرآن الكريم ولنبى الإسلام ـ عليه السلام ـ .. وكانوا أيضا يتسابقون لنزع شعرات من ذيل الحمار المسكين ومن جسده طلبا للبركة !

وهكذا أصبح بطرس الناسك تجسيدا للهوس الدينى فى أوضح صوره إلى حد أن اعتبره بعض المؤرخين الغربيين «أمير الحروب الصليبية» ، ومن طريف ما يروى بشأن بطرس الناسك هذا أنه كان أول من حاول الهروب من بين الصليبيين أثناء حصار الصليبيين داخل أنطاكية .

ونمضى قليلا لمتابعة تصرفات بطرس الناسك لنجد أن صغار الفلاحين فى وسط أوربا لم ينتظروا الموعد الذى حدده البابا والحكام والأمراء لبدء الحملة الصليبية ريثما يتم الإعداد لهذه الحملة ، بل أفضى بهم الحماس والهوس الدينى إلى أن يقتنعوا بقيادة بطرس الناسك لجموعهم بعد أن حصدوا محاصيلهم الزراعية فى ربيع سنة 1096 ، وحملوا كل ما يمكن حمله فوق العربات التى كانت تجرها الثيران ، ومعهم زوجاتهم وأطفالهم ليتحرك موكب حاشد من الفلاحين وراء بطرس الناسك لغزو الشرق ، مطلع الشمس ، الأرض التى كان يعيش فوق ترابها السيد المسيح .

وقاد بطرس الناسك هذا الجيش البائس ، واشترك معه فى قيادة ذلك الجيش أحد الفرسان من بلدة «بواسى Poissy» كان يدعى الخبرة العسكرية الرفيعة المستوى هو «والتر المفلس Walter Sanavoir» .

وعبر جيش بطرس الناسك و والتر المفلس بلاد المجر ، ثم استجدت مطالب تموين وإعاشة أفراد هذا الجيش الذى لم يجد مناصا من اللجوء إلى ممارسة أبشع أساليب النهب والسلب والقتل فى الأراضى البلغارية للحصول على ما يلزم لإعاشة جيش ليس له مصدر إمداد وتموين منظم ، مما اضطر البلغار إلى مهاجمة جيش بطرس الناسك و والتر المفلس .

وعلى كل حال ، فقد وصل جيش بطرس الناسك ووالتر المفلس إلى مدينة سملين على مقربة من حدود الدولة البيزنطية ، وكشف «جيش الرب» عن وجهه القبيح ، وجرت على بلدة سملين وأهلها مذبحة رهيبة ، وأزهقت أرواح أربعة آلاف

من أهلها (*)، وتحولت المدينة إلى خراب يتصاعد منها دخان الحرائق التى أشعلها الفرنج فى كل مكان ، وتعالت أصوات الجرحى من جراء الجرائم التى كان يرتكبها «جنود الرب» ضد الإخوة المسيحيين الذين زعم «جيش الرب» أنه سيستعيد لهم أمجادهم الضائعة .

وعندما وصل جيش الرب إلى مدينة «نيش Nish» عند الحدود الفاصلة بين المجر وبين أراضى الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) خاف «نيكتياس Niktias» قائد الحامية البيزنطية على مدينته من تصرفات هذه الجموع الخرقاء الهمجية . ولم يخيب جيش بطرس الناسك شكوك القائد البيزنطى ، فلقد أحرق جنود بطرس الناسك مساكن القرويين مع سكانها الأحياء فى داخلها ، ونهبوا وسلبوا . وعندئذ هاجم البيزنطيون جيش بطرس الناسك فقتلوا الكثير من رجاله وأسروا عددا كبيرا منهم ، واستولوا على الأموال والتبرعات التى كان ذلك الراهب قد جمعها من دول وسط وغرب أوربا . وبعد ثلاثة أيام من التشتت عاودت شراذم جيش بطرس الناسك التجمع وسارت صوب مدينة «صوفيا Sofia» ، وهناك لقيهم مندوبون عن الإمبراطور البيزنطى «ألكسيوس كومنينوس» ، أبلغوا بطرس الناسك أن الإمبراطور يأمر أن لا يقيم جيش بطرس الناسك فى أى مدينة ، أو قرية من بلاده أكثر من ثلاثة أيام . واستمر جيش بطرس الناسك فى تقدمه حتى وصل إلى أسوار القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية فى أول شهر أغسطس سنة 1096 م.

ولدى مقابلة الإمبراطور أليكسيوس كومنينوس مع بطرس الناسك أدرك الإمبراطور أن هذه الجموح الهائجة لن تصمد أمام جيش أى ولاية إسلامية من الولايات الإسلامية المتاخمة لأراضى الإمبراطورية الرومانية الشرقية . ونصح الإمبراطور أن ينتظر بطرس الناسك وجيشه وصول جيش الأمراء والقادة العسكريين الأوربيين الذين يعرفون فنون القتال ، ولكن بطرس الناسك كان مغترا لكثرة عدد أفراد جيشه .

وحاول جنود جيش الرب أن يعيثوا فسادا فى القسطنطينية نفسها ، مما جعل الإمبراطور يأمر جيشه بضرورة إجلاء جنود جيش الرب عنها على الفور ، فعبروا مضايق البوسفور والدردنيل إلى آسيا الصغرى . وكانت معظم البلاد هنالك يقطنها مسيحيون ، وهنالك تصرف جنود «جيش الرب» على نحو لا يرضى عنه الرب ، وارتكبوا أبشع المذابح ضد الأهالى المسيحيين . وحاولوا التقدم نحو بلاد المسلمين ، ولكن جنود جيش الرب وقعوا فى كمين نصبه لهم الأتراك السلاجقة ، وأجهزوا

(*) د. قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية – ص 118 عالم المعرفة بتصرف .

على جيش الرب ، وقتلوا «والتر المفلس» على حين تمكن بطرس الناسك من الفرار إلى القسطنطينية .

بيد أن الحملة الصليبية الأولى لم تنته أحداثها ووقائعها بتبديد شمل جيش بطرس الناسك وهزيمته ، إذ أن جيوش الأمراء والملوك في العديد من الممالك والإمارات الأوربية كانت تستكمل استعداداتها للحرب ضد الأقطار الإسلامية فى أواخر صيف عام 1096م . وتكونت بالفعل عدة جيوش كبيرة منفصلة بسبب اختلاف اللغة التى يتكلمها أفراد كل منها واختلاف الجنسيات وانفصال الإقطاعيات الأوربية آنذلك .

خرج من فرنسا جيشان أحدهما تحت قيادة «جودفرى البيونى Goudfrey De Bouillon» وأخيه «يلدوين» وهو جيش كبير خرج من اللورين وشمال شرق فرنسا وغرب ألمانيا ، كما خرج من غرب وجنوب فرنسا جيش كبير آخر يقوده «روبرت دوق نورماندى Robert Of Normandy» وزوج أخته «استيفين» أمير وحاكم إقليم بلوا «Stephen Of Blois» . وخرج جيش ثالث من من تولوز تحت قيادة «ريموند الرابع» حاكم إقليم تولوز«Raymond Iv Of Toulouse» الذى كان قد بلغ الستين من العمر ، وكان فى صحبته الكاردينال «لوبوى» المندوب البابوى فى الحملة الصليبية الأولى . وكان الجيش الرابع تحت قيادة «هيو» حاكم إقليم فرماندوا «Hugh Of Vermandois» الذى كان أول جيش يصل من طلائع هذه الجيوش الأربعة . ومن الواضح أن هذه الجيوش قد خرجت من فرنسا وغرب ألمانيا ، وخرج مع هذه الجيوش الأربعة جيش خامس من جنوب إيطاليا يقوده «بوهيموند النورمانى» .

خمسة جيوش نظامية تحت قيادة ملوك وأمراء وقادة عسكريين محترفين متمرسين بخوض معارك القتال ، اتجهت نحو الدويلات الإسلامية المفككة الأوصال ، التى كان حكامها قد استقل كل منهم بواحدة منها لكى يناصب الدويلات الإسلامية الأخرى العداء . وإذا كانت أول إمارة سلجوقية إسلامية قد تمكنت من دحر جيش الغوغاء الذين كان يقودهم بطرس الناسك ووالتر المفلس بسهولة تامة ، فلقد كان من الطبيعى أن تلتهم جيوش الحملة الصليبية الأولى الخمسة هذه الولاية السلجوقية التى كان يحكمها «قلج أرسلان» وتتجاوزها لتلتهم ما بعدها من ولايات إسلامية بكل سهولة أيضا واحدة إثر الأخرى بطريقة الالتهام العسكرى قطعة بعد قطعة فى هجمات سريعة متتالية Piece Meal Attacks ، وهى هجمات سهلة للجيش المهاجم ، ومن الصعب أن يصمد فيها الجيش المدافع بسبب ميراث ضخم من الشكوك والعداوة والمنازعات والدسائس والمؤامرات لتتوسع كل إمارة من الإمارات الإسلامية على

حساب الإمارة الأخرى المجاورة لها ، وحولت الأطماع السياسية المتعلقة بحطام الدنيا أرض الإسلام إلى دويلات شبيهة بالدويلات والإمارات والإقطاعات التى كانت موجودة فى أوربا ، ولم يعد العالم الإسلامى يحكمه «خليفة» واحد من عاصمة واحدة ، ولم تعد كل البلاد تتضافر جهودها الحربية ضد أى عدو فى أية حرب . وكان لابد من دفع ثمن باهظ لذلك الانقسام وتلك الفرقة عندما هاجمت جيوش الحملة الصليبية الأولى الولايات والإمارات الإسلامية واحدة بعد الأخرى ، ولكن جيوش الصليبيين لم تكن فى نزهة داخل بلاد المسلمين ، إذ كانت تتعرض باستمرار لحرب عصابات يشنها جماعات من الأهالى المسلمين على شكل حرب عصابات تلقائية تظهر وتختفى وتضرب وتختبئ ، توقع الخسائر بالجيش المهاجم ، ولكنها لا تكفى لدحره ورده على أعقابه ليعود من حيث أتى.

وكان الجيش الصليبى يتقدم فى طريقه غير مبال بالخسائر الناجمة عن حرب العصابات ، وجنح جيش «بلدوين» شرقا واستولى على إمارة الرها فى شمال العراق ، وأقام بها وقد عزم على الاستقرار فيها منسلخا عن بقية جيوش الحملة الصليبية الأولى ، وكأنما كان شمال العراق مزارا من مزارات الحجاج المسيحيين ، وكأنما لم يكن الحج إلى بيت المقدس هو هدف الحملات الصليبية .

وفى شهر أكتوبر 1097 بدأ الصليبيون حصار إنطاكية ، وأسرفوا فى السلب والنهب من القرى المحيطة بها لتموين الجيش بالطعام وكل ضرورات الإعاشة . وأصر «بوهيموند» على أن يكون ملكا على مدينة أنطاكية وهدد بالانسحاب إن لم يحقق له الصليبيون مطلبه ، أى أنه هو الآخر ، شأنه شأن «بلدوين» لم يكن يعنيه من شأن الحج إلى بيت المقدس أى شىء . ونجح الصليبيون فى دخول أنطاكية بعد حصار طويل وتسلم بوهيموند القلعة الموجودة بها من قائد تلك القلعة «أحمد بن مروان» . وتنازع «ريموند» مع «بوهيموند» فى السيادة على أنطاكية ، ونشب قتال بينهما ، وتمكن بوهيموند من طرد ريموند من المدينة ، ولم يجد الأخير بداً من التقدم من الشمال إلى الجنوب ليبحث لنفسه عن إمارة يكون ملكا عليها . وأفضى ذلك النزاع إلى تأخير تحرك الجيش الصليبى نحو بيت المقدس حتى أواخر سنة 1098 م . وانضم جيش كل من جود فرى وتنكرد إلى جيش «بوهيموند» ووصلوا إلى مدينة بيت المقدس فى شهر يناير 1099 م وتمكن الصليبيون من اقتحام القدس فى يوم الجمعة الموافق 15 يوليو 1099 (22 شعبان سنة 492 هـ) . وسالت الدماء بغزارة فى شوارع المدينة المقدسة .

وليس مــن هــدفنا فى هــذه العـجـالة الموجـزة أن نعـرض تفـاصـيل الحـملة الصليبيـة الأولـى ولا الحمـلات الصليبيـة التاليـة لهـا عـلى مـدار ثلاثة قـرون متتالية، لأن ذلك يستغق كتبـا ضخمـة الحجـم ، وتوجد بالفعل كتب كثيرة تعرض تفاصيل أحداث ومعارك تلك الحروب الصليبية ، ولكن هدفنا هنا من تأمل بعض أحداث ووقائع افتتاحية الحملة الصليبية هو أن نتحقق ما إذا كانت الحروب الصليبية قد قامت بسبب رغبة المسيحيين فى أوربا فى تأمين طريق الحج إلى بيت المقـدس ، وأن نتحقق ما إذا كـانت الحروب الصليـبيـة « إحيـاء للدين فى أوربا «Revival Of Religion In Europe» .

لقد كانت للحروب الصليبية أسباب وأهداف أخرى غير تأمين طريق الحج إلى بيت المقدس . كانت الأسباب الحقيقية للحروب الصليبية هى :

1- تعاسة الشعوب المسيحية فى ظل نظام إقطاعى ظالم مظلم .

2- رغبـة ملوك وأمـراء أوربا فى الحصـول على إمـارات وممالك خـارج قـارة أوربا إشبـاعـا لرغبـتـهم فى المزيد من السيطرة والسلطة على الآخـرين . وحب السيطرة والسلطة من أهم دوافع السلوك الإنسانى منذ خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الأرض ومن عليها ، وهو السبب الحقيقى للكثير من المنازعات والحروب على مستوى الأفراد والأمم .

3- الرغبة فى الثأر من هزيمة الجيوش الرومانية أمام حركة الفتح الإسلامى فى فلسطين والشام ومصر وشمال إفريقيا وبلاد الأندلس .

4- رغبة البابا والقيادات الدينية والمسيحية فى المزيد من السيطرة على ملوك وأمراء أوربا ، وممارسـة القـدرة والسلطة الدينيـة لتـأثيـرها على السلطة الأمنيـة السيـاسـيـة والعسكرية، ذلك بتحديد هدف كبير وشعار فضفاض خلاب ينسى العاطفة الدينية بطريقة غامضة ، ولكنهـا رغم غمـوضهـا بالغة التأثير ، وأفضت إلى إشعال حماسة دينية زائفة فى قلوب الملوك والأمراء وعامة الشعوب الأوربية على حد سواء فى صورة من أوضح صـور الهـوس الدينى Religious Phobia الذى ربط بين الحج وحصـول المسيحى على صك من صكوك الغفران .

ولـم تكـن الحـروب الصليبيـة تهـدف إلى تأمين طريق الحج للمـسيحيين فى دول أوربـا علـى الإطـلاق . أى حـج ذاك الـذى يبـرر احـتـلال أراض وإقـامـة

ممالك فى بقاع مثل الرها فى شمال العراق أو أنطاكية فى شمال بلاد الشام والمسيح – عليه السلام– لم يطأ هذه البلاد بقدميه على الإطلاق ؟

أى حج ذاك الذى يمارسه الحجيج وهم يصطحبون معهم كل أسلحة القتال فى جيوش ضخمة تسفك الدماء ، وتحرق وتدمر القرى ، وتفضى إلى هلاك كثير من المسيحيين والمسلمين على حد سواء ؟

لقد كانت الحروب الصليبية هى التجربة الأولى لحملات الاستعمار الأوربى فى العالم العربى الإسلامى ، إذ أثبتت هذه الحروب الصليبية أن التغلب على جيش المسلمين ممكن بعد أن كان الأوربيون يعتقدون من خلال التجارب العديدة السابقة أن ذلك هو المستحيل بعينه عندما كان العالم الإسلامى يحكمه «خليفه واحد» من «عاصمة واحدة» ، وكان بالعالم الإسلامى «بيت مال واحد» . ولكن دوام الحال من المحال ، وسبحان مبدل الأحوال .

ولقد كانت الحروب الصليبية أيضا مرشدة وملهمة لحركة الاستعمار الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أعلن الصهاينة قيام دولة إسرائيل فى عام 1948 م .

ولم يقض صلاح الدين الأيوبى فى «معركة حطين» على كل الوجود الصليبى فى العالم الإسلامى ، بل يرجع إلى صلاح الدين الأيوبى الفضل كل الفضل فى عدم السماح للخطر الصليبى بالتوسع أولا ، وفى تدميره للبنية الأساسية للجيش الصليبى فى معركة حطين ثانيا ، وتكفل من جاء بعده من الملوك الأيوبيين بالقضاء التام على الوجود الصليبى فوق الأرض العربية . ومن هنا تتضح أهمية وخطورة تدمير القدرة البشرية لدى العدو ، لأن العنصر البشرى هو أهم أجزاء آلة الحرب وهو العنصر الأساسى الذى لا يمكن تعويضه فى بناء الجيوش ، ولم تستطع أوربا بالفعل تعويض الخسائر البشرية فى صفوف الصليبيين بعد معركة حطين . وينبغى أن يكون ذلك درسا مستفادا ودليلا مرشدا للعمل ضد العدو . ويدرك الصهاينة دلالة هذا الدرس جيدا ، والدليل على ذلك هو قول «ليفى أشكول» رئيس وزراء إسرائيل فى أول خطبة له يلقيها بعد حرب 1967 مباشرة ، إذ قال فى خطبته تلك : «تسألوننى ماذا نحتاج إليه الآن ؟ وأنا أقول لكم كلمة واحدة : نحتاج إلى «يهود» . نحتاج إلى مهاجرين جدد يأتون للمعيشة فوق أرض إسرائيل» .

18 - معركة حطين (1187 م)

The Battle of Hutten

في يوم السبت ، الرابع من شهر يوليو من عام 1187م ، الموافق الخامس والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة 583هـ، احتدمت واختتمت معركة حربية فاصلة بين جيوش السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وجيوش مملكة بيت المقدس وسائر الإمارات الصليبية بالشرق ، عند مرتفع بركانى قديم .. تقول الروايات المسيحية : إنه الموضع الذى ألقى عنده المسيح ، عليه السلام ، موعظة الجبل !!

واسم ذلك الموضع «تل حطين» .. أو قرون حطين ، وهو على مسافة نحو خمسة أميال من الشمال الغربى من مدينة طبرية ..ويمر عليه المسافر العابر من طبرية إلى عكا ، فلا يرى من ماضى مجده العالى سوى صمت صخرى مستديم ، تكسوه أشعة شمس لافحة ، لاسيما حينما يكون الوقت من قيظ الصيف ، فى مثل يوم وقعة حطين !!

غير أن لذلك الصمت الحاضر مناقض من ضوضاء هادرة صاخبة ماضية ، يسمعها المتصفح لتاريخ هذا اليوم الذى سلك فيه الصليبيون مسلك الباحث عن حتفه بظلفه .. أو مسلك الحافر قبره بيده !!

والحديث عن معركة حطين يعود بنا إلى ما قبلها .. لماذا وقعت ؟

كان صلاح الدين مشغولا باستكمال الجبهة الإسلامية المتحدة بالشرق الأوسط تحت رايته ، تمهيداً لما عقد النية على النهوض به وهو القضاء على السيطرة الصليبية فى فلسطين .. وفى الوقت الذى كان فيه صلاح الدين يؤمن حلب والموصل وما بينهما ، قام الصليبيون بالإغارة على حوران وضواحى دمشق ، وذلك فى محاولة منهم لإفساد خطة صلاح الدين الأيوبى .

وكان هناك آخرون منهم راودتهم فكرة إعاقة خطة صلاح الدين بالإغارة على أجزاء من الدولة الإسلامية .. وكان من بين هؤلاء الصليبى الفرنسى الأصل ، والخبير بالحروب الصليبية وفلسطين ، «ريجنالد شاتليون» أمير حصن الكرك ، فى الجنوب الشرقى من البحر الميت ، وهو المعروف فى المراجع العربية باسم «أرناط» .

لم يكن هذا «الأرناط» أن يسمع بخبر مسير صلاح الدين شمالاً نحو حلب فى تلك السنة (1182) حتى أخذ فى تنفيذ مشروع راوده من سنين ، فأعد سفنا حربية صغيرة ، نقلها على هيئة أجزاء مفككة على ظهور الجمال إلى رأس خليج أيلة «العقبة» ، حيث استخدم هذه السفن فى أعمال القرصنة والسطو على القوافل التجارية فى البحر الأحمر ، والهجوم بعدئذ على مكة والمدينة إذا استطاع إلى ذلك سبيلا !!

استولى أرناط على ميناء أيلة ، وكان ضمن ممتلكات صلاح الدين الأيوبى، وخرب الميناء ، ونهب ما به من سفن وبضائع .. كما استولى على مراكب راسية فى ميناء الحواء شمالى ينبع والمدينة ، وعادت سفن أرناط محملة بالأسلاب !!

أبحرت حملة مصرية بقيادة أمير البحر حسام الدين لؤلؤ فأغارت على قوات أرناط فى أيلة ، واضطرته إلى رفع الحصار عنها والفرار إلى حصنه بالكرك .. ثم أبحر حسام الدين بسفنه جنوباً من البحر الأحمر باحثا عن السفن الصليبية حتى أدركها على مسافة غير بعيدة من ميناء الحوراء قبالة مكة ، وهى محملة بما نهبت وسلبت ، فاستولى عليها وعمد إلى إحراقها ، ولذا أخذ الصليبيون يلوذون بالساحل العربى شمالى مكة وجنوبها ، يلاحقهم جنود الإسلام .. وأسروا منهم عدداً كبيراً عادت بهم السفن المصرية إلى القاهرة .

وأمام غدر «أرناط» وانتهاكه لحرمة البلاد والعباد أقسم صلاح الدين لينتقمن منه.. وزاد إصراره على تنفيذ ما قد عزم عليه ، وهو القضاء على الصليبين فى فلسطين

صلاح الدين يزحف بجيشه إلى فلسطين :

زحف صلاح الدين فى جيش غير قليل ، إلى فلسطين ، فاجتاز نهر الأردن عند ملتقاه بالساحل الجنوبى من بحيرة طبرية ، ووصل جنوبا إلى بيسان، وأنفذ منها دوريات من جيشه فى اتجاهات مختلفة لغزو الحصون والمعاقل الصليبية المجاورة ، ولإغراء جيوش مملكة بيت المقدس وتوابعها للخروج لمواجهته ، فى حين عسكر هو بمعظم جيشه حول بلدة «الطوبانية» وصهاريجها ذات المياه الوفيرة الطيبة ، وهو ما كان يحرص على توفيره لجنده .

تحركت جيوش مملكة بيت المقدس وتوابعها من مختلف المراكز الصليبية ، وتجمعت عند قرية «صفورية» ، ثم تقدمت جنوباً نحو عين جالوت ، وبذلك صارت وجها لوجه أمام جيوش صلاح الدين .

حاول صلاح الدين تطويق جيوش الصليبيين وإدخالهم فى معركة ينقض فيها عليهم .. إلا أن شيئا من ذلك لم يحدث نظراً لإحجام الصليبيين عن الحرب .. فعاد صلاح الدين إلى قواعده بدمشق .. كان ذلك فى نهاية عام 1183 .

أثناء ذلك حاول صلاح الدين حصار «الكرك» للقضاء على حاكمها أرناط ، وكاد يقضى عليه لولا وصول النجدة من صاحب مملكة بيت المقدس الملك «بلدوين الرابع» .. وكان يعرف بالملك المريض .. وفى عام 1185 مات «بلدوين الرابع» .. وصارت مملكة بيت المقدس تحت وصاية زعيم صليبي قديم الصداقة والصلة بصلاح الدين ، وهو «الكونت رايموند الطرابلسى» وهو ما يعرف فى المراجع العربية باسم «القومص أو القمص» ، وذلك حتى يبلغ الملك الجديد «بلدوين الخامس» سن الرشد.

تمكن القمص من عقد هدنة مع صلاح الدين مدتها أربع سنوات .. إلا أن تلك الهدنة لم تدم طويلاً .. ففى عام 1186 مات الملك الطفل «بلدوين الخامس» ، وهاجم الصليبيون المتعصبون سياسة الوصى «رايموند» ، وتم إعلان «جاى لوزينيان» ، والذى يعرف فى المراجع العربية باسم «جى» ، ملكا على بيت المقدس ، وبدأت طبول الحرب تدق !!

وقد تم القضاء على تلك الهدنة نهائيا ، وإعلان الصليبيين سوء ما أضمروا ، عندما اعترض «أرناط» قافلة تجارية كانت فى طريقها من القاهرة إلى دمشق ، فاستولى عليها عند حصنه ، ورفض أن يقوم بأى تسوية أو مفاوضات مع صلاح الدين .. وهنا أقسم صلاح الدين ، للمرة الثانية ، لينتقمن من هذا النذل الجبان !!

إعلان الجهاد :

أمام هذا الصلف الصليبى ، لم يكن أمام صلاح الدين بد من إعلان الجهاد ، فجاءت إليه جيوش من أنحاء مصر والشام والعراق ، وبلغت تلك الجيوش نحو عشرين ألفاً من الخيالة والمشاة .

وعقب صلاة الجمعة فى السابع عشر من ربيع الثانى عام 583 هـ ، الموافق السادس والعشرين من يونيو عام 1187م بدأ صلاح الدين زحفه بعدما علم أن جيوش مملكة بيت المقدس وسائر الإمارات والطوائف الصليبية قد اجتمعت عند «صفورية» ، وأنها مستعدة للحرب .

عبر صلاح الدين بجيوشه نهر الأردن عند قرية «الصنبرة» جنوبى بحيرة طبرية ، وعسكر حول قرية الأقحوانة على الضفة الغربية لنهر الأردن ، وأقام هناك خمسة أيام، وقد اختار هذا المكان لوفرة الماء فيه .. وحاول مناوشة الصليبيين وتحريكهم من مكانهم فى صفورية ، إلا أنهم لم يتحركوا .. فتحرك صلاح الدين يوم الخميس الثانى من شهر يوليو شمالاً إلى طبرية ، وهناك رتب صلاح الدين جيوشه .. فجعل تقى الدين عمر ، ابن أخيه على ميمنة الجيش ، ومظفر الدين كوكبرى على ميسرته، وتولى هو القلب ، حيث كان معه ابنه الشاب الأفضل على .

استولى صلاح الدين على طبرية ، واعتصمت الكونتيسة زوجة رايموند الطرابلسى بقلعة طبرية ، وأرسلت تطلب النجدة من الجيش الصليبى ، فأصدر الملك «جاى» الأمر بالزحف نحو طبرية .. وكان هذا ما تمناه صلاح الدين !!

تحرك الجيش الصليبى ، وكان على رأس المقدمة رايموند الطرابلسى (القمص) ، وتولى الملك «جاى» قيادة القلب ومعه «أرناط» صاحب الكرك .. كما تولى قيادة المؤخرة فارس مشهور هو «باليان» .. تحركوا جميعا ومعهم صليب الصلبوت ، أو الصليب الأعظم !!

واصل الصليبيون زحفهم وسط الطرق الوعرة حتى وصلوا إلى موضع اسمه «اللوبيا» فى منتصف المسافة بين صفورية وطبرية ، وبهذا الموضع بئر اعتقدها الصليبيون ذات ماءٍ يكفى لإطفاء ظمأ الجيش والجند ، فضربوا هناك الخيام للراحة والمبيت استعدادا للزحف نحو طبرية فى اليوم التالى .. إلا أن الصليبيين خاب مسعاهم عندما وجدوا أن البئر تكاد تكون خالية من الماء ، وأن عساكر المسلمين قطعوا عليهم الطريق إلى طبرية ، حيث الماء العذب الذى انفرد به المسلمون ، فعاشوا ليلتهم فى ضنك وظمأ ، واشتد بهم عطش الصيف .. فقد كان ذلك فى يوم السبت الرابع من شهر يوليو .

وعسكر المسلمون عند قرية حطين ذات الماء الوفير . ونشط الخيالة والمشاة، وانبعث من خيامهم التكبير والتهليل ، بلغت أصداؤهما أسماع الصليبيين .

والتقى الجيشان ، وبات الفرق واضحاً .. الصليبيون يقاتلون وهم يعانون الظمأ والتعب .. والمسلمون وقد ارتفعت معنوياتهم ، وقائدهم صلاح الدين يتوسطهم وينصحهم ..

الفرار والهزيمة :

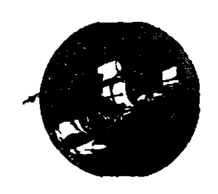
ولما رأى القمص «رايموند الطرابلسى» وجماعته شدة الأمر وأنه لا طاقة لهم بالمسلمين ، قرروا الفرار .. وبالفعل فروا من الميدان .. وحدث أن كان فى طريقهم أعشاب وحشائش جافة قد اشتعلت فيها النيران ، وملأ الدخان المنطقة .. فاجتمع على هؤلاء الفارين ؛ العطش ، والإرهاق ، وحر الزمان ، وحر النار ، والدخان ، وحر القتال !!

وأحاط المسلمون بالصليبيين ، وقتلوا وأسروا منهم أعداداً غفيرة ، وسلبوهم صليبهم الأعظم .. وكان من بين الأسرى الملك «جاى» وأخوه ، وأرناط صاحب الكرك .

قادة الصليبيين فى خيمة صلاح الدين :

أحضر صلاح الدين هؤلاء القادة فى خيمته ، وأجلس الملك «جاى» إلى جانبه، وقد أهلكهم العطش ، فسقاه ماءً بارداً ، وأعطى فضلة من الماء لأرناط .. وجلس صلاح الدين يعدد لأرناط مواقفه وحقده .. ثم قام فضرب عنقه بنفسه، وقال : كنت قد نذرت دفعتين أن أقتله ، إحداهما لما أراد المسير إلى مكة والمدينة ، والثانية لما أخذ القافلة غدراً !!

ولما رأى الملك ما حدث لأرناط ، ارتعدت فرائصه ، فأمنه صلاح الدين .. أما القمص صاحب طرابلسى فقد فر إلى طرابلس وهناك مات كمداً وحسرة على ما أصاب الصليبيين فى حطين !!



19- الماجنا كارتا (1215م)

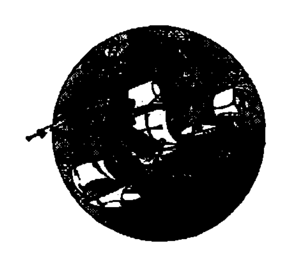
the Magna Carta (1215)

مات «ريتشارد قلب الأسد Richard The Lion Hearted» دون أن يعقب من نسله وريثا للعرش ، فاعتلى عرش بريطانيا الملك «جون John» وبسبب كثرة رذائله ومفاسده ، وبسبب كثرة منازعاته مع «البابا إنوسنت الثالث Pope Innocent III» لم يكن الملك جون يحظى بأى شعبية ، ولم يستطع الاحتفاظ بعلاقة قوية مع النبلاء الإنجليز . وبالإضافة إلى ذلك كانت حروبه الفاشلة فى نورماندى قد استنزفت الكثير من الموارد المالية فى الدولة أثناء تربعه على العرش ، ورفض النبلاء أن يدفعوا المزيد من الضرائب الباهظة التى كان الملك جون لا يتوقف عن طلب المزيد منها .



وفى شهر مايو سنة 1214م تم سحق وهزيمة جيش الملك جون فى نورماندى ، وانتشر التذمر فى إنجلترا إلى درجة أن تآزر وتعاون كل النبلاء فى إنجلترا وتحركوا إلى لندن تصاحبهم قوات مسلحة ، وأعلنوا سحب ولائهم للملك . ودعا الملك جون إلى عقد اجتماع لكل نبلاء إنجلترا فى ميدان «رنيميد Runnymade» فى 15 يونيو سنة 1215م . وهنا فى هذا المكان وذلك التوقيت تمت صياغة «الماجنا كارتا» أو «التعهد الأعظم» ، وتم الحصول على توقيع الملك جون على كل بنوده فى غضون أسبوع واحد من النقاش والمشاورات . وتضمنت بنود ذلك التعهد القوانين الصالحة التى كان قد صاغها الملك إدوارد المعترف King Edward The Confessor وهى القوانين التى كانت تضمن للنبلاء كل حرية فى التصرف فى شئون ولاياتهم وتمنحهم الحق فى ممارسة هذه الحرية بأنفسهم .

وعلى الرغم من أن الملك جون قد حاول التنصل من بنود الماجنا كارتا إلا أنه مات بعد إقرارها بعام واحد ، وتم التحفظ على أربع نسخ منها ، وهى محفوظة حتى الآن فى المتاحف البريطانية لكى تظل مُثُلاً عليا ، ورموزا للحقوق التى لا سبيل إلى إنكارها لكل المواطنين الإنجليز بحيث تتحقق لهم الحرية على مر العصور وتوالى القرون .



20- هولاكو وسقوط الخلافة العباسية (1258م)

Hollaco and the collapse of Abbasia Caliphate

بداية من هو هولاكو ؟

وأين نشأ ؟

وكيف أتى إلى بغداد ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة لابد من التعريف أولاً بالتتار .. فمن هم التتار؟

التتار اسم يطلق على قبائل سكنت منغوليا وجنوب سيبيريا، ولذا أطلق عليهم أيضا اسم «المغول» .

ويُقسّم التتار وفقا لمراحل تطورهم إلى ثلاثة أقسام :

* التتار البيض، وهم القبائل التى نزلت وراء سور الصين العظيم ، وتأثروا بالثقافة الصينية .

* التتار السود ، وهم القبائل التى سكنت صحراء جوبى الأسيوية ، وهم قبائل رحل لا يستقرون فى مكان واحد ، بل ينتقلون حيث الماء والمرعى ومصادر الرزق الأخرى.

* قبائل سكنت المناطق الواقعة شمالى مناطق التتار السود ، وقد اعتمدت هذه القبائل فى حياتها على الصيد والقنص ، واشتهرت بذلك ، بالإضافة إلى شهرة أفرادها بكونهم قطاع طرق من الطراز الأول .. وعُرفت هذه القبائل بالقوة والشجاعة فى القتال ، والإخلاص لزعيمهم «تموجين بن بيسوكاى» .

كان «تموجين» ذا همّة عالية ، استطاع أن يوحد أفراد قبيلته ، ويكوّن منهم رجالاً أشداء ، تمكنوا من السيطرة على من حولهم .

أصبح «تموجين» ورجاله قوة لا يستهان بها .. يخافها الجميع .. وسرى هذا

الخوف إلى الصينيين ، بسبب خصومات قديمة بينهم وبين تلك القبائل المغولية ، وكانت الصين قد أفنت قبيلة منغولية بالكامل فى إحدى المعارك التى جرت عام 1161م .

بدأ التتار مهاجمة الصين بقصد تدميرها والاستيلاء عليها .. ووحّد الصينيون قواهم ، وتمكنوا من الصمود أمام هجمات التتار فى الوقت الذى بدأ فيه الشقاق يدب بين قبائل المغول ، مما جعل قائدهم «تموجين» ينزوى فترة من الزمن بقصد ترتيب صفوفه .

وهذا ما حدث بالفعل ، ففى عام 1203 تمكن «تموجين» من جمع شمله مرة أخرى ، وعاد أقوى بكثير ، وقضى على جميع معارضيه ، فأحكم قبضته على السلطة مرة أخرى ، وأطاعته قبائل منغوليا الشرقية جميعها بما فيها قبائل «النايمان» المسيحية القوية فى منغوليا الغربية حتى استحق لقب «جنكيزخان» .

بدأ جنكيزخان فى تكوين جيش قوى ، ووضع الأسس الأولى لإمبراطوريته ، وكون حرساً خاصا به قوامه نحو ألف رجل ، وأخضعهم لتدريب قوى عنيف أشرف عليه بنفسه .. ووضع القوانين والنظم التى أعادت ضبط الإمبراطورية ، وبدأ يضع الخطط لتوسيع تلك الإمبراطورية على حساب الآخرين .

وفى عام 1215م بدأ جنكيزخان بتحقيق طموحاته التوسعية ، ففتح بكين عاصمة الصين بعد اختراق سور الصين العظيم ، ثم وجه ابنه «جوجى» لفتح بلاد فارس ، ولحقه بجيش آخر بقيادته ، فتمكن من فتح تلك البلاد التى كانت فريسة للاختلافات ، ووقعت فارس كلها تحت سيطرته عام 1226 .

فى عام 1227م توفى جنكيزخان ، وقسمت إمبراطوريته الواسعة بين أولاده وكان لجنكيزخان ثلاثة أولاد ، هم : «جوجى» وقد مات قبل أبيه بستة أشهر .. «جفتاى» ، فقد تمتع بنفوذ عظيم فى السلطة الرسمية للإمبراطورية .. أما الابن الأصغر فهو «تلوى» فقد ورث بيت أبيه ، أى كرسيه القبلى فى منغوليا الشرقية .

وقعت نزاعات وخلافات عديدة بين أولاد جنكيزخان فيما بين عامى 1235 ، 1241م .. وقد أدت هذه النزاعات إلى تفكك كبير فى الإمبراطورية المغولية مما أعطى الأمان والطمأنينة للدول المجاورة ، ومنها الدولة الاسلامية . كان ذلك إبان الخلافة العباسية ، وعاصمتها بغداد .

ووسط هذه الخلافات ظهر على الساحة الرسمية للإمبراطورية المغولية «هولاكو» ، حفيد جنكيزخان ، ابن «تولوى» ، وقد ركز نشاطه العسكرى والسياسى نحو الدولة الإسلامية .

وبمجيء هولاكو بدأت فصول المأساة التاريخية بالنسبة للدولة الإسلامية .. تلك المأساة التى بلغت ذروتها يوم سقطت بغداد !!

جمع هولاكو جيشه عابراً نهر «جيحون» فى بلاد ما وراء النهرين متجهًا إلى سهول وجبال إيران قاصداً بغداد عاصمة الدولة العباسية .. فى ذلك الوقت كانت الدولة العباسية تعانى الضعف والوهن بعد وفاة الخليفة الحازم ذى الهمة العالية ، الغيور على دينه وأمته «الناصر لدين الله العباسى» .. ومجيء خلفاء مستضعفين أمثال : «المستنصر بالله» و «المستعصم بالله» .. فقد أصبحت الدولة فى زمانهم مفككة الأوصال ، تتنازعها الأهواء والمطامع الشخصية ، حتى ضعفت تمامًا وأصبحت على وشك الانهيار والسقوط .

وفى السابع عشر من يناير عام 1258 سارع هولاكو بجيشه نحو بغداد ، وأرسل إنذاراً مذلاً إلى الخليفة العباسى المستعصم بالله ، يطالبه فيه بهدم حصون المدينة وقلاعها ، وألا يقاوم دخول قوات المغول .. ورفض الخليفة الإنذار، فحاصرت قوات المغول المدينة من كل الجهات ، ودارت معارك انتهت بدخول المغول المدينة ورفع راياتهم على أبراجها ، وشرع الخليفة فى الاستسلام .. وترك الخليفة قصره وسار إلى هولاكو المنتصر ، فأمره هولاكو بإخراج كل كنوز العباسيين ، فأخرجت ، واعتُقل الخليفة وبنيه ، وقتلوا .. وانتهت بذلك الخلافة العباسية التى حكمت العالم الإسلامى نحو خمسة قرون !! أمر هولاكو سكان بغداد بالخروج من ديارهم بدون

سلاح ، فخرجوا حتى امتلأت الأرض بهم ، فأحاط بهم المغول من كل صوب وانقضوا عليهم انقضاض الوحوش الجائعة حتى أفنوا منهم قرابة مليونى نسمة ، فى أكبر مذبحة عرفها التاريخ !!

امتلأت المدينة بالجثث المتعفنة ، مما أدى إلى انتشار الوباء بها ليقضى على البقية المتبقية من أهلها !!

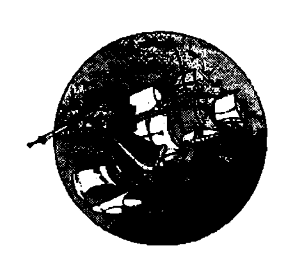
وعاث المغول بالمدينة فساداً ، فدمروا كل معالمها ، وحطموا المساجد والقصور، ونهبوا البيوت ، وأحرقوا الكتب التى كانت تفخر بها مكتبات بغداد وألقوها فى مياه نهر دجلة حتى سدت مجرى الماء فيه .. وهكذا فقدت الإنسانية أغنى كنز ثقافى كانت تمتلكه حتى ذلك الوقت !

وماذا بعد ؟

ظل «هولاكو» يتشوق إلى تحقيق حلمه فى إنشاء إمبراطورية كبرى ، فهاجم الشام ، وتغلب على أمرائها الضعاف ، وبدأ يخطط لاحتلال مصر وشمال إفريقيا ، إلا أن المماليك فى مصر بقيادة «سيف الدين قطز» كانوا أول من وقف بوجه الغزاة.. وكان المغول قد طلبوا إليهم الاستسلام ، فردوا عليهم بهجوم مباغت على فلسطين .

وفى عام 1260 م كانت معركة «عين جالوت» .. وفيها تمكن جيش المماليك بقيادة السلطان سيف الدين قطز ، والقائد الشجاع «ركن الدين بيبرس» من إيقاع الهزيمة بجيش المغول ويبدد جموعه ، ويحبط مسعاه لاحتلال مصر وشمال إفريقيا .

وقتل قائد المغول ، «كتبغا» ، وعادت بلاد الشام إلى المسلمين ، وبدأ الانحلال يسرى فى قوى المغول حتى انهارت تحت ضربات المسلمين .. وقد أيقن التتار قيمة الإسلام وعظمته فدخلوا فيه طائعين .



21- إحراق جان دارك (1431م)

The Burning Of Joan Of Arc (1431)

فى عام (1428م) كانت فرنسا ممزقة إلى حد كبير بسبب الحروب الداخلية ، وبسبب الحروب المتعاقبة ضد الغزاة الإنجليز الذين كانوا يهاجمون الأُجزاء الشرقية من فرنسا فى هجمات متتالية . وكان «أهالى إقليم بورجانديا The Burgandians» قد اعترفوا بالولاء للملك الإنجليزى «هنرى السادس King Henary VI» وبينما كان الوريث الشرعى ، والملك الحقيقى «شارل التاسع Charles» لا يزال محاصرا فى «أورليان Orleans» كانت الوحدات المسلحة للجيش الإنجليزى تسيطر على نصف أراضى فرنسا .



والآن ، لعب التوفيق دوره الحاسم ضد الإنجليز المحتلين لنصف أراضى فرنسا . إن فتاة عذراء متواضعة الشأن ـ من خلال تقديمها مثلا يحتذى فى الفداء والتضحية دفاعاً عن الوطن ـ قد أيقظت شعبها الفرنسى وجعلت صفوفه التى كانت ممزقة من قبل تلتحم ، وجعلت جراحه تتماثل للشفاء وتلتئم . وتحقق للفرنسيين استخلاص أراضيهم التى كان قد احتلها الإنجليز شبرا شبرا ، وأجلوا عنها الإنجليز الغزاة الغرباء . وهكذا تحقق بعث جديد لأمة فرنسية عظيمة .

لقد جاءت «جان دارك Joan Of Arc» من مدينة «دومرمى Domremy» تدفعها بعض الدوافع الدينية التى كانت تسيطر على كل كيانها ، وتهيب بها أنها تستطيع أن تحرر أرض وطنها من الغزاة الإنجليز المغتصبين ... وبعد صعوبات جمة تغلبت عليها بعد جهد جهيد بفضل حماسها وعدم تسرب اليأس والإحباط إلى قلبها ، نجحت جان دارك فى أن تصل إلى مواقع وخطوط القتال الفعلية للجيش الفرنسى ، وحصلت على تصريح بالذهاب لتخليص القوات الفرنسية التى كانت محاصرة فى أورليان ، وكان ملك فرنسا محاصرا معها ، وكأنما كان النصر المبين يمشى فى ركابها ويلازم الراية التى كانت ممسكة بها ... لقد تم بالفعل تحرير أورليانز وتم تتويج الملك فى احتفال كبير فى مدينة «ريمس Rheims» خلع عليه انتصار الفرنسيين مهابة وجلالا دون مثيل .

وبينما كانت جان دارك مشغولة بمطاردة بعض فلول الجيش الإنجليزى المنسحب، أوقعها بعض الخونة فى إقليم «بورجنديا» فى كمين ثم باعوها للإنجليز . وبعد محاكمة صورية غير جدية كان الحكم لديها جاهزا مسبقا قبل بدء المحاكمة تحت إشراف «كوتشون Cauchon» كبير أساقفة الجيش الإنجليزى ، الذى كان يحقد كل الحقد على جان دارك ، حكمت المحكمة الظالمة على جان دارك ذات التسعة عشر ربيعا من العمر بالإعدام حرقا .

وفى يوم الثلاثين من شهر مايو سنة (1431م) تم إعدام جان دارك فى ميدان السوق القديمة فى مدينة «روان Rouen» الفرنسية حرقًا وهى مشدودة إلى وتد . ومن العجيب أن أسرتها طالبت بإعادة المحاكمة بعد أربعة عشر عاماً من حرقها (1445) .. وصدر الحكم ببراءتها ، وفى عام 1920 أشهرتها الكنيسة قديسة .

22- اختراع آلة الطباعة (1440م)

The Invention Of The Printing Press (1440)

كان الصينيون هم أول من ابتكر فن الطباعة . وكان أول كتاب مطبوع عرفته البشرية قد ظهر فى «كانسو Kansu» فى بلاد الصين وهو يحمل تاريخ عام (868م). وفى عام (1041م) كان الصينيون يستخدمون حروف الطباعة التى تستخدم فى إنتاج نسخ عديدة من المطبوعات . ويحيط غموض كثيف بإنتاج حروف الطباعة فى أوربا ، ويدعى الفرنسيون والهولنديون والإيطاليون والألمان أنهم أول من أنتج حروف الطباعة ، ولكن من المتفق عليه الآن أن أول أوراق مكتوبة بحروف الطباعة فى أوربا قد خرجت إلى حيز الوجود من مطبعة «يوهانس جوتنبرج Johann Gutenberg» ، وهو عامل طباعة فقير كان يعيش فى بلدة مينز Mainz فى ألمانيا حوالى عام (1440م) .



ولعلك تعجب اذا علمت أن الآلة التي ابتكرها جوتنبرج كانت تعمل بنظام آلات عصر العنب ، أو إعداد قوالب الجبن ، بعد تعديلها وتطويرها .

كان جوتنبرج قد أجرى كثيرا من التجارب على حروف محفورة فى الخشب ، ولكن ليونة هذه الحروف المحفورة فى الخشب قد جعلته يشرع فى تجربة حروف محفورة فى المعادن.كان جوتنبرج يقوم برص الحروف المعدنية أوصفها فى قالب واحد لتكوين صفحة كاملة من كتاب ، ثم يطبع الحبر على الحروف ، ثم تضع فوقها الورق ، ثم يضغط عليها بكتلة من الخشب بواسطة مسمار لولبى غليظ .

وكانت محاولاته الأولى فى استخدام الحروف المحفورة فى المعدن تنحصر فى طباعة نصوص من إنجيل مازارين «Mazarin Bible» ، وهو الإنجيل الذى اكتسب اسمه ذاك لأنه قد تم العثور على نسخة منه فى مكتبة الكاردينال مازارين . وتم إعداد هذا الإنجيل للطباعة فى صفحات ، يوجد على كل صفحة عمودان من الكلمات المطبوعة ، وعدد السطور فى كل صفحة كان يبلغ 42 سطرا ، وقد طبع فى عشرة أقسام بواسطة ست آلات من آلات الطباعة . ولقد طبع من هذا الإنجيل ثلاثمائة نسخة لاتزال خمس وأربعون نسخة موجودة منه حتى الآن .

ومن بلدة مينز الألمانية ، انتشرت فن الطباعة بسرعة فى كل أنحاء قارة أوربا ، وتم إدخاله إلى بريطانيا على يد «وليم كاكستون William Caxton» ، وعلى الرغم من مقاومة السلطات الحاكمة والسلطات الكنسية لانتشار فن الطباعة ، لأن الطباعة كانت تهدد هذه السلطات بمزيد من حرية الفكر ، فلقد استطاع فن الطباعة أن يحول ظلمات العصور الوسطى إلى أضواء ساطعة ، واستطاع فن الطباعة أن يزود الحضارة بأداة فعالة لتسجيل التقدم الحضارى الفكرى على مدار وتوالى القرون .

23 - محاكم التفتيش الأسبانية (1480م)

The Spanish Inquisiton (Began In 1480)

إنها سبّة فى جبين التاريخ لا تمحوها الأيام !!

ودليل قاطع على ما ارتكبته الكنيسة الكاثوليكية ، باسم الدين ، كذبا وافتراءً ، فى حق من خالفها من قتل وإحراق وتعذيب فاق الوصف !!

والحديث عن محاكم التفتيش وثيق الصلة بالحديث عن انتهاء الوجود الإسلامى فى الأندلس .. إذ أن الأول كان نتيجة للثانى .. مما يؤكد سماحة الإسلام وسمو تعاليمه ، واحترامه للإنسانية بصرف النظر عن معتقداتها وألوانها.



تفـرقت دولة الإسـلام فى الأندلس بعـد سنوات طويلة من الازدهار والرقى .. وتمزقت تلك الدولة القوية إلى دويلات كثر حكامها ، وانتشر النزاع فيما بينهم ..

وكنتيجة حتمية ، كان لابد وأن تسقط الأندلس ، الفردوس المفقود ، وتولّي أمرها عصبة من القتلة ، أذاقت جميع من خالفهم فى معتقدهم كل ألوان التعذيب التى لم يشهد لها التاريخ مثيلاً .

والأدهى من ذلك وأمرّ أن ذلك كان يحدث بمباركة - البابا ، الحبر الأعظم للمسيحية الكاثوليكية آنذاك !!

❖ معاهدة تسليم غرناطة :

لما اشتد حصار الأسبان حول مدينة غرناطة ، آخر معاقل المسلمين فى الأندلس ، اجتمع العلماء والفقهاء والقادة فى قصر الحمراء ، واتفقوا على تسليم المدينة ، واختاروا الوزير أبا القاسم عبد الملك لمفاوضة «فرديناند» ملك أسبانيا على شروط التسليم .. واستمرت المفاوضات وقتا طويلاً .. وأخيرا تم التسليم بعد توقيع معاهدة عرفت بمعاهدة تسليم غرناطة ، والتى تضمنت سبعة وستين بنداً ، أهمها :

أن تبقى كافة مساجد المسلمين كما هى لا يمسها سوء ، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم إلا بإذنه .. وأن يبقى كل مسلم فى أرضه آمنا على ماله وأهله .. وأن لا يولّي على المسلمين غير المسلم .. وأن يتمتع المسلمون بحرية كاملة فى إقامة شعائر دينهم ، وأن لا يحمل المسلم أية علامة تميزه عن غيره من النصارى واليهود.. وأن يكون للمسلم حق التنقل إلى أى مكان يشاء .

❖ نقض العهود :

وبالطبع فقد كانت هذه البنود مجرد حبر على ورق .. فقد ذاق المسلمون هناك كل صنوف التعذيب والتنكيل .

لقد أصدرت محاكم التفتيش الأسبانية تعاليم مشددة للكاردينال «سيسيزوس» لإحكام القبضة الحديدية على مسلمى الأندلس ، والعمل السريع على إجبارهم على الكثلكة ، أى أن يتحولوا إلى نصارى كاثوليك .. فتم تحويل مسجد غرناطة الجامع إلى كاتدرائية .. وأحرقت المصاحف وكتب التفاسير والفقه الإسلامى !!

كانت مكتبة قرطبة تحتوى ما يقرب من نصف مليون كتاب ومخطوطة .. أحرقت كلها فى ميدان عام ، وأشرف على عملية الإحراق مندوبون عن ملك أسبانيا ورهبان من الكاثوليك .

ويقدّر بعض المؤرخين عدد مَنْ عُذِّب من المسلمين بعد سقوط غرناطة بثلاثة ملايين نسمة ، قتل من قتل ، وحرق من حرق ، ونجا بنفسه من نجا .. وخربت غرناطة ، والأندلس !!

ولم يكن أمام المسلمين المضطهدين بد من الفرار بدينهم ، أو القتل ، أو الارتداد عن الإسلام .. وهي ثلاثة أحلاها مر ، بعد أن فرضت القيود على الخروج من هناك، إذ كيف يسمح لهم الخروج بدينهم إلى بلاد المغرب ، وهي أقرب الدول الإسلامية إلى الأندلس ، ليكونوا قوة تهدد أسبانيا من جديد ؟

❖❖ مراسيم الاضطهاد:

ولكن ما ذا حدث لمن بقي من المسلمين هناك ؟

لقد عوملوا أسوأ معاملة وصدرت المراسيم الملكية لاضطهادهم .. إذ أصدر عاهلا أسبانيا «فرديناند» و «إيزابيلا» مجموعة من المراسيم المتتابعة زمنيا ، كلها تقضي باضطهاد المسلمين .

إن كل من قرأ التاريخ يعلم جيداً كيف كان «فرديناند» كاثوليكيا متعصبا، وهو الذى قال عبارته المشهورة : يجب أن تكون أسبانيا إما كاثوليكية أو إسلامية!!

وفى هذه العبارة أعرب «فرديناند» عن نواياه ، ففيها الوعيد كله لكل من خالف مذهبه الكاثوليكى !!

* فى يوم الثلاثاء ، العشرين من شهر يوليو عام 1501 م ، صدر أمر ملكى بمنع وجود المسلمين فى مملكة غرناطة ، بعد أن اختار الله الملكين «فرديناند» و«إيزابيلا» لتطهير هذه المملكة من «الكفرة» !!

كما أنه يحظر عليهم – أى المسلمين – أن يتصلوا بغيرهم خشية أن يتأخر تنصيرهم ، ويحظر عليهم أيضا الاتصال بمن تنصروا حتى لا يفسدوا عليهم إيمانهم.. وكل من خالف ذلك فجزاؤه الموت ومصادرة أملاكه !!

* وفى يوم الثلاثاء ، الثانى عشر من شهر فبراير ، سنة 1502 ، صدر أمر ملكى آخر يحتم على كل مسلم بلغ الرابعة عشرة من عمره ، إن كان ذكرا، والثانية عشرة إن كان أنثى ، أن يغادر مملكة غرناطة قبل أول شهر مايو التالى .. ويسمح لمن أراد الخروج أن يتصرف فى أملاكه وأمواله على أن لا يكون الخروج إلى شمال إفريقيا ، وليكن الخروج إلى بلاد أخرى .

وأين تلك البلاد الأخرى ؟!

وكل مخالفة للأمر تجعل صاحبها عرضة للموت والمصادرة .

ولما كان بعض المسلمين قد تظاهروا باعتناق النصرانية ليبيعوا أملاكهم ثم يفرون إلى شمال إفريقيا .. فقد صدر أمر ملكى جديد :

* فى اليوم الثانى عشر من شهر سبتمبر سنة 1502 صدر أمر ملكى جديد يحظر على هؤلاء الذين تنصّروا من التصرف فى أملاكهم قبل مضي سنتين .. كما يحظر عليهم أن يغادروا مملكة «قشتالة» إلا إلى مملكتى «الأراغون» و«البرتغال» !!

وهما مملكتان مسيحيتان !!

لم يكن من السهل على المسلم أن يغير دينه ، ولذا كان المسلمون المتنصرون، وكذا اليهود المتنصرون ، وحتى المسيحيين الذين تركوا مذاهبهم إلى المذهب الكاثوليكى ، كان هؤلاء جميعا يؤخذون بأقل شبهة ، ويوضعون تحت مراقبة شديدة.. هل تركوا دينهم الأصلى بالفعل واعتنقوا «الكثلكة» أم أنهم يتظاهرون بذلك ؟

إن كل مسلم أعلن تنصره يعد مرتداً عن ذلك إلى الاسلام ، إذا ما احتفل بيوم الجمعة ، كأن لبس ثوباً جديداً أو اغتسل .. أو ختن أولاده ، أو سماهم بأسماء عربية .. أو أمعن فى غسل أعضاء الوضوء .. أو غير ذلك مما يشير إلى تعلقه بالإسلام حتى ولو لم يؤدّ شعائره !!

ومن هنا بدأت محاكم التفتيش فى نشر عيونها وجواسيسها فى كل مكان للتأكد من إيمان «الكفرة» وتحولهم من دينهم الرسمى إلى المسيحية الكاثوليكية .

فى الثانى عشر من شهر مارس عام 1524 أصدر البابا مرسومًا يحث فيه رجال التفتيش «قضاته ومفتشيه» بأن يعجلوا بإجبار المسلمين على اعتناق المسيحية الكاثوليكية ، ومن أبى من المسلمين فعليه أن يخرج من أسبانيا ، وأمهلوهم مدة ، فمن لم يعتنق المسيحية أثناءها كان جزاؤه أن يصبح رقيقاً عبداً طوال حياته !!

وعقد «شارل الخامس» اجتماعًا حضره أعضاء مجلسى «قشتالة» و«الأرغوان» والقساوسة، والأحبار ، والمفتشون ، والقادة ، ونظروا فيما يجب عمله بعد صدور مرسوم «البابا» .. وأجمعوا على أن مسيحية المتنصرين الجدد صحيحة ، وأنه يجب على كل المتنصرين أن لا يغادروا أسبانيا لأنهم مسيحيون ، وأجبروا على تعميد أولادهم ، والذهاب إلى أكبر كنيسة ليطهروا أنفسهم مما كانوا عليه من «الكفر» !!

ولما عادوا من الكنيسة علموا بأن من يرجع عن مسيحيته يحكم عليه بالإعدام ومصادرة الأموال !!

كأن الإعدام هو مصير كل منهم ، سواء اعتنق الكثلكة أم لم يعتنقها !!

وفي الثامن عشر من شهر نوفمبر عام 1525م ، صدر أمر يوجب على المسيحيين أن يبلغوا «الديوان المقدس» كل ما يأتيه المتنصرون الجدد من ردة أو مخالفة للمسيحية ، أو ما يوجب الشبهة في سلوكهم .. وألزم المسلمون بوضع شارة زرقاء في قبعاتهم ، وبتسليم كل أسلحتهم ، وحظر عليهم حيازة شيء منها بعد ، ومن ضبط معه سلاح فجزاؤه الجلد !!

كما ألزمهم المرسوم بالسجود في الطرقات إذا ما مر أمامهم حبر كبير !!

◆◆ اتساع دائرة الاضطهاد:

لم يكن «الديوان» نشيطاً فقط في اضطهاد المسلمين ، وإجبارهم على التنصر وتعذيبهم ، بل اتسعت دائرة الاضطهاد لتشمل كل من خالف المذهب الكاثوليكي ، من المسلمين واليهود ، والمسيحيين غير الكاثوليك !!

واستمر الديوان في طغيانه وجبروته حتى احتل الفرنسيون أسبانيا ، وصدر الأمر من نابليون بإلغائه سنة 1808م .. إلا أنه عاد مرة أخرى في عهد «فرديناند السابع» ملك أسبانيا عام 1814م .

◆◆ كيف بدأ ديوان التفتيش ؟

في عام 1329م اجتمع رجال الكنيسة الكاثوليكية في إحدى المدن الفرنسية ، أمام البابا «غريغوريوس» التاسع ، اجتماعاً تمهيديا لتقرير إنشاء محكمة يقدم إليها كل من اتهم في عقيدته الكاثوليكية ، وكل من كان على دين أو معتقد غير ما يعتقد الكاثوليك ، أمثال : اليهود ، والبروتستانت ، وجماعة المفكرين الأحرار ، والمسلمين الذين كانوا في أوربا (أسبانيا والبرتغال) ، وكل من يتهم بالإلحاد والزندقة في مسيحيته الكاثوليكية .

إلا أن البابا لم يقرر إنشاء الديوان بطريقة رسمية ، والعمل بما رآه المجتمعون ، إلا في سنة 1333م ، فصدرت الأوامر إلى كل الكنائس الكاثوليكية بتعيين كاهن خاص للبحث عن كل من يتهم في مسيحيته الكاثوليكية ، وتقديمه إلى محكمة بابوية خاصة !!

ويجوز لكاهن التفتيش الخاص أن يستعين بمن يراه لازمًا من الجواسيس لمساعدته، وكان يطلق على تلك المحكمة البابوية الخاصة اسم «الديوان المقدس» أو «التفتيش المقدس» .

ولم يكن أولئك الجواسيس معروفين ، بل أُخفيت أسماؤهم عن الناس ووُعدوا بغفران خطاياهم ، وأحل لهم ارتكاب الجرائم فى سبيل تحقيق مهمتهم ، ولا عقاب عليها، فقد غفرت ذنوبهم !!

كان المتهم يُسأل أمام المحكمة عما يعتقده صراحة عن الكنيسة والدين المسيحى.. فإن أبى الإذعان دفع به إلى معذّبين متخصصين يسومونه سوء العذاب !!

وظل ديوان التفتيش يعمل فى فرنسا ، تارة جهرة وتارة أخرى خفية ، تبعا لآراء الملوك الذين تتابعوا على البلاد .. حتى كانت الثورة الفرنسية عام 1789م حيث تقرر إلغاء الديوان ، وانتقم الشعب من رجاله ، وهرب بعضهم إلى أسبانيا والبرتغال لينضموا إلى رفقائهم هناك !!

وعلى الرغم من أن ذلك «الديوان» وتلك المحاكم كانت معروفة فى فرنسا وإيطاليا وبلاد أخرى من أوربا ، إلا أن أفظعها وأكثرها وحشية ما قامت به دواوين ومحاكم شبه جزيرة أيبريا «أسبانيا والبرتغال» .. حتى قدّر بعضهم عدد ضحايا التفتيش بنحو عشرة ملايين برىء فى الفترة ما بين عامى 1333م ، 1835 .. أى نحو خمسة قرون، بمعدل مليونى برىء لكل قرن !!

إلى أن انتهت تلك المحاكم بعد أن لطخت وجة أسبانيا بعارها ، وبالدم الإنسانى المسفوك ، لا لشىء إلا لنصرة الكثلكة !!

❖❖ وصف سجون التفتيش :

يجب أن نعلم بداية أن سجون التفتيش هى الاسم الصحيح لما كان يطلق عليها كذباً وتضليلاً – دور الديوان المقدس !!

فكيف كانت تلك الدور المقدسة ؟

كانت تلك الدور عبارة عن مجموعة من القصور والأديرة والسجون .. ولازالت آثارها فى أسبانيا والبرتغال باقية حتى الآن .

ففى أسبانيا تتميز هذه الدور بجدرانها الضخمة ، ونوافذها الحديدية التى اعتراها الصدأ ..

وداخل الديوان ترى غرفًا صغيرة ، يمكن الوصول إليها من خلال ممر ضيق ، ويصل النور إليها من خلال فتحة صغيرة فى السقف ، وقد أحكم سد الفتحة بقضبان الحديد الغليظة .

وفى أرضية الممر فتحات أخرى صغيرة .. تبعد كل فتحة عن الأخرى نحو متر ونصف المتر ، وقد أحكم سدها أيضا بالحديد .. وقد خصصت هذه الفتحات للمسجونين فى الغرف السفلى تحت الممر وأسفل هذه الغرف غرف أخرى ، وهى سجون سرية لا يهتدى إليها إلا رجال الديوان فقط !!

كانت جدران الغرف تطلى بالشحم ، وذلك حتى لا يتمكن السجين من تسلقها محاولًا الهرب .. ولكن إلى أين يهرب ؟!

وفى جانب من الديوان توجد بعض أدوات التعذيب ، كالسياط التى بها قطع الحديد الشائك ، لجلد المسجونين وإهراء لحومهم .. وقدور من الحديد لعلها كانت تستخدم لصهر الحديد أو لقلى الزيت الذى يصب فوق المسجونين .. بالإضافة إلى مستودع كبير من الفحم المستخدم فى ذلك !!

وعلى الرغم من أن تلك السجون كانت دائمًا رطبة ومظلمة ، فقد كان يصب فيها الماء باستمرار حتى تظل الأرض مبللة بالدماء التى تسيل من أبدان المعذبين مشبعة بها !! هذا وصف موجز لنموذج من سجون التفتيش فى أسبانيا، أو بمعنى أدق «للدور الديوان المقدس هناك» !!

أما فى البرتغال فكانت محكمة «ديوان التفتيش» العامة بمدينة لشبونة ، فى مكان الملعب الوطنى هناك ..

وقد بنيت هذه الدور بطريقة تؤدى الغرض من إنشائها ، فكانت ذات غرف عديدة، وطرقات مظلمة تحت الأرض .. وفى وسطها أربع قاعات كبيرة فسيحة .. وفى الممر الأسفل الذى يحيط بكل قاعة سجون صغيرة وضيقة ، حالكة الظلام ، وقد أعدت لمن هم أشد كفراً وضلالاً !!

كانت حجرات السجن تقع فى ثلاثة طوابق .. خصص الطابق العلوى لمن كانت ذنوبهم خفيفة ، وهؤلاء يصلهم قليل من الضوء .. أما الطابق الأوسط فهو للنساء ، حيث يتردد عليهن رجال الديوان من وقت لآخر للتمتع بهن والعبث بعفافهن !!

أما الطابق الأسفل فهو لمن هم أشد كفراً وضلالاً فى نظر رجال الكنيسة ، وكان السجين فيها لا يرى النور أبدا ، ولا يعرف الليل من النهار !!

أما القاعات التى تتوسط المبنى ، فكانت فسيحة فخمة ، فرشت بأجمل وأندر الأثاث ، فهى معدة لرجال «المحكمة المقدسة» يأكلون ما لذ وطاب ، ويحتسون الخمور ، ويطربون على أنين وصراخ المعذبين !!

لم يكن يسمح للسجين أن يهمس بكلمة أو يسمع له صوت شهيق أو زفير!! حتى إن أحد المسجونين أصيب بالسل بعد أن قضى زمنا طويلا فى زنزانته الرطبة المظلمة الموحشة ، فأخذ يسعل رغم إرادته .. فأنذره الزبانية ألا يعود إلى السعال بعد ، فأجاب وهو خاشع ذليل أن هذا رغما عنه ، وأنه لا يمكنه الانقطاع عن السعال .

واشتد عليه المرض ، فأكثر من السعال ، فاقتيد إلى المحاكمة ، فقضت عليه بالضرب .. فضرب حتى سقط ميتًا بين أيدى جلاديه ، فاستراح من تعاسته، ومن مرضه .. ومن العذاب !!

ويقال إن كثيرين ممن نزلوا فى ضيافة تلك السجون المظلمة كانوا يفقدون عقولهم فيها ويقضون نحبهم هناك لما يشاهدونه من آلات التعذيب !!

❖❖ ألوان التعذيب .. وفنونه :

نعم للتعذيب ألوان .. وللتعذيب فنون ..

هذا ما كنت أجهله قبل ذلك .. إلى أن أيقنت حقيقتهما من تاريخ تلك الحقبة السوداء فى حياة البشرية .. وما أوقعه عصبة الكاثوليك بغيرهم من الأبرياء باسم الدين والرب !! تصف كتب التاريخ هذا المشهد الذى يمكن أن يقال عنه : إنه «حفلة حريق» .

يتقدم الموكب كاهن يرتدى حلة بيضاء ، ويحمل صليبا أسود فى يده ، يترنم بترانيم الموت .. يمرّ أولاً أمام عرش الملك ، ويعود فيقف فى الساحة .. ثم يأتى فريق من الكهنة بثياب بيض وصلبان سود (وهى رمز ديوان التفتيش) ، ويترنم الكهنة ويمرون أمام العرش ثم يقفون .. ثم يمر فريق من الشعب وهم يرتدون ملابس بيضاء حاملين صلبانا سوداء ، فيفعلون مثل من سبقهم .. ثم يمر المحكوم عليهم بالحرق وقد غطتهم الأوساخ والقاذورات التى قذفهم بها متعصبة الناس ، ظانين أنهم بذلك يمجدون الله !!

وكان يحيط بهؤلاء المذنبين (أو الكفرة كما كانوا يسمونهم) السجانون وجنود الديوان والرجال المنوط بهم إجراء التعذيب ، فإذا ما وصل السجناء إلى الساحة ، أُصعدوا إلى أكوام عالية من الحطب ، وفي وسط كل كوم صليب مثبت لكى يموت المعذبون وهم ينظرون إلى ذلك الصليب !!

ثم يرتقى رئيس المحكمة منصة عالية ليتلوا الحكم الصادر بحق هؤلاء الزنادقة الكفرة .. ويقول :

إن هؤلاء الكفرة قد استحقوا الحرق رجالا ونساءً لأنهم من اليهود أو المسلمين ، أو من غير أتباع المذهب الكاثوليكى ، وأنهم قد استخفوا بالأحكام المقدسة ، وأنهم قد اتخذوا الشيطان عدوَّ البشر وليا وحقَّروا الكنيسة وهم لا يأتون ثمراً !! لذا وجب قطعهم وحرقهم بالنار عملاً بقول السيد المسيح له المجد: من ليس معنا فهو علينا ، وأن كل شجرة لا تثمر وجب قطعها وإلقاؤها فى النار ، إن الذنب ذنبهم ، ودماؤهم على رؤسهم .

وما أن ينتهى من تلاوة ذلك الحكم حتى يصرخ أحد الكهنة باللاتينية : المجد لسيدتنا والدة الإله ، ومبارك كل مؤمن طائع !!

وعندئذ يمد الناس أيديهم لنوال البركة !!

ثم يتقدم الكاهن مرة أخرى من المجرمين ليعرض عليهم التوبة وتقبيل الصليب ، فمن أبى لُعن لعنة أبدية .. ومن تردد وساوره الخوف ووعدهم بأن يبوح لهم بأسماء غيره ممن يبحث عنهم الديوان ، وأن يصرح بما يفكر فيه ويعلن لهم توبته واستغفاره، يعاد إلى السجن مرة أخرى للتأكد من ذلك .

وعندما يصدر الأمر إلى الجلادين بإضرام النار .. يعلو الصراخ والعويل ، وتتصاعد روائح احتراق الأجسام فى الجو .. يحدث هذا بينما يرقص الشعب ويسبح الكهنة !!

وعندما تخمد النيران ، وتصبح الجثث رماداً ، ينصرف الملك وحاشيته ، تشيعهم دعوات الشعب وبركات القساوسة !!

وهناك لون آخر من ألوان التعذيب والإحراق .. فقد كان يُطاف بالمحكوم عليهم بالموت أو بالحرق أسواق المدينة قبل تنفيذ الحكم بيومين ، وهم مكبلون بالأغلال والقيود الحديدية ، تحيط بهم فرقة من الجنود المسلحين بالسيوف .. وفى نهاية المطاف يحشر أولئك المعذبون فى سجن واحد انتظاراً للحظة التنفيذ !! وعند منتصف ليلة التنفيذ يأتى إلى السجن مجموعة من الجنود والقوّاد والقساوسة ليبلغوا هؤلاء

التعساء بقرب النهاية التى لا مفر منها .. ويحاول القساوسة أن يجبروهم على الاعتراف والتنصر وطلب الغفران ، إلا أن تلك المحاولات كانت عادة ما تبوء بالفشل.. بعد ذلك تكمم أفواه هؤلاء المساكين، ويلبسون لباسًا خاصا بالإحراق وهو عبارة عن قميص أصفر ، غمس فى شحم وزيت وقطران ، بعد أن رسم عليه صور شياطين وأفاعي .. ثم توضع على رؤسهم قبعات من ورق عليها مثل تلك الرسوم !!

وكان يؤتى بالسجناء الآخرين ، الذين لم تأت بعد لحظة تنفيذ الحكم فيهم ، ليروا بأعينهم ما يحدث لزملائهم لحظة إحراقهم ، ولعل هذا أقسى أنواع الإرهاب والتهديد !!

ومع بزوغ فجر اليوم الموعود ، يحضر إلى السجن كل رجال الديوان ليأخذ كل منهم مكانه ، ويقوم بما عهد إليه من عمل عند تنفيذ الحكم .

ثم يخرج السجناء من سجنهم إلى ميدان فسيح أمام السجن ، ليجدوا فى انتظارهم مائدة عامرة عليها ما لذ وطاب من صنوف الطعام والشراب والخمور المعتقة.. ثم يؤمرون بالجلوس وتناول آخر طعام لهم فى دنياهم !!

وهذا بلا شك لون آخر من أشد ألوان التعذيب النفسى .. إذ كيف يجلس إلى تلك المائدة ليأكل منها مثل هذا الذى يساق إلى الحرق ؟!!

أما على الجانب الآخر من هذه المائدة هناك مائدة أخرى عليها أطواق حديدية توضع فى الرقاب ، وقطع من الخشب توضع فى الفم على هيئة لجام الفرس .. ثم يؤمر كل واحد من هؤلاء التعساء بوضع طوق حديدى فى رقبته واللجام فى فمه .

ويأتى الرهبان بملابس حمراء وقلائد ذهبية .. ثم يتقدم الملك ورجال البلاط والسلطة ورجال القضاء ، ويقف جموع الشعب لمشاهدة حرق «الكفار» !!

يتقدم رئيس الديوان من منصة الملك ، ويقف إجلالا واحترامًا له ، هو ومن فى حضرته من الأساقفة ثم يقف مخاطبا الملك الذى يحمل فى يده صليبا :

يا صاحب الجلالة ، بينا تحمل فى يدك هذا الصليب المقدس ، ترانا ننتظر من جلالتكم أن تقسموا على أن تدعموا الديوان المقدس ، وأن تثبّتوا سلطتنا فى البلاد .

فيقْسم الملك يمينا يمليه عليه الأساقفة أمامه ..

ويستمر رئيس الديوان فى القول :

وأن تُقسم يا صاحب الجلالة على أن كل ما يعمله ديوان التفتيش ، وكل ما يجريه من أحكام فهو مطابق لتعاليم الكنيسة الرسولية الرومانية .. وأنه أيضا مطابق

لشرائع بلادكم التى ترمى إلى تطهير هذه البلاد من الكفرة والزنادقة وأصحاب التعاليم الشيطانية .

فيقسم الملك على ذلك ..

ثم يقول الرئيس بعد ذلك : ليبارك الله جلالتكم ، وليمكنكم من الحكم طويلا فى الأرض مادمت سنداً لشرائع الديوان المقدس ، وشرائع الكنيسة الرسولية الرومانية .

ثم يجلس الملك ، ويتقدم إلى وسط الميدان رجل كبير الهامة ، ضخم الجثة، جهورى الصوت ، إنه كاتب الديوان ، فيقف على منصة مرتفعة ويأخذ فى تلاوة صورة الحكم فى ورقة فى يده ، والناس فى صمت ، وكأن على رؤوسهم الطير !!

يصعد «الكفرة المساكين» إلى المحرقة ، فوق أكوام الحطب ، وهناك يربطون بالحبال فى أعمدة مثبتة .. ثم يصعد كاهن وفى يده صليب من العاج ، يعرضه على كل مسكين ليقبّله قبل حرقه ،.. فإذا ما انتهى الكاهن من طقوسه أضرمت النيران فى الحطب دفعة واحدة ، بينما يترنم الكهنة ويصلون !!

❖❖ الجواسيس فى كل مكان :

وأثناء ذلك يبدأ الجواسيس فى مباشرة أعمالهم .. يتفحصون وجوه الحاضرين من الشعب .. يستمعون لما يقال همساً .. فمن تأفف ، أو اشمأز ، أو أظهر عطفا ، أو أشاح بوجهه ، كل هؤلاء كان يتم القبض عليهم فورا ليساقوا إلى السجون ويضموا إلى قوائم الكفرة !!

يقول «يوجين بيليتان» فى كتابه «ديوان التفتيش» :

لقد مرّ على أسبانيا حين من الدهر تحوّلت فيه إلى بؤرة جواسيس ووشايات يسوعية هائلة .. مثال على ذلك :

أبلغت سيدة مسيحية «الديوان» بأن أحد المتنصرين المسمى «خوان مدنيا» قد عاد إلى إسلامه ، وكان ذلك فى شهر ديسمبر (كانون الأول) من عام 1528م ، وقالت إنها كانت تسكن مع أسرته سنة 1510م فى منزل ، وكان هو يقيم مع ابنيه وابنته وصهره ، فلاحظت أنهم لا يأكلون لحم الخنزير ، ولا يشربون الخمور أبداً ، وأنهم يغسلون أقدامهم وأرجلهم حتى الوسط بصفة مستمرة ..

وكان «خوان» هذا رجلاً هرمًا جاوز السبعين من عمره ، ويعمل فى صناعة الأوانى النحاسية ..

استدعت المحكمة «خوان» لاستجوابه ، فقال إنه اعتنق الكثلكة سنة 1502م، ولا يذكر أنه مارس شيئًا من تقاليد المسلمين وعاداتهم .. أما عن امتناعه عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، فذلك لأنه لم يتعود على ذلك ، حيث تنصر وهو فى سن كبيرة ، وهو فى الخامسة والأربعين تقريبا .. أما عن استحمامه وغسل رجليه بصفة مستمرة ، فلأن حرفته تقتضى ذلك .

وعبثا حاول الرجل أن يبرئ نفسه ، ويثبت أنه شديد الإخلاص للكنيسة الكاثوليكية .. وحكم عليه بالسجن .

وفى عام 1560م ، قبض على شيخ متنصر ، وهو فى سن السبعين ، لأنه كان يطالع كتابًا عربيا فى التوحيد الإسلامى .. ولم ينكر الرجل أمام المحكمة ما نسب إليه، إلا أنه عارض فى اعتباره كافراً ، فهو شديد الولاء للكنيسة .. ومع ذلك حكم عليه بالسجن ، كان الرجل مريضًا ، فتوفى بالسجن ، فعملوا له تمثالاً وأحرقوه ، إلا أن الديوان حكم بعد ذلك باستخراج جثته من القبر وحرقها علنا فى حفلة حريق .. وأن يلحق كفره وإثمه بأسرته ، فلا يحق لأحد من الأسرة أن يشغل وظيفة فى الدولة.. ثم صدر أمر بعد ذلك بمصادرة أمواله !!

❖❖ تهم كثيرة .. وغريبة:

لم يكن الجواسيس يواجهون المتاعب فى البحث عن التهم التى يلصقونها بالمتهم.. فما أكثر تلك التهم !!

ومنها .. قراءة الكتب العربية .. كثرة الاستحمام خاصة يوم الجمعة .. غسل أعضاء الوضوء عند المسلمين .. الامتناع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر .. ختان الأولاد .. صبغ اليد بالخضاب .. تكفين الميت بأثواب جديدة .. الدفاع عن محمد ﷺ ولو بكلمة ، أو ذكره بكلمة طيبة .. وغير ذلك كثير .

وكان عقاب من يضبط متلبسًا بشىء من ذلك هو السجن والتعذيب حتى تثبت إدانته فيجلد أو يحرق .. وقبل ذلك ، يطاف به فى المدينة راكبا حماراً ، وقد علِّق بظهره لوحة كتب فيها اسمه ، والتهم المنسوبة إليه .

❖❖ شاهد عيان:

يقول الكولونيل «ليمونسكى» أحد ضباط الحملة الفرنسية فى أسبانيا :

كنت فى سنة 1809م ملحقا بالجيش الفرنسى الذى كان يقاتل فى أسبانيا ..

وكان الإمبراطور نابليون قد أصدر مرسومًا سنة 1808م بإلغاء دواوين التفتيش فى المملكة الأسبانية ، ولكن هذا الأمر أهمل ولم يعمل به بسبب الحالة الحربية والاضطرابات السياسية التى كانت سائدة آنذاك .

ولذلك صمم رهبان «الجزويت» - اليسوعيين - أصحاب ذلك الديوان أن يقتلوا ويعذّبوا كل فرنسى يقع فى أيديهم انتقاما من ذلك القرار !!

وبينما أسير فى إحدى الليالى فى أحد شوارع مدريد الخالية من المارة إذ فاجأنى مسلحان يريدان قتلى ولم ينجنى منهم سوى سرية من الخيالة الفرنسية كانت تطوف فى ذلك المكان لحفظ النظام .

وعلمنا أن هذين المسلحين من جنود ديوان التفتيش .. فأسرعت إلى الماريشال «سولت» الحاكم العسكرى لمدريد وأبلغته بما حدث فغضب وقال : أنا على يقين بأن من يقتل من الجنود كل ليلة إنما يكون بأيدى هؤلاء الأشرار، ولابد من معاقبتهم وتنفيذ قرار الإمبراطور .. ثم طلب منّى أن آخذ ألف جندى وأربعة مدافع لمهاجمة دير ديوان التفتيش ، والقبض على ما فيه من رهبان .

وعند الساعة الرابعة صباحًا سرْتُ على رأس تلك الحملة وقصدنا دير «ديوان التفتيش» .. كان الدير عبارة عن بناء ضخم أشبه بالقلاع ، له أسوار عالية جداً ، يحرسها فرقة من جند اليسوعيين ، فتقدمت من باب الدير وخاطبت الحارس وأمرته باسم الإمبراطور نابليون أن يفتح الباب .. إلا أن الحارس بعد أن تكلم مع أناس بالداخل خرج علينا بوابل من رصاص بندقيته ، ثم انهالت علينا نيران البنادق من كل مكان .. فقتل بعض رجالى وجرح البعض .. عندئذ أمرت جنودى باقتحام الدير عنوة .. وبعد نحو نصف ساعة سقط الدير فى أيدينا .. وأسرع رهبان اليسوعيين للقائنا مرحبين بوجوه باشة ، مستفهمين عن سبب قدومنا .. وكأنهم لا يعرفون شيئاً!!

وانهالوا على جنودهم تعنيفا وتأنيبا لمقاومتهم لنا وإطلاق النيران علينا .. وقالوا : إن الفرنسيين أصدقاء لنا ، فمرحبا بهم !!

واتضح لى أنها حيلة من هؤلاء القساوسة .. وأخذنا نبحث عن قاعات التعذيب المشهورة ، وطفنا بغرف الدير ، فرأينا ما بها من أثاث فاخر ثمين ، ورياش وكراسى فخمة ، وسجاجيد فارسية ، ولوحات نادرة ، ومكاتب كبيرة ، وقد صنعت أرض تلك الغرفة من خشب الموجنة المصقول المدهون بالشمع !!

وكان شذى العطور يعبق فى أرجاء تلك الغرف ، فهى أشبه بالقصور الفخمة الكبيرة التى لا تكون إلا لملوك الترف !

لم نعثر على شيء من غرف التعذيب بعد أن فحصنا كل الدير وممراته .. فعزمنا على الخروج من الدير ، بعد أن أكد لنا الرهبان أن وجود مثل تلك الغرف فى الدير ما هو إلا تهمة كاذبة باطلة أو أنها حديث خرافة ، ولكنهم يتحملون ذلك فى سبيل الله !!

وقد أكد لنا رئيسهم ذلك بصوت خافت ، وهو خاشع الرأس .

❖❖ المفاجأة :

أمرت جنودى بالخروج من الدير .. إلا أن أحد ضباطى استسمحنى وقال لى: أتسمح لى يا حضرة «الكولونيل» أن أقول لك إن مهمتنا لم تنته بعد .. وأبدى رغبته فى فحص أرضية هذه الغرف .. وقال : إننى أعتقد أن السر يمكن وراء هذه الأرضيات الفخمة ، فأذنت له .

عندئذ نظر الرهبان بعضهم إلى بعض نظرات لها مدلولها !!

أمر الضابط الجنود برفع البسط عن الأرض ، فرفعت ، ثم صبوا ماءً كثيرا فى أرض كل غرفة على حدة .. فوجدنا أن الماء تبتلعه أرض إحدى الغرف .. وعندئذ قال الضابط مهللا : لقد حُلَّ اللغز .. هذا هو الباب ، انظروا .. فنظرنا ، وإذا باب قد ظهر ، وهو جزء من أرضية الغرفة يفتح بطريقة شيطانية ، بواسطة حلقة صغيرة وضعت إلى جوار رجل مكتب الرئيس !!

أخذ الجنود فى تكسير ذلك الباب المريب وسط ذهول عصابة اليسوعيين !!

وفتح الباب ، فظهر سلم يؤدى إلى باطن الأرض .

ويواصل الكولونيل «ليمونسكى» حديثه قائلاً : أخذتُ شمعة وهممت بالنزول إلى باطن الأرض ، فوضع أحد اليسوعيين يده على كتفى قائلاً : لا تحمل هذه الشمعة بيدك الملوثة بدم القتال ، لأنها شمعة مقدسة !

فأجبته : هذا حق ، فإنه لا يليق بيدى أن تتنجس بشمعتكم الملوثة بدماء الأبرياء.. وسنرى الآن من هو القاتل السفاك ؟!!

وهبطت إلى السلم ومعى مجموعة من الضباط والجنود حتى وصلنا إلى آخر

الدرج ، فإذا بنا في غرفة كبيرة مربعة، في وسطها عمود من الرخام ، به حلقة حديدية ضخمة ربطت بها سلاسل كانوا يقيدون بها المساجين .

❖❖ في غرف التعذيب :

يقول الكولونيل : ثم توجهنا إلى غرف آلات التعذيب وتمزيق الأجساد البشرية.. كانت كثيرة ، وكلها تحت الأرض .. رأينا غرفًا صغيرة بحجم جسم الإنسان ، بعضها رأسي وبعضها أفقي .. يبقى سجين الرأسية واقفا على رجليه مدة سجنه حتى يقضي عليه .. ويبقى سجين الأفقية ممدداً حتى الموت .. وتبقى الجثة في السجن الضيق حتى تبلى !!

ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من الأجساد البالية فقد فتحت كوّة صغيرة إلى الخارج . وقد عثرنا على هياكل بشرية لا تزال في أغلالها سجينة مقيدة !!

وقد تمكنا من تخليص بعض السجناء الأحياء من أغلالهم وهم على وشك الموت، وقد أصابهم من الجنون ما أصابهم !!

أما في غرف آلات التعذيب فكان هناك آلات لتكسير العظام وسحق الأجسام .. وكان يبدأ بسحق عظام الأرجل ثم عظام الصدر والرأس واليدين ..كل ذلك على سبيل التدرج حيت تأتي الآلة على كل الجسد ، فيخرج من الجانب الآخر لها كتلة واحدة .

وعثرنا هناك على صندوق في حجم رأس الإنسان تماماً ، يوضع فيه الرأس بعد أن تربط الأيدي والأرجل بالسلاسل ، فلا يقوى صاحبها على الحركة، وتقطر على الرأس من ثقب في أعلى الصندوق ، الماء البارد ، وقد جنّ الكثير بسبب ذلك اللون من العذاب قبل الاعتراف ، ويبقى المعذب على حالته هذه حتى الموت !!

وهناك آلة أخرى للتعذيب تسمّى «السيدة الجميلة» !!

وهي عبارة عن تابوت يبدو على هيئة صورة سيدة جميلة تستعد لمعانقة من ينام فيه وقد برز من جوانب تلك السيدة الجميلة عدة سكاكين حادة .. حيث يطرح الشاب المعذّب فوق هذه الصورة ثم يطبقون عليه باب التابوت بسكاكينه بعنف ، فتمزق السكاكين جسم الشاب وتقطعه !!

آلات عديدة ومتنوعة .. كل منها تفوق الأخرى بشاعة وإرهابا !!

ولما شاهد الناس ذلك ، ورأوا تلك الآلات رأى العين ، جُنَّ جنونهم ، واشتاطوا غيظاً ، فأمسكوا برئيس اليسوعيين ووضعوه فى آلة تكسير العظام ، فدقت عظامه .. وأمسكوا مساعده وزفّوه إلى السيدة الجميلة وأطبقوا عليه أبوابها فمزقت جسده !!

ولم يمض نصف ساعة حتى قضى الشعب على ثلاثة عشر راهبا من تلك العصابة الآثمة ، ثم أخذ الشعب ينهب ما فى الدير !!

ثم يقول الكولونيل : ويمكننى أن أقول بأن ذلك اليوم كان أعظم يوم تاريخى شهده العالم بعد يوم الباستيل .. والحق أقول : إن القلم واللسان ليعجزان عن وصف ما رأيناه فى ذلك الدير من الفظاعة والبربرية التى لا تخطر على عقل بشر سوى الشياطين الذين قد يعجزون هم أيضا عن الإتيان بمثل هذه الأعمال .. (انتهت شهادة الكولونيل الفرنسى) .

❖❖ التعصب الأعمى :

أما الدافع وراء هذه الأعمال البشعة من قتل وإحراق ، فلم يكن إلا هذا التعصب الذى أعمى القلوب وطمسها ونزع منها الرحمة ، وهذا ما حدث بالفعل ، ولنرجع فى ذلك إلى الخلفية التاريخية .

ففى عام 1479 م اتحدت مملكتا «الأراغون» و «قشتالة» .. وكان «فرديناند» ملكا على الأولى ، و «إيزابيلا» ملكة على الثانية .. وكلاهما مسيحى كاثوليكى متعصب!!

كانت «إيزابيلا» قد وقعت تحت تأثير أحد الرهبان الكاثوليك المتعصبين ويدعى «توركويمادا» وعاهدته على تكريس حياتها لاستئصال «الكفرة» من البلاد إن هى وليت الحكم وصارت ملكة على البلاد !

وبالفعل صارت إيزابيلا ملكة ، وعندئذ أفصحت عن نواياها حين قالت : إن حب المسيح والعذراء جعلنى أميل لارتكاب الأعمال المؤدية للبؤس والشقاء وخراب البلاد والملك!!

عيّنت «إيزابيلا» و «فرديناند» ذلك الراهب الكاثوليكى «توركويمادا» رئيسًا عامًا لديوان التفتيش بأمر من البابا، فكان أول رئيس لهذا الديوان .. ويذكر التاريخ أن هذا الشرير المتعصب حرق خلال توليه رئاسة الديوان المقدس سبعة عشر ألف شخص ، وبعد موته أمر البابا بأن تكون محكمة التفتيش مختلطة من جميع طبقات الرهبان ، وأن تصدر الأحكام باسم البابا ، ومن ذلك الوقت أطلق عليها اسم «المحكمة المقدسة»!!

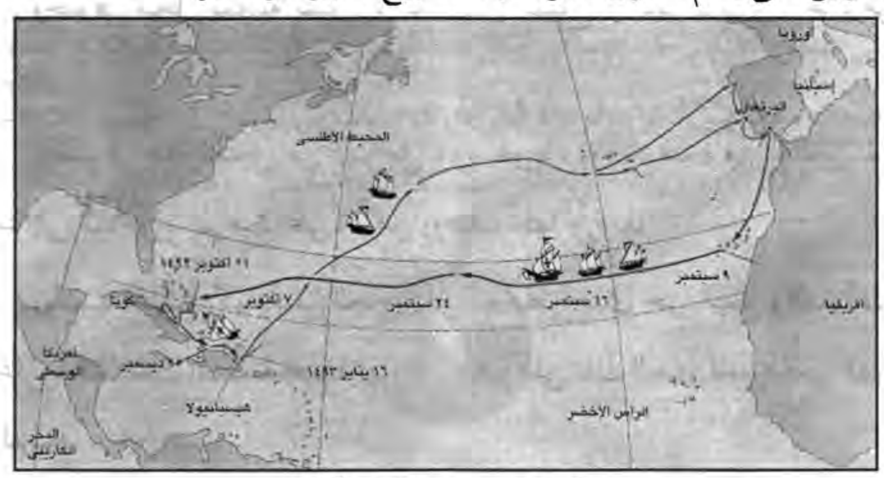
24- اكتشاف أمريكا (1492م)

The Discovery Of America (1492)

عندما سافر «ماركو بولو Marco Polo» فى رحلة بحرية بعيدة المدى إلى البلاد الآسيوية والشرق الأقصى فى القرن الثالث عشر الميلادى ، كان قد افتتح برحلته مجالا فسيحا من المجالات التجارية التى تكاثرت أرباحها فى أيدى التجار فى مدينة «جنوا Genoa» الإيطالية مسقط رأس ماركو بولو ، وفى أيدى التجار فى مدينة «فينيسيا Venice» أيضا باعتبار أنها من أكبر الموانئ الإيطالية وأكثرها اتساعاً ونشاطا.

ولما كانت القسطنطينية قد افتتحها الأتراك العثمانيون فى سنة (1453م) وأغلقوا بذلك الطريق الشرقى لتجارة أوربا عن طريق جنوا وفينيسيا ، وأفضت هذه الكارثة التى حلت بموانئ جنوب شرق أوربا إلى أن يفكر البحارة الأوربيون فى العثور على طريق آخر للملاحة إلى بلاد الشرق .

وأفضى العكوف المستمر على دراسة الخرائط الجغرافية ، وكذلك أفضى الاستماع إلى قصص البحارة وتجاربهم فى رحلاتهم البحرية بعيدة المدى إلى اقتناع كريستوفر كولومبس «Christopher Columbus» أن الأرض كروية الشكل ، وهى نظرية كانت قد بدأت تستقر فى أذهان بعض كبار البحارة المحترفين آنذاك . وهكذا بدأ كولومبس يفكر فى مشروع للوصول إلى بلاد الصين وبلاد اليابان عن طريق الإبحار فى اتجاه الغرب ، وأخذ يجول بين الأقطار الأوربية بحثا عن أحد كبار الممولين لكى يقدم الأموال اللازمة لهذا المشروع الكبير غير المسبوق.



رحلة كولومبوس عبر المحيط الأطلسى

وكان كريستوفر كولومبس قد بلغ السادسة والخمسين من عمره عندما أصغى كل من فرديناند وإيزابيلا إلى تفاصيل مشروعه ، ووافقا على أن يضعا تحت تصرفه ثلاث سفن لتنفيذ مشروعه الكبير ، وهى السفن التى كانت تحمل اسماء : «سانتا ماريا Santa Maria» و «نينا Nina» و «بينتا Pinta» .

وخلال رحلات كولومبس البحرية الأربع باتجاه الغرب ، بين عامى 1492 ، 1504 ، قام كولومبس باكتشاف جزر الهند الغربية وسواحل أمريكا الوسطى والجنوبية ..

وفى اليوم الثالث من شهر أغسطس من عام 1492 أقلع أسطول كولومبس من ميناء «بالوس» ، كان ذلك الأسطول يحمل 88 بحاراً ، واتجه نحو جزر «كناريا» ..

وفى أكتوبر من نفس العام هبط كولومبس فى إحدى جزر البحر الكاريبى ، وقد تخيل أنه هبط أرض إحدى جزر الهند بالقرب من اليابان والصين ..

جاء فى سجل سفينته ، أنه رأى فى تلك الليلة ضوءاً أخذ يشتد ويخبو ، ثم يشتد، كما يحدث للشمعة عندما يمسها ريح .

وجاء فى سجل السفينة أيضا : أنه لما شقشق الصباح أو كاد ، رأى رأساً عاليا من الرمال ..

وتكلم فى هذا السجل عن السواحل ، وصخوره ، ووجود فتحة فى الصخور نفذ منا إلى الساحل ، ثم هبط على الأرض ووصف نبتها وأرضها ..

وبسبب اعتقاد كولومبس الخاطئ من أنه هبط احدى جزر الهند ، فقد أطلق على سكان تلك المنطقة اسم «الهنود» وأطلق على تلك الجزر اسم «جزر الهند الغربية» .

وبعدمضى أكثر من 470 عامًا قامت السيدة ولبار Welbar ومساعدوها فى معهد البحوث الشهير «Smithsonian Institute» بعمل بحث استغرق سبع سنوات لمعرفة أول موضع رأه كولومبس من أمريكا لأول مرة ونزل به .. وانتهى البحث إلى أن ذلك الموضع هو جزيرة سان سلفادور فى أرخبيل البهاما .. وهى تقع تمامًا عند خط العرض الذى عينه كولومبس لمواضع سفينته .. وهو شمال مدار السرطان بقليل .. وجاء البحث مطابقاً لما ورد فى سجل سفينة كولومبس .

ومن الطريف أن تلك السيدة قامت وأعوانها فى عام 1964 ، وفى مثل تلك الليلة التى وصل فيها كولومبس بتمثيل نفس الدور الذى قام به قبل نحو 500 سنة .. ركبت هى ورجالها سفينة تدعى Drake وساروا بها فى نفس الطريق الذى سار فيه كولومبس ، وفى مثل تلك الليلة ، ومثل تلك الساعة منها رأوا الضوء يشتد تمامًا كما وصف كولومبس ..

رأوه وهم على بعد 37 ميلاً ، تماماً عند المسافة التى رآه منها كولومبس ورجاله.. وعندما استوضحوا سبب هذا الضوء ، وجدوا أن أهل الجزيرة ، من بقى منهم من أخلاف آبائهم القدماء ، يوقدون فى هذا الشهر من السنة النيران دفعًا لذبابة الرمل التى تنغص عليهم حياتهم فى مثل هذا الوقت من السنة .. أما اشتداد الضوء وضعفه، فلأنهم كانوا يوقودون النار بأوراق صنف من النخيل الشمعى ، فتشتد النيران بالتقامه، ثم لاتكاد تخبوا حتى يلقموها وقوداً جديداً .. وهكذا ..



25- اكتشاف المحيط الهادئ (1513م)

The Discovery Of The Pacific (1513 A.D)

بعد اكتشاف كولومبس أراضى «جزر الهند الغربية The West Indies» كما أسماها أرسلت أسبانيا كثيرا من المستكشفين ، وكثيرا من المستعمرين لكى يستقروا فوق أراضى تلك المستعمرات الأسبانية الجديدة . وكان أحد أولئك المستعمرين الأسبان الجدد يعيش فوق أرض جزيرة «هاييتى Haiti» هو «فاسكونانيز دى بالبوا Vasco Nunez De Balboa» وكان فلاحا مفلسا لا يمارس أعمال الزراعة ، بل يمارس ارتكاب كثير من الجرائم، وكان يواجه من جرائها الحكم بالإعدام .



اختبأ فاسكو داخل برميل خشبى ضخم فارغ فوق ظهر سفينة كانت تحت قيادة الكابتن «إنشيسكو Encisco» وكان إذا احتاج إلى تناول وجبة من الطعام خرج من البرميل الخشبى أثناء رحلة السفينة واندس بين البحارة وصار يمارس أعمالهم ، حتى برع فيها وانتزع قيادة السفينة من الكابتن إنشيسكو . وبعد أن رست السفينة عند «داريان Darien» ، وهى التى نعرفها الآن باسم «بنما Panama» ، قام فاسكو بتأسيس مستعمرة «سانتا ماريا Santa Maria» ، وسمع فاسكو حكايات كانت تتردد على ألسنة السكان الأصليين عن كنوز ضخمة فى الاتجاه الغربى . وقام فاسكو بتجهيز رحلة بحرية تتكون من (190) بحارا من أصل أسبانى كان بينهم «بيزارو Bizarro» الذى سيطر على «بيرو Peru» ، وكانت الرحلة تضم أيضا ألف رجل من سكان بنما الأصليين ، وبعد رحلة بحرية طويلة استغرقت بضعة أسابيع وصل إلى قمم جبال «الكورديلاراس Cordilleras» ، حيث شاهد أمامه مساحات شاسعة من مياه المحيط الذى أطلق عليه فاسكو اسم «بحر الجنوب الكبير» وهو المحيط الذى أطلق عليه «ماجلان Magellan» فيما بعد اسم المحيط الهادى ، أو المحيط الباسيفيكى The Pacific Ocean ونزل فاسكو إلى ماء ذلك المحيط الذى كان قد وصل إليه وهو يحمل سلاحه شاهرا سيفه حتى وصل الماء إلى ركبتيه وأعلن ملكيته لهذا المحيط باسم إسبانيا .

وبعد ذلك غدا «فاسكوا دى بالبوا» واحدا من أقدر رجال ملك أسبانيا وأكثرهم إخلاصا وولاء ، على الرغم من أنه قد صدر ضده حكم بالإعدام عندما كان فى الرابعة والأربعين من عمره . وسيظل اسمه ملازما لهذا المحيط الغربى المعروف باسم المحيط الهادى الذى كان أول رجل يشاهده وينزل بقدميه إلى مياهه القابعة وراء الأمريكتين .

ولكن : هل المحيط الهادى هادئًا بالفعل ؟

أطلق ماجلان اسم المحيط الباسيفيكى ، وهى الكلمة التى ترجمت بالهادئ ، وهى وإن كانت تتضمن معنى المسالمة (أى محيط السلام) .. إلا أن المحيط لايبدو هادئًا أو مسالمًا بصفة دائمة ، فلقد أغرقت عواصفه وأعاصيره العديد من الأساطيل ، ودمرت وابتلعت الكثير من الجزر !!

26- رحلة ماجلان البحرية حول العالم (1519م-1522م)

Magellan's Voyage The World (1519 - 1522)

اقتناعا بأن الأرض كروية الشكل ، فلقد حاول كثير من البحارة ومنهم كولومبس أن يصلوا إلى الهند الشرقية ، وذلك بالقيام برحلة بحرية تتجه نحو الغرب وليس الشرق كما كان الحال بالنسبة إلى الرحلات البحرية المتجهة إلى الهند الشرقية من قبل . ولكن الدليل الحاسم على صحة هذا الاعتقاد لم يتم الوصول إليه حتى عام 1519م، إذ لم تكتمل رحلة كولومبس مثلا فى سيرها حول الأرض ، بل توقفت عند أمريكا .

فى ذلك الوقت ظهر ماجلان ، وهو قبطان بحرى برتغالى ، وقد اختمرت فى ذهنه فكرة إمكانية الوصول إلى جزر التوابل (إندونيسيا الحالية) إذا أبحر فى اتجاه جنوب أمريكا الجنوبية ..

ولما كان قد افتقد التشجيع من جانب البلاط الملكى فى البرتغال ، اتجه «ماجلان Magellan» إلى أسبانيا حيث حصل على مساعدة الملك «شارل الخامس Charles V» الذى تعهد أن يتحمل تمويل مشروع رحلة ماجلان للإبحار حول «الكرة الأرضية مكتملة The Globe» ...

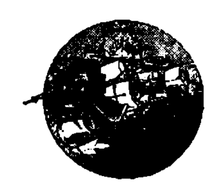


رحلة ماجلان والتى استغرقت ثلاث سنوات من عام 1519 إلى 1522

وهكذا ، أبحرت خمس سفن تحمل 275 بحارا عبر المحيط الأطلسى فى اليوم العشرين من شهر سبتمبر سنة 1519م ، وبلغت تكاليف تجهيزها للإبحار حوالى ربع مليون دولار... ووصل الأسطول الصغير إلى الطرف الجنوبى من أمريكا الجنوبية ، واكتشف الطريق المؤدى إلى المحيط الهادئ ، الذى يطلق عليه الآن اسم «مضيق ماجلان Straits Of Magellan» ، وبعد رحلة بحرية قطعت مسافة (360) ميلا باتجاه الجنوب فى أجواء شديدة العواصف ، وصلت إلى المياه التى كان قد اكتشفها «فاسكو دى بالبوا» من قبل ، وأطلق عليها ماجلان اسم المحيط الباسيفيكى (الهادى) وهى التسمية التى ظلت سائدة علما على هذا المحيط حتى اليوم .

وبعد هذه الرحلة الطويلة والشاقة ، بدأت المتاعب والأمراض ومعاناة آلام الجوع تظهر على البحارة ، بل وبدأ اليأس والتمرد على موجهتهم ، وكان الأمر قد خرج من تحت سيطرة ماجلان ، وهناك فى جزر الفلبين قتل بعض السكان الأصليين ماجلان نفسه ولم يكن قد بقى من سفنه سوى سفينتان واصلتا رحلتهما إلى جزر التوابل... ولم يعد إلى أرض الوطن إلا سفينة واحدة هى السفينة «ڤيتوريا Vittoria» وهى متهالكة من جراء أهوال الرحلة الطويلة التى استغرقت حوالى ثلاثة أعوام ، ولم يصل من البحارة إلا (38) بحارا هم كل الذين ظلوا على قيد الحياة .

وعلى الرغم من أن ماجلان كان قد قتل قبل أن يستكمل رحلته ، إلا أنه يستحق أن يتبوأ مكانته باعتباره واحداً من أعظم البحارة فى التاريخ لأنه عندما مات كان قد وصل بالفعل إلى الطريق الذى يعود إلى أوربا ، وكان قد أنجز معظم العمل الشاق الذى اقتضته هذه الرحلة البحرية الكبيرة التى برهنت بالدليل القاطع على أن الأرض كروية الشكل .



27 - لوثر والثورة البروتستانتية (1523 - 1524م)

Luther and The Protestant Revolt (1523 - 1524)

شغل ما يسمى بحركة «إصلاح الكنيسة فى أوربا Reformation Of The Chursh» فترة من أعظم فترات التاريخ الحافلة بالأحداث فى سجل التاريخ المسيحى فى أوربا . ولقد مهد الطريق لقيام هذه الحركة لإصلاح مفاسد الكنيسة الكاثوليكية آنذاك أسباب كثيرة تضافرت على إفساد حياة معظم الناس فى دول أوربا ، مثل هوس وصرامة وتصلب وتحجر ممارسات الكنسية آنذاك ، وكذلك تعالى وغطرسة واستبداد السلطات الكنيسة ، وتعاظم مساحات الأراضى الصالحة للزراعة والبناء المملوكة للكنيسة مع إعفائها من كافة أنواع الضرائب ، وكذلك الاحتكاك المستمر والتحرش الدائم والمنازعات المتعددة مع الدول الأوربية ، وكذلك الخصومات التى كانت تنشب مرارا وتكرارا بين البابا وبين ملوك أوربا فيما يتعلق بكثير من الأمور السياسية ، وكانت كل هذه الأسباب قد تضافرت لتمهد الطريق لمثل هذه الثورة التى أطلق شرارتها «مارتن لوثر Martin Luther» أستاذ اللاهوت المسيحى فى جامعة «ويتنبرج Wittenberg» الذى كان واحدا من أتباع «أوغسطين» .



وفى عام 1517م عمد مارتن لوثر إلى تعليق إعلان مكتوب على ورقة بجوار باب مدخل كنيسة مدينة «ويتنبرج» متضمنا 95 بندا للاحتجاج على سوء الممارسات الدينية البابوية المتعلقة بصكوك الغفران فى مقابل دفع مبالغ مالية كبيرة Forgiving Sins For Payments . وانتشرت أنباء اعتراضات مارتن لوثر ضد الممارسات الكنسية انتشارا واسع النطاق ، وأصبح له عدد كبير من الأتباع والأنصار بين الملوك والأمراء والنبلاء فى ألمانيا ، وكثير من دول وسط أوربا ، وكفلوا له الحماية من بطش البابا ، ورفضوا محاكمته أو تسليمه للمحاكمة ، واعتبروه مصلحا دينيا مخلصا وليس غارقاً فى الهرطقة كما كان يتهمه البابا بذلك .

وفى الأعوام السبعة التالية لإعلان مارتن لوثر احتجاجه المشهور ضد ممارسات البابا الدينية ، أصبح النزاع بين الكنيسة والثائرين ضد ممارستها هو الشبح المفزع الذى يهدد الاستقرار وهدوء الأمور واستتباب الأمن فى دول أوربا ، وخصوصا عندما ثار أبناء الجيل الأسود ضد الأمراء الذين يحكمونهم . واتسع نطاق القلاقل والثورات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وازدادت المعارك وسفك الدماء والمذابح المتبادلة بين المذاهب الدينية المتناحرة . وعلى الرغم من أن مارتن لوثر كان يتعاطف فى البداية مع الثائرين ضد الممارسات الكنسية إلا أنه قد أدان إسراف أولئك البروتستانت فى سفك دماء خصومهم ، وبعد أن أكلت الثورة الدينية كل ما طاب لها من الضحايا البشرية هدأت الأمور .

وعلى كل حال ، عندما مات مارتن لوثر فى عام 1546م كانت حركة الإصلاح الدينى البروتستانتية قد اكتسبت أنصارا لها يكفلون لهذه الحركة البروتستانتية البقاء والاستمرار فى نطاق واسع من أراضى الدول الأوربية ، وانبثق ميلاد الكنيسة البروتستانتية من أحشاء النضال من أجل التسامح والمطالبة بالقضاء على صكوك الغفران ، بكل ما تحمله الكنيسة البروتستانتية من ملامح تجعلها كنيسة متمايزة عن غيرها من الكنائس المسيحية.

28- نشأة الجزويت (1539م)

The Founding Of The Gesuits (1539A.D)

جماعة يسوع ، أو جمعية اليسوعيين Jesuits .. قام بتأسيسها «إجناتيوس ليولا Ignatius Of Loyola» وهو شاب أسبانى كان عند تأسيسه لهذه الجمعية فى السادسة والعشرين من عمره بعد أن كان قد جرح جرحاً خطيرا فى معركة من المعارك ، فقرر لو تحقق له الشفاء من إصابته تلك أن يحيا حياة الأتقياء .

وبعد أن تماثل إجناتيوس ليولا للشفاء ، قضى بضع سنوات فى السفر والترحال طلبا للإلمام بالعلوم والمعارف اللاهوتيه ، ثم جمع حوله سبعة أصدقاء وقرر أن يشد معهم الرحال للسفر إلى روما لكى يضعوا أنفسهم فى خدمة البابا.



فى ذلك الوقت كانت الكنيسة الكاثوليكية منهكة القوى واهية العزيمة ضعيفة الثقة ، قليلة الأتباع ، بعد أن تقلص عدد رعاياها وأتباعها وتحولوا بولائهم الدينى إلى الكنيسة البروتستانتية ، وكان المذهب البروتستانتى قد بلغ ذروة النجاح فى الانتشار والاستئثار بقبول الناس ورضاهم . ولمقاومة هذا المد البروتستانتى ، ولمساندة المذهب الكاثوليكى حتى لا يزداد تراجعا فى معركته المصيرية الحاسمة ضد البروتستانتية ، وفى محاولة لدحض شبهات تهافت الكاثوليكية للحصول على الملذات والممتلكات

العقارية والمكاسب المالية ، رحب البابا بدعوة «إجناتيوس ليولا» إلى حياة الزهد والتقشف فى نطاق المذهب الكاثوليكى دون حاجة إلى الخروج عن المذهب والثورة عليه . وإذا كان البروتستانت يعيبون على الكنيسة الكاثوليكية شدة الانغماس فى أسباب ترف الحياة الدنيا ، فها هى ذى الكاثوليكية تسمح أن يكون فى نطاقها متسع لكل من يرغب فى حياة الزهد فى الملذات الدنيوية ، وممارسة حياة التقشف لكل من يشاء أن يحياها . وتحمس البابا لمساندة دعوة إجناتيوس ليولا إلى حياة الزهد والتقشف وأعلن مباركته لجهود هذه الجماعة وتعهد برعاية كل شئونها .

وفى عام 1539م شرع إجناتيوس ليولا وجماعته الصغيرة فى القيام برحلة للحج إلى بيت المقدس تحت شعار أنهم «جماعة يسوع» ، وأقسم أعضاء الجماعة أن يعيشوا حياة الفقر والزهد والتقشف ، وتم اعتراف البابا «بول الثالث Paul III» بمشروعية قيام هذه الجمعية اليسوعية برئاسة إجناتيوس ليولا فى نطاق وبمباركة البابوية الكاثوليكية فى عام 1540م .

وتضخم عدد أعضاء الجمعية اليسوعية وأصبح أعضاؤها رجالا تعمقوا فى دراسة الدين ، زعموا أنهم يكافحون ويكرسون كل حياتهم لعمل الخير ، للبشر دون تمييز. ولا يأنفون من العمل بأنفسهم لتحقيق هذه الغاية ، والقيام بأى عمل من شأنه تحقيقها . واجتهدوا فى دراسة واكتشاف الأعمال التى يمكن لهم القيام بها لتحقيق هذا الهدف النبيل ، واجتهدوا فى إتقان كل ما يلزم للنجاح فى أداء الأعمال النافعة لأكبر عدد من الناس يستطيعون الوصول إلى تقديم الخدمات إليهم ، فى مسلك من شأنه أن يرفع منزلة المذهب الكاثوليكى فى أنظار الناس ، ليزيل ما علق بهذا المذهب من شوائب نتيجة للمآخذ التى أظهرها أتباع المذهب البروتستانتى ضد الممارسات الدينية الكاثوليكية وكأنما الكاثوليكية تريد أن تقول للناس : «لا ، لسنا نحن معشر الكاثوليك ، الذين نتهافت على الأموال والممتلكات والعقارات والنفوذ السياسى، ولكن فى المذهب الكاثوليكى متسع لكل من يريد حياة الزهد والعبادة والتقشف والابتعاد عن ملذات الدنيا ، وجماعة الجزويت اليسوعية الكاثوليكية شاهد على ذلك، ويستطيع كل من يرغب فى العبادة مع الزهد والتقشف أن ينضم إليها فى نطاق المذهب الكاثوليكى دون حاجة إلى الانشقاق عن الكاثوليكية والانضمام إلى المذهب البروتستانتى» . وبذلك كانت جمعية الجزويت اليسوعية طوق النجاة لإنقاذ الكاثوليكية من الاتهامات الخطيرة التى كان يكيلها أتباع المذهب البروتستانتى.

ومضت الأعوام لتزداد جماعة الجزويت اليسوعية أتباعا وأشياعا من خلال نشاط

أعضائها المؤسسين بكل دأب وإصرار على مواصلة الأعمال المخططة الجيدة الإعداد فى كل نواحى الحياة ، ونقلت الجمعية نشاطها إلى كثير من أقطار العالم مع الاهتمام بالعالم الجديد فى أمريكا ، مما جعل فروع جمعية الجزويت اليسوعية هيئة مرهوبة الجانب ذات نفوذ طاغ وفعال فى مضمار السياسة العالمية ، يخطب ودها ، ويقدم لها الولاء والمساعدات كل الزعماء والقادة السياسيين فى كثير من البلدان .

وكان الأعضاء الجدد المتطوعون للعمل فى نطاق جمعية الجزويت اليسوعية يخضعون أولا وقبل أن يعهد إليهم القيام بمهام ذات شأن فى أعمال الجمعية إلى تدريب شاق طويل يصل مداه إلى مدة لا تقل عن 15 – 16سنة ، وذلك وفقا للتعليمات التى صاغها إجناتيوس ليولا فيما أسماه «التدريبات الروحية Spiritual Exercises» ، ولقد أصبح كثير من أتباع جمعية الجزويت اليسوعية هم أفضل المدرسين المشتغلين فى مجالات التعليم فى أوربا على مدار حقب متتالية من الزمان ، نتيجة لاهتمام الجزويت بكل ما يتعلق بالتعليم ، إذ كان مؤسس هذه الجمعية إجناتيوس ليولا ينادى بادئ ذى بدء أن « التعليم والحصول على المعرفة هو مفتاح باب خدمة الرب» . وأفضى اجتهاد أتباعه فى الحصول على المعرفة إلى أنهم قد أصبحوا بالفعل هم أفضل المعلمين وأكثرهم براعة فى فنون التدريس ، مما جعل للمدارس اليسوعية شهرة كبيرة فى كثير من أقطار العالم ، فلهم أكثر من أربعة آلاف مدرسة وكلية وجامعة فى جميع أنحاء العالم .

تخرج من هذه المدارس عدد كبير من المكتشفين والمبشرين والعلماء ورجال الدين والكتاب ، فمنهم مثلاً القديس «فرانسيس خافيير» وهو من اليسوعيين الأسبان، الذى أدخل الآلاف من سكان الشرق الأقصى فى الدين المسيحى خلال القرن السادس عشر .. كذلك كان منهم «جيرارد مانلى هوبكنز» ، من أكبر شعراء القرن التاسع عشر ، وهو من اليسوعيين الإنجليز ، ومنهم أيضا الأب اليسوعى الفرنسى «بيتر تيلار دى شاردان» وهو من أكبر علماء دراسة الحفريات فى القرن العشرين .

ولكن محاولات الجزويت اليسوعيين التدخل فى الصراع السياسى فى كثير من الأقطار ، وانغماسهم فى الشئون والمشاكل السياسية ، وغموض ممارساتهم السرية ، قد أفضى بهم إلى العزلة والحد من إمكانات تدخلهم فى الأمور السياسية فى كثير من الأقطار . ولم يعد الجزويت اليسوعيون اليوم يحظون بالنفوذ المؤثر القوى الذى كانوا يتمتعون به فى ظل قوة نفوذ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التى أصبحت اليوم فى غير حاجة إلى جهود الجزويت اليسوعيين .

29- حصار مالطة (1565م)

The Siege Of Malta (1565)

ما الذى جعل معاوية بن أبى سفيان ، وهو الوالى المسلم على بلاد الشام ، يطلب من عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يصرح له بإنشاء أسطول بحرى ، ورفض سيدنا عمر الإذن له بذلك ، حتى جاءت خلافة عثمان بن عفان – رضى الله عنه – فكرر معاوية الطلب ، وأذن له سيدنا عثمان ببناء أسطول بحرى بشرط ألا يجبر مسلما على ركوب البحر ؟

وما هو السبب فى أن الأتراك العثمانيين قد سيطروا على كل الجزر الموجودة فى البحر المتوسط ولا تزال تركيا تتمسك بسيادتها على شمال جزيرة قبرص ؟

وما هو السبب فى أن الفيلد مارشال إروين روميل أثناء قيادته للجيش الألمانى الخامس فى شمال إفريقيا كان يلح على هتلر مطالبا باحتلال الألمان لجزيرة مالطة ؟



الجزر المتناثرة فى البحر المتوسط مثل قبرص ، ومالطة ، وكريت ، وصقلية وغيرها، كانت تلعب فى القرون الماضية دورا استراتيجيا مهما بين غرب آسيا وشمال إفريقيا وجنوب أوربا . كانت فلول القوات الرومانية بعد انسحابها أمام حركة الفتح الإسلامى تحاول تجميع قوات عسكرية فى جزيرة قبرص ومالطة ثم تحاول مهاجمة أراضى الشام المطلة على الساحل الشرقى للبحر المتوسط ، مما جعل معاوية بن أبى سفيان يلح فى طلب الإذن له بتكوين أسطول بحرى للقضاء على هذه التجمعات الرومانية المعادية ، ونجح معاوية فى تكوين هذا الأسطول تحت قيادة عبد الله بن قيس الحارثى ، واستولى بالفعل على جزيرة قبرص وجزيرة رودس . وفى سنة (34 هـ) وقعت بين العرب فى مصر بقيادة عبد الله بن أبى السرح وبين أسطول الرومان معركة بحرية مهمة فى البحر المتوسط هى معركة «ذات الصوارى» انتصر فيها العرب.

يدل ذلك دلالة قاطعة على الأهمية الاستراتيجية الكبرى لجزر البحر المتوسط فى الدفاع والهجوم المتبادل بين دول غرب آسيا وشمال إفريقيا من جهة وبين كافة دول جنوب أوربا من جهة أخرى وذلك طوال عصور التاريخ القديم والحديث بوجه عام .

وجزيرة مالطة واحدة من أهم الجزر الموجودة فى البحر المتوسط بين قارة أوربا وقارة إفريقيا بالقرب من شواطئ غرب آسيا المطلة على البحر المتوسط . ولقد كانت مالطة على مدار قرون عديدة واحدة من ممتلكات الإمبراطورية الرومانية ، ثم خضعت مدة طويلة بعد ذلك لسيطرة الأتراك العثمانيين ، وكان النورمانديون والإيطاليون يتبادلون مع الأتراك السيطرة على هذه الجزيرة ذات الأهمية الاستراتيجية فيما يتعلق بالهجوم أو الدفاع على حد سواء ، ثم استقرت جزيرة مالطة فى أيدى فرسان «القديس يوحنا St. John» تحت راية الملك الأسبانى «شارل الخامس King Charles V» ... ولدى سماع فرسان القديس يوحنا أن السلطان «سليمان الثانى» على وشك أن يغزو الجزيرة للقضاء على فرسان القديس يوحنا قاموا بعمل كل ما يمكنهم من تجهيزات الدفاع عن بقائهم فوق أرض جزيرة مالطة ...

وفي شهر مايو سنة 1565م هاجم أسطول تركي يحمل حوالي 000 30 مقاتل جزيرة مالطة بقيادة أمير البحر التركي مصطفى باشا ، وبدأ في حصار الجزيرة التي كان يدافع عنها ما لا يزيد على ثمانية آلاف من فرسان القديس يوحنا بقيادة «أوليفر ستاركي Oliver Starky» . وقتل أثناء الهجوم التركي على الجزيرة «القديس إلمو St Elmo .» مما أغضب الأهالي وأثار الحماس في قلوب بقية الفرسان المدافعين عن الجزيرة . واضطر حوالي 1200 مدافع عن الجزيرة إلى التراجع إلى الوراء ، ولكنهم كانوا قد قتلوا ما لا يقل عن 7000 مقاتل من المهاجمين الأتراك مما يدل على شدة القتال للسيطرة على الجزيرة . وواصل المدافعون عن الجزيرة الدفاع عنها بعد أن ابتعدوا عن سفن الأسطول التركي مسافة كافية ، وعند بعض الاستحكامات الدفاعية تمسكوا بالثبات في مواقعهم وحاربوا بعزيمة وثبات ، وبحلول اليوم الثاني من شهر سبتمبر سنة 1565م أي بعد نحو أربعة أشهر من القتال اضطر مصطفى باشا إلى التراجع بأسطوله وتخلى عن حصار الجزيرة نهائيا ...

وأفضى حصار الأتراك لجزيرة مالطة إلى شد انتباه واهتمام الدول الأوربية إلى أهمية هذه الجزيرة ، ووصل إليها أعداد غفيرة من «الفرسان الجدد» الذين تطوعوا للدفاع عن جزيرة مالطة لتتمكن من الصمود أمام أي غزوات أخرى من جانب الأتراك . وهكذا حالت شجاعة المدافعين عن جزيرة مالطة سنة 1565م دون تهديد الأتراك لكل دول جنوب أوربا مما جعل هذه المعركة مثار فخر واعتزاز لدى دول أوربا. وبدلاً من أن يهدد الأتراك دول جنوب أوربا عسكريا وتجاريا ظلت جزيرة مالطة شوكة في حلق الأتراك عسكريا وتجاريا .



30- مذبحة سانت بارتولوميو (1572م)

The St . Bartholomew Massacre (1572)

على الرغم من أن فرنسا كانت دولة شديدة التعصب للمذهب الكاثوليكى الذى كان يدين به معظم الفرنسيين إلا أن المذهب البروتستانتى استطاع التسلل إلى بعض الفرنسيين الذين حاولوا أن يخففوا حدة الصراع بينهم كأقلية بروتستانتية يعيشون فى كنف أغلبية كاثوليكية ، فأطلقوا على أنفسهم تسمية أخرى هى «هوجونوت Huguenot» واستطاعت جماعة الهوجونوت أن تشق طريق الحياة لأتباعها فى الأقاليم الفرنسية .

واستطاع أحد أبناء الهوجونوت أن يصبح جنرالا فى الجيش الفرنسى ، وأن يصبح المستشار الموثوق به للملك شارل الرابع Charles Iv الذى كان يأخذ برأى الجنرال «كوليجنى Coligny» أحد أبناء الهوجونوت المشهورين .



وكانت أم الملك ، «الملكة الأم كاترين دى ميديشى Catherine De Medici Queen Mother» تغار بشدة من تأثير وقوة نفوذ ذلك الجنرال البروتستانتى الهوجونوتى ، إذ كانت شديدة التعصب للمذهب الكاثوليكى . وخططت الملكة الأم كاترين لتنفيذ مؤامرة لاغتيال الجنرال كوليجنى ، ولكن المؤامرة فشلت ، ونجا الجنرال من محاولة الاغتيال الفاشلة ولم يصب إلا بجرح طفيف . وعندما ذاعت أنباء محاولة الاغتيال الفاشلة فى أوساط الهوجونوت أقبلوا وتجمعوا

حول الجنرال الهوجونوتى النابه فى باريس لتوفير أكبر قدر من الحماية له ، مما زاد من حقد وغضب الملكة الأم وأصبحت تخشى من انتقام جماعة الهوجونوت وتخشى من ازدياد نفوذهم فى البلاط الفرنسى ، ولم يعد هدف الملكة وتخطيطها ينحصر فى القضاء على الجنرال البروتستانتى الهوجونوتى كوليجنى ، بل اتسع نطاق التخطيط ليشمل كل جماعة الهوجونوتى فى فرنسا لاجتثاث جذورهم من الأراضى الفرنسية. وحانت الفرصة لتنفيذ هذه الخطة الواسعة النطاق أثناء الاحتفال بزفاف أخت الملك شارل الرابع إلى الأمير هنرى ، أمير مقاطعة نافارين ، ورأت الملكة الأم كاترين أنها تستطيع أن تتخلص من كل زعماء ووجهاء وقادة وأثرياء جماعة الهوجونوت بضربة واحدة أثناء حضورهم من سائر الأقاليم الفرنسية لحضور حفل زفاف أخت الملك شارل الرابع . واستعانت الملكة كاترين بنفوذ ومساعدة اثنين من النبلاء المقربين أيضا من الملك لإقناعه أنه لا يجب أن تفوت هذه الفرصة السانحة للقضاء على نفوذ الهوجونوت الذين يهددون العرش الفرنسى ، ويقتضى الصالح العام لفرنسا ضرورة التخلى من وجودهم على الأراضى الفرنسية كلها .

وفى الصباح الباكر من يوم 24 أغسطس سنة 1572م ، يوم الاحتفال بعيد القديس «بارتولوميو St. Bartholomew» بدأت المذبحة الشهيرة ، مذبحة القديس «بارتولوميو» ضد أبناء جماعة الهوجونوت البروتستانتية ... وغرقت شوارع باريس فى دماء الضحايا التى سفكت ، وحطم القتلة الكاثوليك الفرنسيون منازل الهوجونوت دون استثناء واحد منها ، وجذب القتلة الكاثوليك الهوجونوت البروتستانت من فراش نومهم ليضربوا رقابهم بالسيوف ، وكان من بينهم زعيم الهوجونوت وأبرز وجهائهم الجنرال « كوليجنى» أيضا ... وانتشرت مذابح كثيرة أخرى لاغتيال وقتل الهوجونوت فى كل الأقاليم والمدن والقرى الفرنسية .... وذبح الكاثوليك ما لا يقل عن خمسين ألفا من الهوجونوت فى هذه المذبحة الرهيبة ، وكأنما لم تكن الملكة الأم وحدها هى التى تشعر بالحقد والكراهية ضد الهوجونوت البروتستانت ، ولكن كانت الغالبية العظمى من الفرنسيين الكاثوليك يشعرون بنفس مشاعر الحقد والكراهية ضد الهوجونوت البروتستانت ... والعجب كل العجب ، وهذه هى حال الكاثوليك فى التعامل مع البروتستانت ، أن يتحدثوا عن أن الإسلام قد انتشر بالسيف، بينما سيوفهم مخضبة بدماء البروتستانت فى فرنسا فى مثل هذه المذبحة الرهيبة فى عيد القديس «بارتولومى» وحفل زفاف أخت ملك فرنسا هنرى الرابع ، كما كانت سيوف البروتستانت مخضبة بدماء الكاثوليك أيضا فى ألمانيا ودول وسط أوربا!!

31- التوقيع على الحكم بإعدام الملكة مارى (1586م)

The Signing Of The Death Warrant Of Queen Mary (1586)

كانت «مارى ستيوارت Mary Stuart» هى ملكة «سكوتلاندا» ، وكانت أقرب قريبات الملكة «إليزابث Elizabeth» ووريثة عرشها لو قدر للملكة مارى ستيوارت أن تعيش بعد وفاة الملكة إليزابث . وكانت أسرة ستيوارت التى تحكم سكوتلاندا أسرة كاثوليكية ، بينما كانت أسرة الملكة إليزابث أسرة بروتستانتية المذهب . ترى ، هل تترك الملكة إليزابث العرش لكى ترثه الملكة مارى ستيوارت الكاثوليكية لكى تعمل على انتشار مذهبها بين أفراد الشعب البريطانى الذين يعتنقون المذهب البروتستانتى ؟

مشكلة كانت تؤرق نوم الملكة إليزابث وكثيرا من رعايا عرشها البريطانى . وبعد مناورات ومؤامرات عديدة قام بها كل من الطرفين ، أصبحت الملكة الاسكوتلاندية مارى ستيوارت أسيرة سجينة لدى الملكة إليزابث فى قلعة «فوذرنجاى Fou-theringay» ، ولكن أعضاء البرلمان البريطانى ومعظم أبناء الشعب البريطانى لم يكفهم ذلك ، وكانوا يريدون قتل الملكة الاسكوتلاندية مارى ستيوارت لكى يضمنوا عدم مواجهة مشكلة دستورية ، ولكى يضمنوا عدم التعرض للقلاقل والاضطرابات التى يمكن أن تنجم لو تمكنت الملكة الكاثوليكية الاسكوتلاندية من الجلوس على عرش بريطانيا بطريقة مشروعة .



وفى عام (1586م) قام الاسكوتلانديون بمؤامرة كبرى لغزو بريطانيا واغتيال الملكة إليزابث لكى ترث «مارى» عرشها وتكون السيادة بالتالى للاسكوتلانديين على البريطانيين . كان الاسكوتلانديون إذن يريدون اغتيال الملكة إليزابث بالقوة المسلحة ، وكانت تلك المؤامرة الاسكوتلانديه وبالا على ملكتهم السجينة لدى الملكة إليزابث ، وحدد اتصال المتامرين بها مصيرها المحتوم ...

تم اقتياد الملكة مارى ستيوارت من محبسها إلى المحاكمة أمام 36 قاضيا ، وبعد استماعهم إلى دفاعها دون إصغاء حقيقى ، أدانها القضاة الستة والثلاثون بالإجماع بأنها مذنبة فى جريمة الخيانة العظمى لاشتراكها مع بنى قومها وملتها فى جريمة محاولة اغتيال الملكة إليزابث .

وفى اليوم السادس من شهر ديسمبر سنة 1586م كان حكم القضاة فى مارى ستيوارت يقرأ على كل أفراد الشعب البريطانى فى كل الكنائس والشوارع والميادين العامة ، لإقناع الشعب البريطانى بمشروعية إعدام الملكة الكاثوليكية الاسكوتلاندية المتآمرة الخائنة . وكان الشعب البريطانى يرغب أصلا فى التخلص من وجود الملكة مارى ستيوارت .

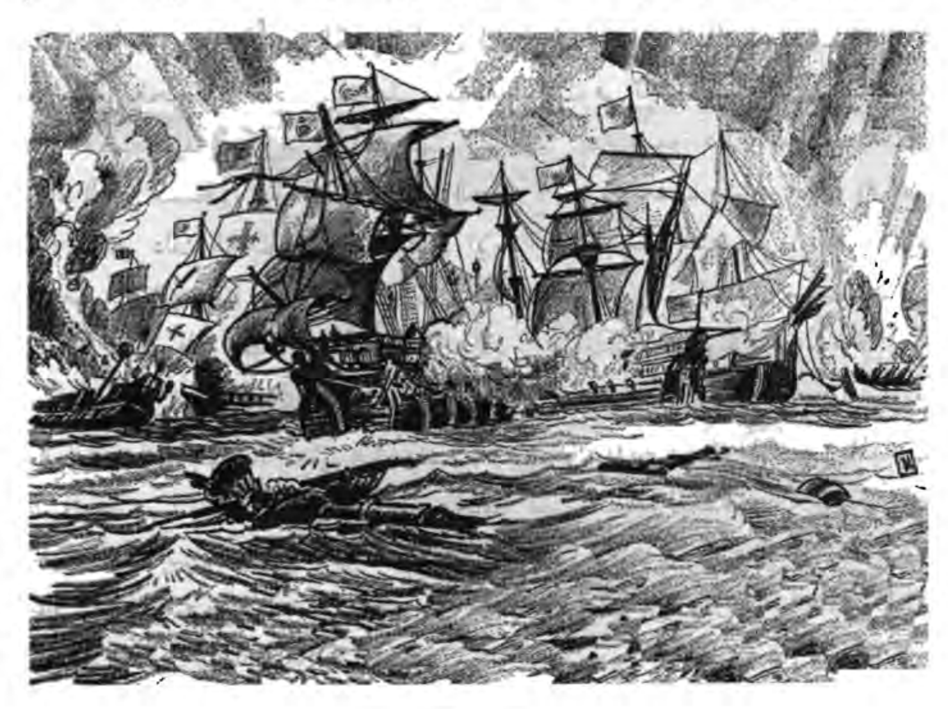
وهكذا كانت الملكة إليزابث تحرص على إعدام الملكة مارى بطريقة شرعية لا تدع أى مجال للتعاطف مع الضحية بأى حال من الأحوال ، إذ كان اغتيال ملك لأحد الملوك الآخرين من الأمور الكريهة لدى الناس وفى أعراف الملوك والملكات آنذاك . ولمزيد من الحرص والاحتياط تمهلت الملكة إليزابث فى تنفيذ حكم الإعدام الصادر من القضاة ضد الملكة مارى لمدة شهرين كاملين بعد صدور ذلك الحكم ، حيث كان الناس مشتاقين غاية الشوق لتنفيذ الحكم ، وحيث تآلفت مشاعر الناس وهدأت إزاء صدور ذلك الحكم الذى لم يبق إلا الإجراءات العملية لتنفيذه .... وفى اليوم الثامن من شهر فبراير سنة 1587م تم قراءة الحكم على الملكة مارى ستيوارت فى سجنها داخل قلعة «فوذرنجاى» وأطاح الجلاد برأس الملكة الاسكوتلاندية المتآمرة!!

ونتج عن إعدام الملكة ستيوارت أن تلاشت مشاكل الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت فوق الأراضى البريطانية ، التى كان يدين معظم شعبها بالمذهب البروتستانتى ، وتلاشت إلى حد كبير مخاطر عودة السيادة للمذهب الكاثوليكى فى حياة الملكة إليزابث على الأقل ، ولكن ذلك الصراع بين البروتستانتية والكاثوليكية عاد ليطل برأسه من جديد فى عهد كل من الملك «جيمس الأول James I» والملك «شارل الأول Charles I» لكى تشتعل نيران الحرب بين أتباع المذهبين من جديد .

32- تحطيم الأرمادا الأسبانية (1588)

The Destruction Of The Spanish Armada (1588)

لمن تكون السيطرة على بحار العالم النشيطة بالحركة الملاحية العالمية فى القرن السادس عشر ؟ لقد برزت أهمية تحقيق السيادة البحرية عندما أصبح تأثير البر تأثيرا حاسما من النواحى العسكرية والتجارة والسياسة ، وأصبحت السيطرة على البحر مقدمة ضرورية للسيطرة على البر . واشتعلت المنافسة واشتد الصراع بين القوى والدول العظمى ، مثل : تركيا ، وأسبانيا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وهولندا ، وحاولت كل دولة بناء أسطول قوى لفرض سيطرتها على البحار الحيوية فى العالم ، مثل المحيط الأطلسى ، والبحر المتوسط . وتعاونت الدول الأوربية لإخراج تركيا من نطاق المنافسة على السيطرة البحرية بعد موقعة «ليبانتو Lepanto» البحرية 1571م وهى المعركة المعروفة باعتبار أنها معركة الحلف المقدس ، وذلك لاشتراك الدول البحرية الأوربية فيها ضد الأسطول التركى مما أفضى إلى تقلص السيطرة العثمانية فى البحر المتوسط ، وقضت معركة «نوارين» البحرية سنة 1827م على كل آمال تركيا فى الحصول على سيطرة بحرية ضد الأساطيل الأوربية ، وكانت تلك هى بداية هجوم



الأمراض على جسم الرجل المريض عندما تمت ترجمة السيطرة البحرية الأوربية إلى سيطرة على البر أيضا ، واضطرت تركيا إلى التخلى عن بلاد اليونان وغيرها من دول أوربا والانسحاب منها ، ثم تدهورت كل شئون الإمبراطورية العثمانية كنتيجة مباشرة لخسارة تركيا للسيطرة البحرية .

وفى عام 1587م وجدت أسبانيا أن سفنها لم يعد لها سلامة ولا أمن ، وهى تتحرك فى أعالى البحار . كانت الأساطيل البريطانية بقيادة أمراء البحر الإنجليزى مثل «دريك Drake» ـ «هالوكنجز Halokings» ـ وكثير غيرهما تسبب مضايقات كثيرة للسفن الأسبانية العائدة إلى أسبانيا بكميات كبيرة من خيرات المستعمرات الأسبانية فى أمريكا ، التى كان الأسبان قد توسعوا فى امتلاك أراضيها والسطو على خيراتها ، ولكن الطريق البحرى بين أسبانيا وممتلكاتها فى أمريكا كان مهددا تهديدا خطيرا ومستمرا ، من جراء النشاط المعادى للأسطول الإنجليزى ، وكان الطريق البحرى هو طريق المواصلات الوحيد بين أسبانيا وممتلكاتها فى القارة الجديدة ، مما جعل المشكلة تغدو مشكلة حادة لا مناص من حلها .

وعندما دمر أمير البحر الإنجليزى فرانسيس دريك مجموعة كبيرة من السفن الإسبانية عند «كاديز Cadiz» فى عام 1587م لم يستطع الملك الأسبانى «فيليب الثانى Philip II» أن يتغاضى عن الإهانات البحرية الإنجليزية ، وتحرك أسطول الأرمادا الأسبانى المكون من 130 سفينة مجهزة للقتال على متنها (27000) بحار أسبانى مدرب على القتال البحرى من ميناء «لشبونة Lisbon» بقيادة «دوق ميدينا سيدونيا Duke Of Medina Sidonia» لكى يلتحم مع الأسطول الأسبانى الموجود فى هولندا ويحمل عددا كبيرا من القوات البرية ، وذلك بهدف غزو أرض إنجلترا ذاتها . وهكذا لم يكن هدف الأرمادا الأسبانية هو مجرد تدمير ما يصادفه من سفن حربية إنجليزية فقط ، ولكنه كان يهدف إلى ما هو أبعد من ذلك ، كان يهدف أيضا إلى غزو إنجلترا فى عمق ديارها لاحتلال أراضيها ، لكى يحرم أى سفن حربية إنجليزية فى أعالى البحار من موطنها الأصلى ، وهكذا كانت الخطة الحربية للأرمادا الأسبانية خطة كبيرة وخطيرة ، وكان الهدف صعباً وعزيز المنال ....

ونجح الأسطول الإنجليزى تحت قيادة كل من : دريك ـ هاوكينجز ـ فروبيشر ـ بيرلى ، نجح الأسطول الإنجليزى بقيادة أولئك القادة ذوى الكفاءة الحربية البحرية الممتازة بكل مقاييس العصر فى الإفلات من أن تكون سفنهم ، التى لم يكن عددها يزيد عن تسعين سفينة محاصرة فى القنال الإنجليزى الضيق ، وأفسحوا المجال لسفن

أسطول الأرمادا الأسبانية لكى تدخل فى المصيدة التى كانت ترغب فى أن تصطاد بداخلها سفن الأسطول الإنجليزى . أصبحت معظم سفن الأسطول الإنجليزى فى عرض مياه المحيط الأطلسى حرة طليقة الحركة ، قادرة على كل أنواع المناورات دفاعا وهجوما ، ودخل الأسطول الأسبانى فى مياه القنال الإنجليزى الضيقة لأنه كان يهدف بطبيعة الحال إلى النزول بقوات برية على الأرض الإنجليزية ذاتها . ولقد كان هذا خطأ حربيا كبيرا دون شك ، وذلك لتشتت هدف الأرمادا بين البحر والبر . هل تهدف الأرمادا الأسبانية إلى إنزال قوات برية إلى عمق الأراضى الإنجليزية؟ كانت الأرمادا الأسبانية تريد تحقيق الهدفين معا ، ولذلك اندفعت إلى مياه القنال الإنجليزى ، لكى تحقق هدف الإنزال البرى وهى تحسب أن البحر قد خلا من السفن الإنجليزية التى يمكن أن تتصدى لها ، بينما كانت السفن الإنجليزية على مقربة منها ، ولكن فى عرض مياه المحيط لكى تتاح لها الحرية الكاملة فى المناورات البحرية بكافة أنواعها وأساليبها .

وهاجمت سفن الأسطول الإنجليزى الأرمادا الأسبانية وهى محاصرة فى مياه القنال الإنجليزى فى جو عاصف لم يألفه البحارة الأسبان ، وكان الهجوم الإنجليزى عنيفا وسريعا وكاسحا . واستمرت المعركة البحرية فى هجمات متتالية على سفن الأرمادا لمدة أسبوع كامل ، وفى كل يوم تتمكن سفن الأسطول الإنجليزى من إشعال النيران فى بعض سفن الأرمادا لتهوى إلى قاع البحر . وفى اليوم التاسع والعشرين من شهر يوليو 1588م تم الإجهاز على معظم الأرمادا الأسبانية ، ولم ينقذ السفن القليلة الباقية من الأرمادا إلا تغيير مفاجئ فى اتجاه الرياح ونفاد معظم القذائف لدى سفن الأسطول الإنجليزى . وتمكنت بقية سفن الأرمادا من الانسحاب عائدة إلى بلادها ، وقد فقدت أسبانيا فى هذه المعركة نصف عدد سفن أسطولها ، وكانت معظم السفن الأسبانية التى تمكنت من الانسحاب معطوبة إلى حد كبير وهى تتجه إلى الموانئ الاسكوتلاندية والأيرلندية وهى منهكة القوى ، سواء فى ذلك السفن والبحارة .

ونتج عن تدمير الأرمادا الأسبانية فى هذه المعركة الحاسمة استقلال هولندا عن النفوذ الأسبانى ، كما تلاشت قدرة أسبانيا فى المنافسة على السيادة البحرية ، وكان أهم نتائج تدمير الأرمادا الأسبانية بالقرب من الشواطئ البريطانية هو تحقيق السيادة الإنجليزية الكاملة فى كل بحار العالم ،مما جعل بريطانيا أقوى دولة استعمارية ، لأنها أقوى دولة بحرية فى القرون التالية بدءا من القرن السادس عشر ، وعلى مدار قرون تالية من التاريخ الحديث ....

33 - إدخال العبيد إلى أمريكا (1619م)

The Introduction Of Slavery In America (1619)

اكتشف الأوربيون الأمريكتين ، ونشطت حركة هجرتهم إليها منذ بداية القرن السادس عشر . وانقضى القرن السادس عشر دون أن يدخل أمريكا أناس من ذوى البشرة السوداء طوال مائة عام . فكيف دخل العبيد إلى أمريكا ؟

فى عام 1442م حصل الأمير البرتغالى «هنرى البحار Henry The Navigator» على أول مجموعة من الزنوج المستعبدين من قارة إفريقيا . وهكذا بدأت مرحلة اصطياد البشر من الزنوج الأفارقة بطرق وأساليب مخططة منظمة بمشاركة تجار الرقيق الأسبان والإنجليز والهولنديين ، الذين اندفعوا إلى ممارسة هذه التجارة الرابحة ، تجارة العبيد التى كان قد بدأها البرتغاليون .



ولم يكن يوجد فى أوربا مجالات عمل منافسة لأعداد كبيرة من العبيد ، ولذلك تم توجيه نسبة كبيرة من حصيلة صيد العبيد إلى المستعمرات الأسبانية فى أمريكا ، من أولئك العبيد الذين قدّرلهم أن يظلوا على قيد الحياة فى نهاية الرحلة البحرية الطويلة من إفريقيا إلى أمريكا ، وكان تجار العبيد يقذفون بجثث من ماتوا من العبيد أثناء الرحلة إلى البحر ، بينما كان العبيد الناجون من الرحلة البحرية الطويلة يعملون بنظام السخرة دون أن يتقاضوا أى أجر فى مقابل أتعابهم فى زراعة وحصد قصب السكر ونقله ، والعمل فى مصانع السكر والمناجم فى المستعمرات الأسبانية فى أمريكا.

وفى شهر أغسطس سنة 1619م رست سفينة تجارية هولندية فى ميناء «جيمس تاون Jamestown» فى ولاية «فرجينيا الأمريكية Verginia» وأنزلت إلى البر عشرين زنجيا (20 Negroes» وتم بيعهم بسهولة للسكان فى تلك الولاية مقابل مائة دولار لكل زنجى . وكانت أعمال زراعة «الدخان Tubacco» والقطن Cotton» قد فتحت سوقا متعطشة للأيدى العاملة المستديمة ، وازدادت تجارة العبيد نشاطا بالتدريج ، وبحلول عام1790م كان هنالك 000 200 من العبيد فى ولاية فرجينيا وحدها .

وأدخلت تجارة العبيد إلى الولايات الشمالية فى أمريكا فى عام 1626م من خلال نشاط «شركة الهند الغربية West India Company» وفى سنة 1671م وصلت أول سفينة مخصصة لنقل العبيد فقط إلى ولاية «كارولينا الجنوبية South Carolina» ..

ولقد كان لاستقرار واتساع نطاق نظام تجارة الرقيق آثار بالغة السوء فى التاريخ الاجتماعى للولايات المتحدة الأمريكية ، مع ما كان يصاحبه من تمييز عنصرى ، ولأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية نجم عن اتساع نطاق تجارة العبيد خلاف وشقاق وحروب بين الولايات الشمالية التى كان يوجد بها أعداد قليلة من العبيد ، نظرا لطبيعة النشاط الصناعى والتجارى بها ، وبين الولايات الجنوبية التى كان استغلال العبيد فيها على نطاق واسع نظرا إلى طبيعة العمل فى المجال الزراعى الأكثر شيوعا فى الولايات الجنوبية ، مما أفضى إلى قيام الحرب بين ولايات الشمال وولايات الجنوب فى أمريكا من أجل تحرير العبيد فى عام 1860م ...

كانت هذه هى قصة دخول تجارة العبيد إلى أمريكا ، أما قصة تحرير العبيد فى أمريكا فهى قصة أخرى ..

34- الثورة الإنجليزية (1642 - 1659م)

The English Revolution (1642 - 1659)

اعتلى «شارل الأول Charles I» عرش إنجلترا فى عام (1625م) ، وفرض على الناس الضرائب الباهظة بطريقة استبدادية استنادا على الحق الإلهى المقدس للملوك ، الذى كان يعنى آنذاك أن الرب هو الذى يختار للناس ملوكهم ، ومن الضرورى أن يطيع الناس أوامر ملوكهم ، وكل من يعارض مشيئة الرب وإرادته يستحق أقصى عقوبة . وأسرف الملك شارل أيضا فى اضطهاد البيوريتان ، وهم طائفة دينية انشقت عن الكنيسة الإنجليكانية البروتستانتية ، وعارضت تعاليمها ، كما كانت البروتستانتية قد انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية وعارضتها . أسرف الملك شارل الأول ـ فيما يقال ـ فى اضطهاد طائفة البيوريتان ، وكان يحكم بالسجن على أى شخص يعترض طريقه . وعندما ثار أعضاء البرلمان ورفضوا الموافقة على حصول الملك شارل الأول



على فرض ضرائب جديدة ، عمد الملك شارل الأول إلى حل البرلمان وحكم بريطانيا لمدة إحدى عشرة سنة بدون برلمان . ولكن احتياج الملك شارل الأول إلى الأموال فى حربه الطويلة للقضاء على الثورة الاسكوتلاندية اضطرته إلى دعوة البرلمان للانعقاد فى سنة 1640م ورفض البرلمان اعتماد الضرائب التى كان يريدها الملك ، ولم يوافق عليها ، وأعلن إلغاءه بزعامة كل من «بيم Bym» وزميله «هامبدن Hampden» ، وقام البرلمان باختيار وتعيين وزراء لممارسة السلطة التنفيذية والسيطرة على الشئون المالية للدولة . ورفض الملك شارل الأول هذه التوصيات البرلمانية ، ودعا أنصاره إلى رفضها ، ودعا إلى ضرورة البطش بأعضاء البرلمان والبطش بكل الذين يناصرونهم ... وهكذا بدأت الحرب الأهلية بين أنصار الملك شارل الأول وأنصار أعضاء البرلمان الإنجليزى الذين أصروا على مواصلة ممارسة سلطاتهم باعتبارهم أنهم يمثلون إرادة الشعب وليس إرادة الملك، وليس للملك الحق فى حل البرلمان الذى انتخب الشعب أعضاءه حتى ينتخب الشعب أعضاء آخرين وفقا للنظام الدستورى الذى يلزم العمل بموجبه وعدم الإخلال به من جانب أى شخص ولو كان ذلك الشخص هو الملك نفسه . وبهذا المنطق القوى قطع البرلمان على الملك شارل الأول فرصة وإمكانية أن يصدر قرارا بحل البرلمان .

وابتهج الاسكوتلانديون لهذا الشقاق بين الملك والبرلمان ، واشتد ساعد مقاومتهم لقوات جيش الملك ، واستطاعوا أن يلحقوا بجيش الملك هزيمة ساحقة عند «مارستون مور Marston Moor» فى أقصى شمال اسكوتلاندا ، بينما لم تشارك القوات البريطانية التى كانت موجودة فى جنوب اسكوتلاندا تحت قيادة كل من «فيرفاكس Fairfax» و«كرومويل Cromwell» فى تلك المعركة .

وتمت هزيمة القوات الموالية للملك أيضا فى صراعها ضد القوات الموالية للبرلمان بقيادة كرومويل الذى عاد من اسكوتلاندا لقيادة القوات المعارضة للملك . وتم القبض على الملك شارل ووضعه فى السجن ، وحاول الفرار من السجن ، وتم القبض عليه مرة أخرى وإعادته إليه ، وجرت له محاكمة (صورية) فقد كان الحكم باعدام الملك معدا سلفا ، وأصدرت المحكمة حكمها أن يعدم الملك ، وتم تنفيذ الحكم فى سنة (1649م) . وتم إلغاء الملكية فى بريطانيا ، وتم إعلان بريطانيا كدولة للكومنولث «Commonwealth» مشمولة بحماية كرومويل الذى اعتبر نفسه اللورد الحامى لهذا

الكومنولث Lord Protector على طريقة الأباطرة الرومان القدامى . وتم القضاء على الثورة فى اسكوتلاندا وفى إيرلندا أيضا ، وسيطر كرومويل على سلطات الحكم بيد من حديد .

وإذا كان المؤرخون عموما يرجعون أسباب ثورة كرومويل إلى استبداد الملك شارل، وفرض الضرائب الباهظة واضطهاد البيوريتان كما سبق أن أشرنا ، نجد أن كثيرا من الباحثين المدققين يرجعون السبب الأساسى فى ثورة كرومويل إلى مؤمرات اليهود والصهيونية العالمية ، ضد العرش البريطانى ، إذ كان الملك إدوارد الأول قد أمر بطرد اليهود جميعا من بريطانيا ، واستمر الملك شارل الأول فى تطبيق هذه السياسة ، وقرر زعماء اليهود أن يجعلوا العرش البريطانى عبرة لكل ملك فى أى دولة أوربية يجرؤ على الإقدام على طرد اليهود على نحو جماعى من كل أراضى الدولة التى يحكمها.

ويورد المؤرخون أدلة ووثائق لا يتطرق إليها الشك للتدليل على أن النشاط اليهودى كان هو السبب فى بذر الشقاق فى المجتمع البريطانى أولا ثم تشجيع كرومويل على الإطاحة بالملكية فى بريطانيا ثانيا .

كان «فرنانديز كارفاجال» اليهودى هو المستشار السياسى والعسكرى لدى كرومويل . وكان سفير البرتغال فى لندن «دى سوز» يهوديا أيضا ، وكانت سفارة البرتغال فى لندن هى حلقة الاتصال بين كرومويل وزعماء اليهود فى العالم .

ولقد تم العثور على رسالة هامة تدل على التواطؤ الوثيق بين كرومويل وزعماء اليهود خارج بريطانيا ، وهى رسالة مؤرخة بتاريخ 6 مايو سنة (1647م) من كرومويل إلى «ابن عازر برات» رئيس الكنيس اليهودى فى أمستردام ، ويقول كرومويل فى هذه الرسالة : « سوف أوافق على وجود اليهود من جديد فى إنجلترا فى مقابل المعونة المالية المتفق عليها ، ولكن ذلك مستحيل الآن مادام الملك شارل لا يزال حيا ، ولا يمكن إعدام الملك شارل دون محاكمة . ولا نملك فى الوقت الحالى أساسا وجيها للمحاكمة يكفى لاستصدار حكم قضائى بإعدامه . ولذلك فنحن ننصح أن يتم اغتياله ، ولكننا لن نتدخل فى الترتيبات لتدبير قتله ، غير أننا سوف نساعده فى حالة هروبه .!!

وردا على رسالة كرومويل كتب إليه مصدر تمويله اليهودى برات من كنيس أمستردام الرسالة التالية : «سوف نقدم المعونة المالية حالما تتم إزالة شارل وحالما يتم قبول اليهود فى إنجلترا . الاغتيال خطر جدا . ينبغى إعطاء شارل فرصة للهروب ، وعندئذ يكون القبض عليه مرة أخرى سببا وجيها للمحاكمة والإعدام . وسوف تكون المعونة وافرة وجاهزة ، ولكن لا فائدة من مناقشة شروطها قبل البدء بالمحاكمة [1].

فى بداية الرد على رسالة كرومويل بدأ اليهودى برات بالوعد بالمعونة المالية ثم وضع شروطها . ورفض تدبير أمر أى شخص يهودى أو غير يهودى ليقوم باغتيال الملك شارل بالرغم من تعهد كرومويل بتسهيل مهمته وتسهيل هروبه . ولقد أعطى لكرومويل الحل البديل ، وهو تسهيل هروب الملك شارل ليكون الهروب ذريعة لمحاكمته ، لأن الهروب يشين الملوك ، ويحط من شأنهم ، ويوحى إلى الشعب أن لدى الملك الهارب ما يدينه ويشينه ، ولقد جاء فى مسرحية هاملت قول الملك لوزيره: «الملوك لا يختبئون يا بولونيوس» وهكذا يكون هروب الملك سببا فى محاكمته تمهيدا لإعدامه ، وتظل يد اليهود نظيفة تماما من دم الملك شارل . إنهم على استعداد لدفع المال ، والدفع بعد التنفيذ وبشروط .

هذه أدلة مادية وملموسة تم العثور عليها تثبت أن اليهود هم الذين دبروا للثورة ضد الملك شارل الأول مما أفضى إلى إعدامه لتآمر اليهود مع كرومويل لكن التآمر اليهودى رغم دقته وإحكامه تسللت إليه الثغرات ، إذ أن اليهود تآمروا مع كرومويل ، وأهملوا أن يتآمروا مع ابن كرومويل الذى أعاد العرش البريطانى إلى أصحابه بعد وفاة كرومويل . ولم يضع اليهود فى حسابهم أيضا مدى حب الشعب البريطانى للنظام الملكى . وعادت الملكية إلى بريطانيا مرة أخرى مباشرة بعد وفاة كرومويل .



(1) وليم جاى كار : أحجار على رقعة الشطرنج – ترجمة جزائرلى ص 65 .

35- اكتشاف قانون الجاذبية (1665م)

The Discovery Of The Law Of Gravitation (1665)

كانت طفولة «إسحاق نيوتن Isaac Newton» مليئة بالعديد من التجارب الغريبة.. ولقد ولد ليكون مفكرا عظيما ، وكان باستمرار يميل إلى تكوين تركيبات من الأشياء الموجودة حوله ، لكى يعيد تفكيكها ثم تركيبها على نحو آخر . وعندما بلغ مبلغ الرجال ازداد انخراطا فى دراسة الرياضيات مبديا اهتماما كبيرا بعلوم الفلك والحسابات الفلكية أيضا .

وبينما كان نيوتن وهو فى الرابعة والعشرين من عمره يتمدد مستيقظا فوق حشائش الحديقة لمح ثمرة تفاح ناضجة تسقط من الشجرة إلى الأرض .



وبدأ نيوتن يسأل نفسه : لماذا سقطت ثمرة التفاح إلى أسفل ، ولماذا لم تتخذ مسارها إلى أعلى ؟ ثم سأل نفسه : ما الذى يجعل لثمرة التفاح ثقلا عندما نرفعها من على الأرض ؟ ... أسئلة كثيرة من هذا القبيل دارت فى ذهن إسحاق نيوتن أدت إلى اكتشاف القوة العظمى التى تحكم الكون كله ، هذه القوة أطلق عليها نيوتن اسم «الجاذبية Gravitation» .

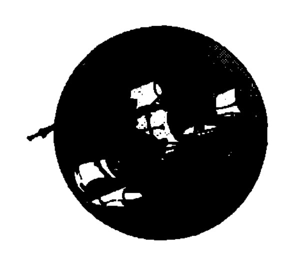
وتقرر نظرية الجاذبية أن كل شىء ذى جسم يجذب نحوه كل جسم آخر بقوة تعتمد على كمية المادة التى يتكون منها الجسم ، وتعتمد على المسافة بين الجسمين.

ولما كانت الأرض ذات جرم كبير فهى تجذب كل شىء نحو مركزها ، وهكذا تتساقط الأشياء نحو الأرض ، ولا تتحرك مبتعدة عنها دون وجود داع للابتعاد.

ومن هنا توصل نيوتن إلى أن القوة التى تجذب الشىء إلى الأرض هى التى تجعل القمر يستمر فى مداره .

ونظرية نيوتن فى الجاذبية هى أعظم اكتشاف جعل فى استطاعتنا أن ندرك التصور الكامل للكون ، والتصور الصحيح لكيفية تحرك النجوم والكواكب فيه حتى القرن الحالى .

وأخيرا ، وفى العصر الحديث استطاع العلماء المحدثون وعلى رأسهم «أينشتين Einstein» أن يشرعوا فى تطوير نظرية الجاذبية وذلك بأن أضافوا إليها بعض الأفكار الجديدة التى دعمتها ولم تتناقض معها ، ولكن لم يتم العثور على نظرية أخرى غير نظرية نيوتن فى الجاذبية لتفسير ما يحدث فى الكون .



36- سقوط كويبك الكندية (1759م)

The Fall Of Quebec (1759)

كانت المنافسة محتدمة طوال مئات السنين بين إنجلترا وفرنسا . كانت كل امة منهما تطمح إلى السيطرة على أكبر مساحة من أمريكا وتجارتها الضخمة الحجم ومواردها الهائلة التى لا حصر لها . وعندما اشتعلت الحرب بين الدولتين فى عام 1756 صمم الجنرال «جيمس وولف James Wolfe» على احتلال كويبك ذات الموقع الحصين فوق تلال صخرية تطل على نهر «سانت لورانس St. Lawrence» ، حيث كان الجنود الفرنسيون قد أحكموا بناء تحصيناتهم الدفاعية تحت قيادة الجنرال «لويس مونتكام Louis Montcalm» ....

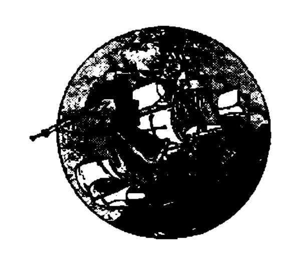


وقضى «وولف» بضعة أسابيع وهو يحاول أن يستدرج الفرنسيين خارج موقعهم الحصين ، وعندما أخفق فى ذلك ، أبحر بجنوده فى النهر فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليلة السابقة ليوم 13 سبتمبر سنة 1759 ثم أنزل جنوده فى مواقع حصينة فى أرض سهول «أبراهام Abraham» وعندما طلع النهار ، كان «وولف» قد أحكم تنظيم جنوده فى تشكيل مناسب لخوض المعركة التى أزمع خوضها . ولم يكن الفرنسيون يتوقعون الهجوم من هذه الناحية على الإطلاق ، وعندما تنبهوا إلى اتجاه الهجوم الزاحف نحوهم وتحركوا من مواقعهم الأصلية لمواجهته كان يتعين عليهم أن يحاربوا فى مواقع غير حصينة ، ولم يسبق إعدادها للدفاع ضد المهاجمين . وأثبتت مدافع البريطانيين كفاءتها فى مواجهة جموع الفرنسيين المندفعين لمواجهة المهاجمين ، ولقد أصيب كل من الجنرال «وولف» والجنرال الفرنسى «مونتكام» بالجراح المميتة ، ولفظ كل منهما أنفاسه الأخيرة أثناء المعركة .

وحسم انتصار البريطانيين فى معركة «كويبك» واستيلاؤهم عليها سيطرة البريطانيين على كندا كلها ، وأنهى هذا الانتصار البريطانى الحاسم الصراع الطويل المرير للسيطرة على كندا بين البريطانيين والفرنسيين الذى استمر لمدة 150 عاما .

وبموجب اتفاقية ، أو معاهدة ، باريس فى عام 1763 ، والتى أنتهت حرب السنوات السبع ، أصبحت كندا خاضعة للحكم البريطانى .

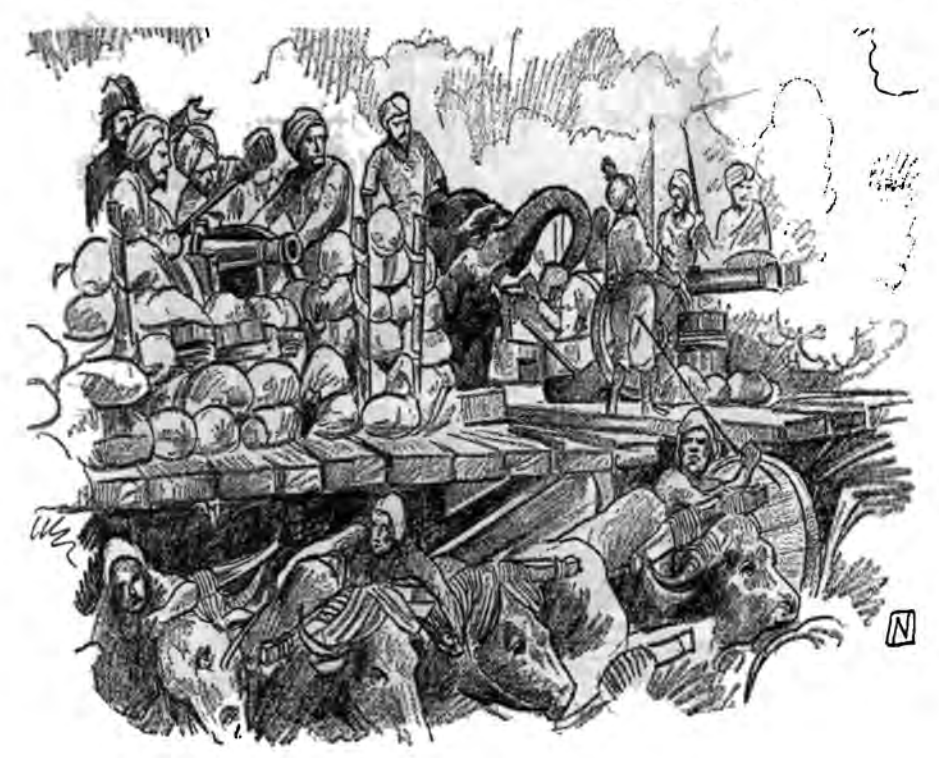
وبهذا الانتصار البريطانى الحاسم تلاشى للأبد حلم الفرنسيين أن ينشئوا «فرنسا جديدة A New France» فى أمريكا ، وأصبحت أمريكا مهيأة لانتشار اللغة الإنجليزية فى كل ربوعها دون أى مجال للغة الفرنسية ، والثقافة الفرنسية فى أى جهة من القارة الأمريكية .



37- لورد كلايف فى الهند (1751 - 1766م)

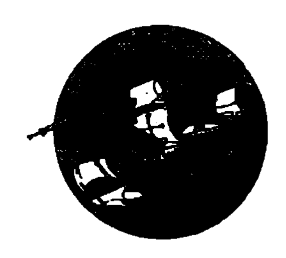
Lord Clive In India (1751 - 1766 A.D)

وصل «روبرت كلايف Robert Clive» إلى الهند كموظف يقوم بالأعمال الكتابية فى شركة الهند الشرقية ... وأخذ نجمه فى الصعود عندما التحق بخدمة الجيش الإنجليزى فى الهند واستطاع أن يلعب دورا حاسما فى الاستيلاء على «آركوت Arcot» ، مما كان يعتبر ضربة قاصمة قضت على النفوذ الفرنسى الذى كان يحاول التسلل إلى الهند لمنافسة النفوذ الإنجليزى بها . وعندما فقد الإنجليز السيطرة على مدينة «كلكتا Calcutta» فى عام 1750 استطاع «كلايف» وهو يقود جيشا صغيرا يتألف من 1100 جندى بريطانى بالإضافة إلى 800 جندى من الهنود أن يتغلب على جيش ملك كلكتا «نواب» غير الموالى للإنجليز على الرغم من أن جيش «نواب» كان يتألف من 34000 مقاتل هندى . واستطاع «كلايف» أن يسقط «نواب» عن عرش «كلكتا» وأن يستبدله بحاكم آخر هو «على خان Ali Khan» ليكون مواليا للإنجليز .



وواصل «كلايف» الحرب ضد القوات الفرنسية فى الهند ، وتحرك بجيشه الصغير الذى يتكون من 1100 جندى بريطاني و 2100 محارب هندى إلى أعالى «نهر هوجلى Hugly River» حتى وصل إلى مدينة «مرشد أباد Murshed Abad» ليواجه جيشا كبيرا من الهنود والفرنسيين قوامه 50 000 جندى هندى من المشاة و800 من الفرسان الذين كانوا يمتطون الخيول ومعهم عدد كبير من الفرنسيين المسلحين بالمدافع . وفى يوم 23 يونيو سنة 1757 استطاع «كلايف» على رأس جيشه الصغير أن يبدد شمال ذلك الجيش الضخم المكون من الهنود والفرنسيين ، وأن يكبدهم خسائر فادحة ، وأن يهزمهم هزيمة ساحقة . وكانت تلك المعركة من أهم المعارك الحاسمة التى قضت نهائياً على محاولات النفوذ الفرنسى أن يتسلل إلى الهند لكى تصبح الهند كلها تحت النفوذ البريطانى دون منازع .

واستطاع «كلايف» ، الذى كان يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما فقط، أن يطارد فلول الفرنسيين ويبدد شمل الهنود المنضمين إليهم حتى أخرج الفرنسيين تماما من الهند . وعندما انتحر «كلايف» وهو فى الخمسين من عمره كان قد ترك ميراثا كبيرا للدولة البريطانية ، إذ ترك لها بجهوده الفردية إمبراطورية كبيرة فى الهند .



38- التوقيع على إعلان الاستقلال (1776م)

The Signing Of The Declaration Of Independence (1776)

على الرغم من أن المقاومة الأمريكية للاحتلال البريطانى كانت قد اشتد ساعدها فى عام 1776 بسبب التنظيمات العفوية التلقائية لجنود الاحتلال ، وبسبب صعوبة حصول قوات الاحتلال على ما تحتاجه للإعاشة والقتال ، فلقد كانت المقاومة الأمريكية تبدو أقرب ما تكون إلى مظاهرة ضخمة الحجم ولا تعتبر ثورة عامة شاملة . وطالب كثير من الكتاب المشهورين فى أمريكا بالانفصال والاستقلال التام عن بريطانيا ، وفى عام 1776 نشر الكاتب البريطانى «توماس بين Thomas Paine» مقالة موضحا فيها مزايا وضرورة الاستقلال ، وأحدثت هذه المقالة المطبوعة تأثيرا واسع النطاق فى الرأى العام الأمريكى .



وفى يوم 7 يونيو (1776) ، أعلن «روبيرت هنرى لى Robert Henry Lee» ، من ولاية فرجينيا ، فى الكونجرس أن الموقف الصحيح هو الإعلان عن أن الولايات الأمريكية إنما هى ولايات حرة ومستقلة «Free And Independent» ، وبعد مناقشات طويلة تمت إجازة هذا الاقتراح ، وتمت الموافقة عليه وتشكلت لجنة مكونة من «جون آدمز John Adams» و«توماس جيفرسون Thomas Jefferson» و«بنيامين فرانكلين Benjamin Franklin» و «روجر شيرمان Roger Sherman» و«روبت ليفنجستون Robt Livingston» لصياغة الإعلان صياغة مكتوبة ، وقام توماس جيفرسون بكتابة الصيغة الأولى لإعلان الاستقلال The First Rough Copy ، وتم عرضها على البرلمان لإجراء القراءة الأولى ولمناقشتها . وتمت الموافقة على صياغتها وعلى نشرها اعتبارا من اليوم الرابع من شهر يوليو ... وطارت هذه الأنباء إلى كل الولايات الأمريكية ، وقوبلت فى كل مكان بالارتياح و الابتهاج ، ومظاهرات التأييد والترحيب ... وعلى الرغم من أن كل التوقعات لم تكن قد اكتملت على هذه الوثيقة حتى اليوم الثانى من شهر أغسطس ، فلا يزال اليوم الرابع من شهر يوليو يحتفل به باعتبار أنه هو «يوم عيد الاستقلال The Birth day Of Independence» .

ولقد أفضى هذا الإعلان إلى تحويل المظاهرات العفوية المطالبة بالاستقلال إلى ثورة Revolution، ولقد أفضى هذا الإعلان إلى الانفصال بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين بريطانيا ، وأفضى إلى ميلاد أمة جديدة عظمى مؤهلة تماما لكى تصبح فيما بعد واحدة من القوى العظمى فى العالم إن لم تكن أقواها .





39- معركة ترنتون (1776)

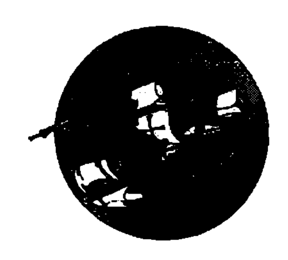
The Battle Of Trenton (1776)

على الرغم من أن عام 1776 وهو عام إعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية كان عاما مجيدا فى التاريخ الأمريكى ، نجد أنه لم يتحقق النجاح للثورة الأمريكية ، ولم يتحقق الاستقلال التام للولايات المتحدة الأمريكية خلال ذلك العام.

لقد كانت أجزاء هامة من أمريكا لا تزال تحت سيطرة البريطانيين مثل «لونج أيلاند Long Island» و «نيويورك New York» أيضا . وكان البريطانيون لا يزال لهم قوات عسكرية فى أنحاء الأرض الأمريكية تحت قيادة «سير وليم هاو Sir William Howe» وكانت القوات الأمريكية تحت قيادة «واشنطون Washington» قد اضطرت إلى التراجع عبر «نيوجيرسى New Jersy» وعبر «نهر ديلاوير De Laware River» حتى وصلت فى تراجعها إلى ولاية «بنسلفانيا Pennsylvania» .

وفى ليلة عيد الميلاد سنة 1776 صمم واشنطون على مباغتة قوات البريطانيين الموجودة فى «ترنتون» قبل أن تصل إليها إمدادات إضافية جديدة . وتحرك بسرعة على رأس قواته التى لم تكن تزيد عن 2500 مقاتل ممن أضناهم وأرهقهم القتال فى معارك سابقة ، وعبر معهم نهر «ديلاوير» الذى كانت المياه قد تجمدت بين ضفتيه ، وفى الساعة الرابعة عند الفجر وصل إلى مسافة لا تزيد على تسعة أميال من «ترنتون». وقسم واشنطون قواته قسمين ، وهاجم البريطانيين من جهتين ، ووجد البريطانيون كل منافذ الهرب موصدة فى وجوههم ، وأصيب قائدهم بجرح خطير ، مما اضطرهم إلى سرعة الاستسلام ، ووقع ما لا يقل عن 950 أسيرا فى أيدى الأمريكيين فى مقابل ثلاثة قتلى بين قوات واشنطون . وأسرع واشنطون لتعزيز هذا الانتصار الحاسم، وقام باحتلال «ترنتون» نفسها وطرد قوات «كورنواليس Cornwallis» من «برنستون Princeton» واسترد بذلك «نيوجيرسى New Jersey» أيضا.

وأضفت هذه الانتصارات حياة جديدة فى قضية استقلال أمريكا ، وجعلت الجنود يثقون فى كفاءة قيادة واشنطون لهم ، بل حظى واشنطون بالثقة لدى كل الأمريكيين ، كما أن هذه الانتصارات قد أسهمت فى رفع معنويات كل الولايات الثائرة ضد المحتلين الأجانب .



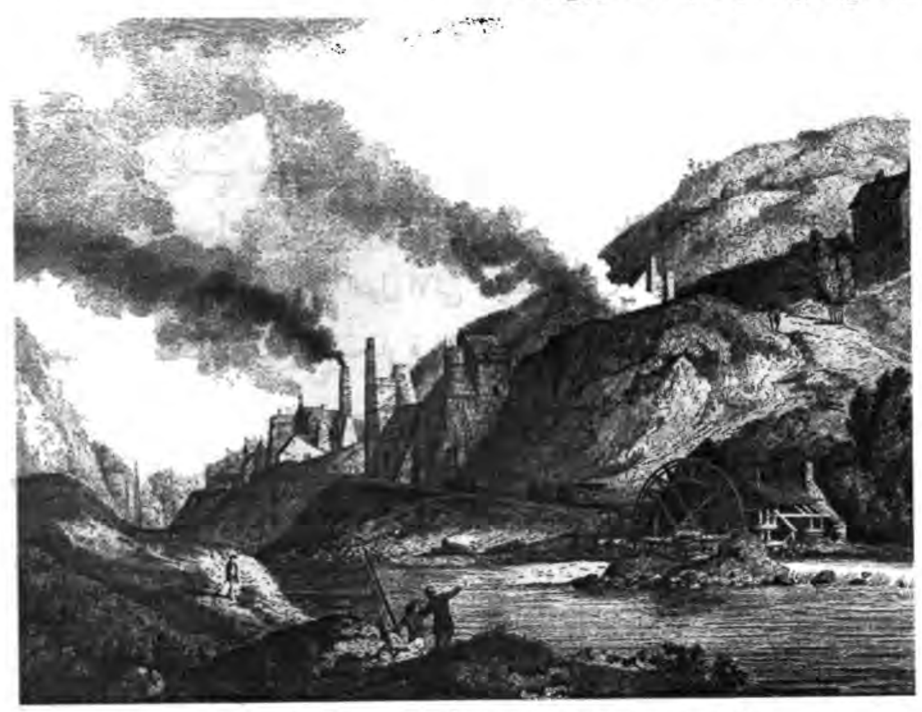
40- الثـورة الصناعيـة

Industrial Revolution

لم تكن الثورة الصناعية وليدة يوم بعينه ، أو شهر أو سنة ... وإنما هى نتاج عدة عوامل فى عدة مراحل أدت إلى قيامها وتطورها ... ذلك التطور الذى لم يتوقف منذ بدأ.

يكاد يجمع المؤرخون على أن الثورة الصناعية كانت نقطة تحول جذرى فى تاريخ العالم .. إذ حوّلت معظم المجتمعات من مجتمعات زراعية بدائية ، إلى مجتمعات صناعية حضرية..

وإذا كنا لا نستطيع أن نجزم على وجه التحديد متى بدأت الثورة الصناعية إلا أنه يمكن معرفة كيف بدأت ، وأين بدأت ... ؟



بإنشاء مصانع الحديد الضخمة ، أصبحت بريطانيا المنتج الرئيسى للحديد فى العالم أثناء الثورة الصناعية

بدأت الثورة الصناعية فى بريطانيا فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، ولكن : لماذا إنجلترا على وجه التحديد ؟

كانت إنجلترا أكبر مستودعات العالم للفحم والحديد ، وهما من الخامات الأساسية التى كانت تعتمد عليها الصناعات التقليدية آنذاك .. وفى منتصف القرن الثامن عشر كانت بريطانيا تبسط نفوذها على العديد من بلدان العالم ، إذ كانت أكبر قوة استعمارية فى العالم حينذاك ، مما ضاعف ما لديها من خامات وثروات صناعية .. وفى نفس الوقت صار لديها أسواق رائجة لتوزيع منتجاتها الصناعية.

ثم كان اختراع المحركات الصناعية والآلات ، فتوافر لدى بريطانيا الآلات والخامات مما مهد لقيام هذه الثورة ..

ففى مجال النسيج كان دخول هذه الآلات إيذاناً ببدء عهد جديد ، عهد المصنع الحديث ، وإعلان الثورة على الورش الصغيرة التى تعتمد على العمل اليدوى فى جميع مراحل الإنتاج ..

كان أصحاب هذه الورش الصغيرة يقومون بتوزيع المواد الخام على الصناع فى منازلهم ، كل حسب تخصصه .. لتتم عملية التصنيع فى مراحل ، ثم يُعاد تجميع هذه المراحل للحصول على المنتج النهائى .. وهى عملية بلا شك ، رتيبة طويلة قليلة العائد والإنتاج .. أما مع دخول النول الآلى ، فقد اختلف الأمر تماماً.

ظهر أول محرك يعمل بالبخار فى إنجلترا عام 1698 ، وفى عام 1785 أدخل الإسكتلندى جيمس وات العديد من التحسينات على هذا المحرك ، فصار أكثر كفاءة بحيث يمكن استخدامه بطريقة عملية.

ومع ظهور هذا المحرك ، أصبحت إنجلترا تمتلك كل مقومات الصناعة الحديثة : الآلـة .. والخامات ، .. والأسواق.

بدأت معالم الحياة فى التغير .. دخلت الآلة فى معظم المجالات .. أقيمت الجسور، وأنشئت السكك الحديدية ، واستخدم الأسفلت فى تعبيد الطرق ، وترابطت المدن والبلاد ، وتقاربت المسافات .. وأصبح من السهل السفر ونقل البضائع ..

وزادت ثروات التجار الإنجليز ، وبدأ البحث عن مجالات أخرى لاستثمار هذه الثروات، فتنوعت الصناعات ، وأنشئت المصارف (البنوك).

❖❖ الثورة الصناعية وحياة الناس :

ظهرت طبقة جديدة فى المجتمع لم تكن موجودة قبل ذلك ، إلى جانب طبقة التجار والصناع ، وهم أصحاب رؤوس الأموال ، الذين أصبح لهم تأثير كبير فى واقع الحياة وأسلوبها .. فى جميع مجالاتها ، حتى أثروا فى القرار السياسى الذى كان حكراً على طبقة الأمراء والنبلاء.

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ظهرت طبقة العمال والصناع الذين وقعوا بين فكى كماشة ، أصحاب العمل وبطشهم وتحكمهم فى الأجور وساعات العمل من جهة ، والآلة وقسوتها من جهة أخرى .. وعلى الرغم من ذلك زادت هجرة العمال من القرى إلى المدن بغية الحصول على فرص للعمل ، حتى هاجر الأطفال والصبية بغية الحصول على وسيلة للمعيشة ، فازدحمت المدن ، وصعبت الحياة فيها!!

ظلّ العمال على تلك الحال السيئة حتى سُنت القوانين التى أنصفتهم ، فحددت ساعات العمل ، والحد الأدنى للأجور ، وأرست حقوقهم السياسية والاجتماعية ..

ومع تطور الآلة ووفرة الإنتاج ، كثرت المنتجات التى سهلت ويسرت حياة الناس، وجعلتها أكثر متعة وراحة .. فى المقابل حقق أصحاب الطبقة الوسطى من الصناع والتجار ورجال الأعمال مكاسب طائلة ، مما زاد من نفوذهم ، وبحلول منتصف القرن التاسع عشر كانت هذه الطبقة تتحكم فى القرارات السياسية للحكومة البريطانية إلى حد بعيد .. ومع ظهور القوانين التى حددت العلاقة بين العامل وصاحب العمل ، تحسنت أحوال العمال ، وأصبحوا هم الآخرون قوة لا يستهان بها فى بريطانيا ، .. ومع تحسن سبل المعيشة وتطور وسائلها ، زاد النمو السكانى هناك ، فبعد أن كان عدد سكان بريطانيا فى عام 1750نحو ستة ملايين ونصف مليون نسمة ، أصبح نحو

14 مليونا بحلول عام 1830 .. وساعد على ذلك بناء المساكن الصحية ، وتوافر الغذاء المناسب ، فانخفض معدل الوفيات ، وزاد متوسط الأعمار.

❖ الثورة الصناعية خارج بريطانيا :

حاولت بريطانيا احتكار ثورتها الصناعية ، لتؤكد هيمنتها على العالم آنذاك ، ولتنفرد بأسواقه دون منازع ، فأصدرت القوانين التى تحظر هجرة العمال الفنيين ، وكذا تصدير الآلات .. إلا أن ذلك لم يمنع هجرة العمال بأفكارهم وعقولهم .. وفى مهجرهم تمكن هؤلاء العمال من صناعة الآلات وإنشاء المصانع ، وإقامة ثورات صناعية جديدة ..

تسربت الثورة الصناعية من بريطانيا ، ورويداً رويداً عمت العالم كله تقريبا .. كانت بلجيكا ثانى دولة بعد بريطانيا تحتضن هذه الثورة ، فأنشئت هناك المصانع ، وأصبحت تحاكى بريطانيا فى سبل معيشتها .. ثم تلتها فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة.

وبحلول عام 1870دخلت الثورة الصناعية فى العديد من الدول التى أصبحت بعد ذلك دولاً صناعية.

تطورت الصناعة بشكل ملحوظ ، وأدخلت تعديلات كثيرة على الآلات ، حتى أصبحت الآلة هى المسيطرة على جميع مجالات الحياة الزراعية والصناعية والتجارية ، وغيرها .. مما ارتقى بها ، ولا زالت ترتقى حتى الآن .. وفى كل يوم نجد الجديد فى حياة الناس من وسائل الرفاهية والراحة ..

بدأت الثورة الصناعية كحدث تدرج فى الارتقاء ، ولا يزال يرتقى بخطوات كبيرة تعدت حدود كوكب الأرض الذى نعيش عليه ليصل إلى غيره من الكواكب فيؤثر فيها ..

هذه بعض الجوانب المضيئة للثورة الصناعية فى مجالات الحياة المختلفة .. ولكن : ماذا عليها ؟

هناك بعض الجوانب السلبية ، والخطيرة التى لا يمكن إغفالها .. لعل من أهمها مشكلة التلوث .. وإن تعددت مصادره ، ومن أهم تلك المصادر ما تقذف به المصانع والآلات من مخلفات وسموم أفسدت على الناس حياتهم ، فلوثت الماء والهواء والغذاء .. وأصابتهم بالأمراض الفتاكة !!

41- سقوط الباستيل (1789م)

The Fall Of The Bastille (1789)

كان سجن الباستيل قد بنى سنة 1369م ليكون قلعة باريس ، ثم أصبح سجنا بالتدريج لعقاب أولئك الذين تصل بهم الجرأة إلى حد انتقاد الحكومة . ونظرا إلى أن كثيرا من الناس قد تم الزج بهم إلى هذا السجن دون محاكمة بموجب أوامر سرية كان من حق النبلاء إصدارها ضد أى مواطن لا ينتمى فى طبقة النبلاء ، وهى الأوامر السرية التى كان الفرنسيون يطلقون عليها تسمية «Letters De Cachet» فلقد كان عامة الشعب الفرنسى يكرهون هذا السجن الذى لم يكن أحد يدرى مدة قضاء العقوبة داخله أو سببها ، وكان سقوط هذا السجن فى أيدى أبناء الشعب أثناء الثورة الفرنسية سنة 1789 يعتبر رمزا لسقوط الاستبداد الذى كان يمارسه الحكام والنبلاء ضد أبناء الشعب الفرنسى .



وأثناء حكم «لويس السادس عشر Louis XVI» كانت فرنسا على شفا الإفلاس المالى .. وأفضى إسراف الملكة «مارى أنطوانيت Mary Antoinette» وبذخ الحفلات التى كانت قد أدمنت إقامتها كل مساء إلى استياء عامة الشعب الفرنسى ، وازدياد حدة مشاعرهم العدائية نحو كل نظم الحكم الفرنسى ، وعلى الرغم من فرض الضرائب الباهظة ، وعلى الرغم من مهارة وجهود وزراء للمالية مشهود لهم بالكفاءة مثل «تورجو Turgot» و«نيكر Necker» ، ظلت خزينة الدولة خاوية من الأموال بسبب زيادة المصروفات عن الإيرادات باطراد مستمر ... وعندما دعا مجلس النبلاء أعضاءه للاجتماع لدراسة كيفية مساعدة الحكومة فى التغلب على الأزمة المالية ومساندة الملك ، فشل اجتماع النبلاء فى الوصول إلى حل ، فلا الضرائب يمكن أن تزيد ، ولا الإسراف يمكن أن يقل . وسرعان ما اجتمع أعضاء الجمعية العمومية من ممثلى الشعب الفرنسى ، وتحدوا رغبة النبلاء ورجال الدين والملك فى إنهاء الاجتماع ، وأعلنوا استمرار نواب الشعب فى مناقشة شئون الدولة ، معلنين أنهم جمعية عمومية تمثل الشعب وتعمل من أجل الشعب ولمصلحة الشعب ووفقا لإرادته وليس وفقا لأى سلطة أخرى ، وصاح ميرابو صيحته الشهيرة قائلا : نحن نواب الشعب ، ولن نبرح أماكننا إلا فوق أسنة الحراب . معلنا بذلك رغبة نواب الشعب فى الاستمرار فى الاجتماع وفقا لإرداة الشعب وليس وفقا لإرادة أى سلطة غير سلطة الشعب ... وكانت تلك هى البداية الحقيقية للثورة الفرنسية ... وانتشرت الثورة على شكل اضطرابات واسعة النطاق فى كل أنحاء باريس ، وخوفا من بطش جنود الملك بالثوار ، لجأ الثوار أنفسهم إلى حمل السلاح ، أى سلاح متاح يمكن أن تصل إليه أيديهم .. واحتشدت جموع ضخمة من عامة الشعب ، وهم يحملون كل أنواع الأسلحة أمام سجن الباستيل مساء اليوم الرابع عشر من شهر يوليو عام 1789م ، وحاصروه طوال الليل . وعندما لاح الصباح سقط السجن فى أيديهم، وأصبح السجناء السبعة الذين كانوا بداخله مطلقى السراح....

ولقد أشعلت أحداث تلك الليلة وذلك الصباح نيران الثورة الفرنسية ، وكانت افتتاحية قوية لعهد دموى ملىء بالأحداث الغوغائية المرعبة ... وعلى الرغم من أن سجن الباستيل قد هدم هدما كاملا وتحطمت مبانيه وسويت بالأرض ، وارتفع عامود من البرونز مشيرا إلى مكانه ، لا يزال يوم الرابع عشر من شهر يوليو يحتفل به باعتبار أنه يوم الحرية فى فرنسا .

42- اغتيال مارا (1793م)

The Murder Of Marat (1793)

بعد أن بلغت الثورة الفرنسية أوجها ، وبعد أن أطاحت المقصلة الرهيبة برأس الملك لويس السادس عشر والملكة مارى أنطوانيت ، انتقلت السلطة إلى ثلاثة أشخاص من قادة الثورة الفرنسية مارسوا حكم فرنسا بطريقة دكتاتورية دموية وهم : روبسبيير Robespierre ـ دانتون Danton ـ مارا Marat ... ولجأ هذا الطغيان الدكتاتورى الدموى إلى الاندفاع فى القضاء على كل شخص فى فرنسا يمكن الظن بأنه يعمل ضد الثورة ، خصوصا من طبقة النبلاء الذين كانت أسماؤهم موجودة فى سجل مكتوب وقع فى حوزة الثوار ، وهكذا كان الإعدام الجماعى حدثا يوميا تسفك فيه الدماء كل يوم فى فرنسا .



وكانت «شارلوت كورداى Charlotte Corday» فتاة متدينة من إقليم نورماندى البعيد عن العاصمة باريس ، ولكنها سمعت من كثير من المهاجرين الفارين من فرنسا عن الفظائع والمآسى الدموية التى يرتكبها «مارا» كل يوم فى باريس . وسافرت شارلوت كورداى إلى باريس وكتبت إلى مارا طالبة مقابلته لشأن مهم . وكان «مارا» آنذاك مريضا يلتمس العلاج والشفاء بمداومة الاستحمام بالمياه الدافئة ، وكان يمارس تصريف شئون الدولة من حجرة ملاصقة لحمام منزله ...

وبعد أن رفض السماح لها بمقابلة «مارا» مرتين ، تكلل إصرارها وإلحاحها على طلب المقابلة بالنجاح فى المرة الثالثة ، وبمجرد أن وصلت إليه شكت له من الآلام التى يعانيها المهاجرون الذين يصلون إلى موطنها فى الجانب الشرقى من فرنسا ... وكانت إجابته هى قوله : «إنهم سيتخلصون من كل الآلام عندما تقطع المقصلة رءوسهم وتنتهى مشكلة آلامهم على الفور !» .. وعندما قال مارا هذه الكلمات الدموية المفعمة بالطغيان والاستبداد ، استلت الفتاة «شارلوت كورداى» سكينا بسيطا من السكاكين التى تباع للاستخدام فى المطبخ ، كانت قد اشترتها فى اليوم السابق للمقابلة بمبلغ فرنكين ، وكانت تخفيها داخل ملابسها ، وطعنت بها «مارا» فى جنبه بقوة جعلت نصل السكين كله يغوص داخل جسمه .

وعندما تم اقتياد الفتاة «شارلوت كورداى» إلى المحاكمة اعترفت بكل صراحة وبساطة أنها قد ارتكبت الجريمة وحكم عليها بالإعدام ... وبعد أربعة أيام أطاحت المقصلة برأسها .

وبعد تضحية تلك الفتاة النورماندية بحياتها احتجاجا على الممارسات الدموية للثورة الفرنسية ، كان اغتيال مارا نقطة تحول فى تاريخ الثورة الفرنسية عندما استقر فى الأذهان أن سفك الدماء يلزم أن يوضع له حد يتوقف عنده . وكانت تضحية «شارلوت كورداى» بحياتها هى نقطة التحول فى تاريخ الثورة الفرنسية لكى تهدأ وتستقر ، وتتوقف عن سفك المزيد من الدماء بعد انقضاء عهد مارا و روبسبيير وديمولين .

43 - اختراع ماكينة حلج القطن (1793م)

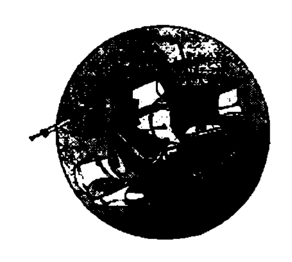
The Invention Of The Cotton - Gin (1793)

فى عام 1792 ذهب «إيلى ويتنى Eli Whitny» فور تخرجه من جامعة ييل ، وهو فى السابعة والعشرين من العمر ، إلى ولاية جورجيا وهو يأمل أن يعثر على وظيفة مدرس . وقضى بعض الوقت فى مزرعة تملكها السيدة «ناتانيل جرين Nathaniel Greene» زوجة جنرال فى الجيش ، وأثناء إقامته فى مزرعتها تعرف على مجموعة من كبار المزارعين الذين كانوا يرغبون بشدة فى أن يجدوا ماكينة تستطيع أن تفصل بذور القطن عن الألياف البيضاء ، ليكون من الممكن بعدئذ القيام بعمل المنسوجات من القطن ، إذ كانت البذور تشكل عقبة كبرى فى طريق غزل ونسيج القطن ، وكان فصل البذور يتم بطريقة يدوية ببطء شديد وكميات قليلة .....



وشمر «ويتنى» عن ساعديه ، وفى غضون بضعة أسابيع بنى نموذجا لماكينة تفصل البذور عن ألياف القطن ، جعلت أحد العبيد يتمكن من فصل بذور خمسين رطلا من القطن فى يوم واحد بعد أن كان لا يستطيع حلج أكثر من رطل واحد فى اليوم . وسرقت أول ماكينة لحلج القطن من ابتكار «ويتنى» ، ولكنه فى سنة 1794م استطاع أن يبتكر نموذجا جديدا لماكينة حلج القطن، وشاركه «فينياس ميلر» فى إقامة مصنع تخصص فى إنتاج ماكينات حلج القطن لتلبية الطلبات الكثيرة عليها ... وفى منتصف القرن التاسع عشر تطورت ماكينات حلج القطن لدرجة أن شخصا واحدا من العبيد كان يستطيع أن ينظف ألف رطل من القطن من بذورها فى اليوم .

ولقد كان لاختراع ماكينة حلج القطن أصداء واسعة النطاق فى الحياة الصناعية والاقتصادية فى أمريكا ، بل إن أصداء هذا الاختراع قد وصلت إلى حد التأثير فى مجمل التاريخ الأمريكى بوجه عام ، إذ توسعت ولايات الجنوب الأمريكى فيما بين عامى 1791م ، 1804م فى زراعة وحلج القطن ، مما تطلب التوسع فى جلب المزيد من العبيد لزراعة القطن ، ورعايته ، وأصبح وجود أعداد ضخمة من العبيد من أسس النظام الزراعى والصناعى والاقتصادى فى ولايات الجنوب الأمريكى ، مما أثار معارضة الولايات الشمالية لتضخم أعداد العبيد فى ولايات الجنوب، وكان سببا للحرب الأهلية الأمريكية المعروفة باعتبار أنها حرب تحرير العبيد.



44 - العثور على حجر رشيد (1799م)

The Finding Of Rosetta Stone (1799)

تتميز الحضارة المصرية القديمة بين حضارات العالم القديم كلها بأنها الحضارة الأكثر قدما وسبقا فى التاريخ ، وبأنها الأكثر ثراء والأكثر تقدما فى سلم الحضارة والتقدم والثقافة . ولقد أبدعت الحضارة المصرية القديمة كنوزا أثرية فنية هائلة تتضمن الأهرام The Pyramids والمسلات Obelisks ، وهى أعمدة عظيمة الارتفاع مربعة الأضلاع ، عليها كتابات ونقوش رائعة الشكل ، تم اكتشافها ، ولكن قبل ما لا يزيد كثيرا على مائتى عام مضت كانت المخطوطات التى أمكن العثور عليها ، وكانت الكتابة المحفورة فوق هذه الآثار الرائعة ، وكانت لفافات أوراق البردى Papyrus Rolls كلها تعتبر كتابا مغلقا يستعصى على أى محاولة لقراءة محتوياتها المكتوبة باللغة الهيروغليفية القديمة Hieroglyphic Language التى تستعصى على الباحثين المبهورين بعظمة الآثار المصرية ، ولكنهم لا يستطيعون قراءة ما دوّنه قدماء المصريين من كتابات عليها أو على لفافات أوراق البردى ، ولم يكن أحد قد استطاع أن يقرأ شيئا منها !



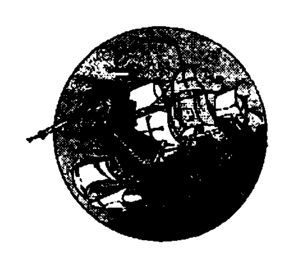
حجر رشيد ، وبه نص مكتوب باللغة المصرية القديمة (بالخطين الهيروغليفى والديموطيقى) مع ترجمة باليونانية القديمة

وفى العام الأخير من القرن الثامن عشر (1799) ، استطاع ضابط فرنسى يدعى «بيير فرانسوا كسافييه بوشار Boussard» كان ضمن الحملة الفرنسية على مصر ، استطاع العثور على حجر رشيد أثناء متابعته أعمال الحفر فى قلعة القديس « جوليان St.Julien» بالقرب من مصب النيل فى نهاية فرع رشيد.

وكان هذا الحجر ، حجر رشيد ، وقد وُجدت عليه كتابة محفورة منقوشة باللغة اليونانية واللغة الهيروغليفية أيضا ، وهى كتابة كانت تطرى وتسجل أمجاد بطليموس الخامس Ptolemi V الذى كان يحكم مصر حتى عام (195ق. م) . ووصل حجر رشيد إلى أيدى الإنجليز بموجب شروط صلح الإسكندرية بين الإنجليز والفرنسيين لترتيبات انسحاب الجيش الفرنسى من مصر. وأصبح حجر رشيد ضمن محتويات المتحف البريطانى منذ عام (1801م) .

ومن خلال جهود عالمين بارزين هما الدكتور «ثوس يونغ Dr.Thos Young» والبروفيسور «جيان شامبليون Jean Champollion» أمكن التعريف على أبجدية اللغة الهيروغليفية بالاستعانة بالنص اليونانى ومقارنة بالنص الهيروغليفى الموجود على حجر رشيد ...

وأمكن التعرف على لغة كانت كل أواصر الاتصال بها مفقودة تماما ، واستعاد العالم الملامح الأساسية للآداب الفرعونية القديمة ، وأصبحت قراءة لفائف المخطوطات المصرية القديمة ممكنة ودخلت إلى دائرة الضوء التى اتسعت لتصل إلى كل معالم العصر الذهبى للحضارة الفرعونية .



45 - معركة الطرف الأغر (1805م)

The Battle of Trafalgar (1805)

فى نطاق استعداد نابليون بونابرت لغزو إنجلترا ، خطط بونابرت لتحقيق السيطرة البحرية على مياه القنال الإنجليزى كخطوة ضرورية لنجاح الغزو البرى لأراضى الجزر البريطانية فى عام 1805 . ولتضليل الإنجليز أبحر الأسطول الفرنسى فى الاتجاه الغربى ثم انحرف فجأة متجها نحو القارة الأوربية ...

ولم تخدع هذه المناورة قادة البحرية الإنجليزية الذين وصلوا إلى المياه الأوربية قبل وصول سفن الأسطول الفرنسى إليها وفرضوا حصارهم على السفن الفرنسية والأسبانية عند « كاديز Cadiz» فى المياه الأسبانية ...



وصلت إلى قائد الأسطول الفرنسى «ڤيلنوف Villeneuve» رسالة من نابليون يستحثه لإنجاز مهمته البحرية التى كان نابليون فى حاجة ماسة إليها لكى يبدأ غزوه البرى للأراضى البريطانية ، مما اضطر «ڤيلنوف» إلى الخروج إلى عرض البحر من المكان الذى كان يخبئ فيه سفن الأسطول الفرنسى الأسبانى المشترك، حيث ينتظر الأسطول البريطانى بقيادة الأدميرال المحنك الفائق الشهرة «نيلسون Nelson» ، وتحت إمرته سبعة وعشرون ضابطا من خيرة ضباط البحرية البريطانية، وعلى رأسهم مساعده القدير «كولنجوود Collingwood» لينقض الأسطول البريطانى على الأسطول الفرنسى الأسبانى عند ميناء الطرف الأغر الأسبانى لكى يشطره شطرين ويدمر ثلثى سفن الأسطول الفرنسى الأسبانى ...

وعلى الرغم من أن «نيلسون» قد قتل فى هذه المعركة فهو يعتبر واحدا من أعظم القادة البحريين فى تاريخ المعارك البحرية بسبب خططه الفذة وتأثيرها الذى يصيب أعداءه بالشلل الفكرى الذى يعجزهم عن السيطرة على سفن أسطولهم أثناء المعركة ضد أسطول«نيلسون» . وتعتبر معركة الطرف الأغر واحدة من أعظم المعارك الحربية فن التاريخ...ولقد كان للانتصار البحرى الساحق الذى حققه نيلسون الفضل الأكبر فى امتناع نابليون عن غزو الأراضى البريطانية كما كان يرغب فى ذلك بشدة ليتخلص نهائيا من مقاومة بريطانيا لمخططاته وطموحاته ،كماكان انتصار« نيلسون» بالغ التأثير أيضا فى تحقيق السيادة البحرية للأسطول البريطانى فى القنال الإنجليزى والمحيط الأطلسى والبحر المتوسط.

بقى أن نعرف أن الأسطول الفرنسى الإسبانى كان يفوق الأسطول البريطانى عدداً بنسبة 11 : 9 .. وعلى الرغم من أن الأسطول البريطانى تمكن من أن يدمر ويستولى على أكثر من نصف سفن الأسطول الفرنسى الأسبانى ، فإن الأسطول البريطانى لم يخسر فى هذه المعركة سفينة واحدة !!

46 - معركة يينا (1806م)

The Battle of Jena (1806)

فى عام (1806م) كانت بروسيا هى الدولة المستقلة الوحيدة التى لها حدود مع فرنسا ولم تخضع حتى ذلك العام للاحتلال الفرنسى .

وقام نابليون بتجاهل معاهداته مع بروسيا وأزعجها بعقد تحالف مع الإمارات الألمانية ، وحشد قواته فوق الأراضى الألمانية .. وأخيرا ، لم تجد بروسيا مناصا من أن تحارب .. قررت الهجوم على حشود نابليون فوق الأراضى الألمانية بدلا من أن تنتظر حتى تهاجمها هذه الحشود فوق الأراضى البروسية .



وفوق أراضى أحد السهول الضيقة بالقرب من «يينا Jena» ، وهى مدينة ألمانية صغيرة تقع إلى الجنوب من «ليبزج Leipzig» ، حشد نابليون قواته استعدادا لمنازلة الجيش البروسى القادم لتدمير قواته تحت قيادة القائد البروسى الأمير «هوهنلوه Ho-henlohe» ، وفى صباح اليوم الرابع عشر من شهر أكتوبر سنة (1806) هاجم نابليون الجيش البروسى الذى قاوم مقاومة شديدة ، حيث كان نابليون يهاجم فى كل مرة جانبا واحدا من جوانب القوات البروسية ، وفجأة ، هجمت قوات نابليون على القوات البروسية من كل الجوانب فى وقت واحد أشبه ما يكون بالحصار المتحرك الضاغط على القوات المعادية ، وفوجئ البروسيون بهذا النوع الجديد من أنواع الهجوم ، ولم يعرفوا كيف يواجهونه ودبت الفوضى فى صفوفهم ، وحاقت بهم الهزيمة وانحصرت آمالهم فى محاولة العثور على ثغرة يستطيعون الهرب منها من ميدان المعركة ، وأبادت قوات نابليون كل البروسيين الذين لم يستطيعوا الهروب ...

وفى نفس اليوم الرابع عشر من شهر أكتوبر سنة 1806 التقى جيش فرنسى تحت قيادة الماريشال «داڤوت Davout» قوامه 26000 مقاتل فرنسى مع جيش بروسى قوامه 50 000 مقاتل بروسى تحت قيادة الجنرال البروسى الشهير «بلوخر Blucher» ، كان فى طريقه لنجدة الجيش البروسى عند «يينا» ، وفى معركة شرسة تفوق معركة «يينا» شراسة بدد الفرنسيون شمل الجيش البروسى .

واستغل نابليون هذا الانتصار الفرنسى المزدوج فى يوم واحد ، وتقدم للأمام نحو الأراضى البروسية وسقطت القلاع الحربية البروسية والدفاعات البروسية فى يد نابليون واحدة بعد الأخرى .. وأصبحت كل الأراضى الألمانية تحت سيطرة نابليون الذى دخل برلين نفسها دخول الفاتحين المنتصرين دون منافس أو مناوئ على الإطلاق .

وهكذا ، بضربة واحدة ، فى معركة واحدة هى معركة «يينا» سنة 1806م استطاع نابليون أن يسحق بروسيا ، الدولة الوحيدة المجاورة لفرنسا التى كانت تحتفظ باستقلالها ، وأصبح نابليون بعد انتصاره الحاسم على بروسيا هو سيد كل دول وسط أوربا وأصبح الطريق مفتوحا أمامه للتحرك نحو بولندا ثم روسيا.

47 - تراجع نابليون عن موسكو (1812م)

Napoleon's Retreat From Moscow (1812)

بعد أن دانت السيادة على نصف أوربا لنابليون بونابرت بانتهاء الحقبة الأولى من القرن التاسع عشر (1800م – 1810م) ، وبعد أن أحرز انتصاراته الباهرة فى كل المعارك البرية التى خاض غمارها ، ولى نابليون وجهه شطر روسيا . لقد كان الصراع والنزاع محتدما بين نابليون وبين قيصر روسيا الكساندر على النفوذ فى وسط أوربا وفى تركيا ، ولقد اعتقد نابليون أن الفرصة قد سنحت الآن لكى يسحق روسيا كما سحق كل دول أوربا من قبل، ولم تعد ألمانيا تشكل حاجزا بين جيش نابليون وبين الأراضى الروسية نفسها.

وبناء على هذه الحيثيات والأسباب حشد نابليون أكبر جيش يمكن حشده ، جيش بلغ عدد جنوده 000 300 مقاتل مدرب على القتال، وخاض كثير منهم معارك ظافرة من قبل تحت قيادة نابليون أو تحت قيادة غيره من الجنرالات الفرنسيين الذين تربوا فى مدرسة نابليون بونابرت ، وتقدم نابليون على رأس ذلك الجيش الضخم فى الأراضى الروسية الممتدة إلى آفاق بعيدة ، وهى أراض لم يجرؤ على



اختراقها أى جيش غاز من قبل . ورفض الروس خوض أى معارك تصادمية ضد جيش نابليون ، واكتفوا بالتحرش المستمر ومضايقة جيشه فى حرب عصابات يضرب فيها الروس أحد جوانب جيش نابليون أو مؤخرة جيشه ، ثم يسرعون فى الانسحاب والهروب، وهكذا اضطروا جيش نابليون إلى التوغل فى عمق الأراضى الروسية حتى وصل إلى أبواب العاصمة الروسية موسكو فى شهر سبتمبر سنة 1812 . وكان جيش نابليون منهكا . وشهر سبتمبر من شهور الخريف ، وبعد الخريف يأتى الشتاء . وعندما وصل جيش نابليون المنهك إلى مشارف العاصمة موسكو وجد أن العاصمة الروسية تحتفى بقدومه على رأس جيشه المرهق حفاوة لم يسبق لها مثيل ... احتفلت العاصمة الروسية موسكو بوصول جيش نابليون المرهق إلى مشارفها بالنيران المتأججة فى كل أنحاء موسكو .. وحار نابليون فى أمره ، هل يحتل جيشه عاصمة مشتعلة؟ وماذا يفعل بها؟ وماذا يستفيد من اللهب والدخان الذى يغطى المدينة ويحرم الجيش المهاجم من أى فائدة يحصل عليها لو حاول احتلالها؟ وبدلا من أن يضطر الروس إلى تسليم عاصمة بلادهم إلى الجيش الغازى المعتدى أحرقوها!

وبعد شهر من الانتظار دون جدوى بدأ جيش نابليون العظيم فى الانسحاب . وتمخضت الحملة العسكرية الضخمة التى هاجمت روسيا عن الفشل التام، وللفشل فى مثل هذه الحروب ثمن باهظ كان يتحتم على نابليون أن يدفعه.

ومع بداية فصل الشتاء الروسى الرهيب ، بدأ انسحاب جيش نابليون الكئيب . كان جيش نابليون ينسحب ببطء ، إذ كان الجنود منهكين ، وكانت الخيول منهكة، وكان الطقس يزداد سوءاً وقسوة كل يوم وكل ليلة ، وكان الروس يهاجمون الجيش المنسحب فى كل مكان، وكان الجيش المنسحب قد تورط فى أعماق الأراضى الروسية تورطا بعيد المدى ، وعندما وصل الجيش المنسحب إلى نهر «بريزينا Beresina» ، كان عشرون ألف جندى قد فقدوا أرواحهم. وفى المرحلة الأخيرة من الانسحاب لم يخرج من الأراضى الروسية على قيد الحياة إلا تسعة آلاف جندى كانوا هم كل من بقى حياً من جيش نابليون الذى كان عدد جنوده ثلاثمائة ألف جندى.

وفى العام التالى ، حاول نابليون استرداد هيبته العسكرية فى القارة الأوربية ، وأعاد بناء جيش جديد تحت قيادته، ولكن أوربا بعد رجوعه مدحورا من موسكو لم تعد هى أوربا عند بدء دخوله وغزوه الأراضى الروسية فى محاولته الوصول إلى موسكو. اتحدت الدول الأوربية ضد نابليون بونابرت ، وفى معارك خاضها جيش نابليون فى صميم الأراضى الألمانية، وتحولت الإمبراطورية النابليونية إلى دمار.

48 - معركة ووترلو (1815م)

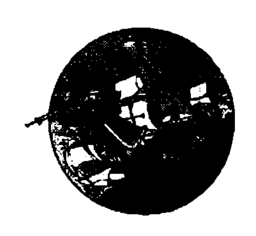
The Battle Of Waterloo (1815)

فى عام 1814 أخذ منحنى نابليون بونابرت فى كسب المعارك الحربية الكبرى الحاسمة فى الهبوط باطراد منقطع النظير ... وبعد الانسحاب المدمر لجيشه وهيبته الإمبراطورية اضطر إلى التنازل ونفى إلى جزيرة «إلبا Elba» ، وتم تشكيل حكومة ملكية فى فرنسا وعاد الملك «لويس الثامن عشر» إلى اعتلاء العرش الفرنسى، ولكن لويس الثامن عشر لم يتجنب الأخطاء التى كانت قد تسببت فى سقوط أخيه لويس السادس عشر عن العرش الفرنسى ، ومارس نفس الممارسات والعادات الملكية المكروهة لدى أبناء الشعب الفرنسى الذى كان قد ذاق طعم الحرية وعرف كيف يسقط الملك عن العرش عندما لا يستحق الملك الاحتفاظ بعرشه ... لم يلبث نابليون طويلاً فى جزيرة إلبا، بمجرد أن عاد إلى أرض فرنسا فى شهر مارس سنة 1815 التف الشعب حوله باعتبار أنه المنقذ الذى غاب عنهم وطال شوقهم إليه وانتظارهم لعودته ، ولما عاد إليهم فجأة ، هرع الشعب الفرنسى كله إليه ، وفى غمار ترحيبهم به أعلنوا ولاءهم له من جديد !..



وبعد أن أعاد نابليون تنظيم جيشه الفرنسى ، شرع فى مواجهة الجيوش المتحالفة ضده .. واختار نابليون أن يكون مكان المعركة فى «بلجيكا Belgium» فى سهول كان يطلق عليها سهول «سانت جيان» ويطلق عليها فى الوقت الحاضر اسم «ووترلو Waterloo» لكى يتلاقى جيشه الفرنسى مع جيش إنجليزى تحت قيادة «ولنجتون Wellington» فى صباح اليوم الثامن عشر من شهر يونيو سنة (1815) . ولقد كان يبدو وفقا لكل المقاييس العسكرية أن النصر فى هذه المعركة سيكون حليف نابليون بونابرت، ولكن تدخل التوفيق ولعبت الأقدار دورا خارج نطاق تدبير ومعايير البشر. فى الليلة السابقة ليوم المعركة كانت الأمطار مستمرة فى الهطول بغزارة طوال الليل، ووجد نابليون أنه لا مناص من تأجيل بدء هجومه حتى تجف الأوحال ليتمكن من تحريك مدفعيته التى كان يجيد استخدامها لتلعب دورا حاسما فى تدمير أى جيش يواجه جيش نابليون فى معركة. وكان اضطرار نابليون إلى تأخير موعد هجومه ، رغم أنه تأخير إجبارى، سببا كافيا لحرمان نابليون من نصر أكيد ، إذ أتاح تأخير بدء هجوم نابليون وقتا كافيا لوصول جيش بروسى ضخم بقيادة الجنرال بلوخر لكى ينضم إلى الجيش الإنجليزى بقيادة «ولنجتون». وفى معركة ووترلو الرهيبة تم تدمير جيش نابليون بونابرت ، واستطاع نابليون بكل صعوبة أن يهرب داخل عربة وحيدة أسرعت به بعيدا عن أرض «المعركة»! ..

وهكذا حاقت الهزيمة بنابليون بونابرت من أكثر من جانب، وفى هذه المرة تم اعتقال نابليون وتحديد إقامته فى جزيرة «سانت هيلانة Saint Helena» فى المحيط الأطلسى حيث مات فى عام 1821 ليحمل أحلامه فى غزو العالم كله إلى القبر الذى دفن فيه ، بينما كانت فرنسا التى كانت تعانى معاناة شديدة من جراء مغامرات نابليون وحروبه تتعثر بشدة فى حطام الأحلام النابليونية التى بدت ممكنة التحقق فى البداية مستحيلة فى النهاية. وكان على فرنسا فى الحالتين أن تدفع الثمن!!



49 - مبدأ مونرو (1823م)

The Monroe Doctrine (1823)

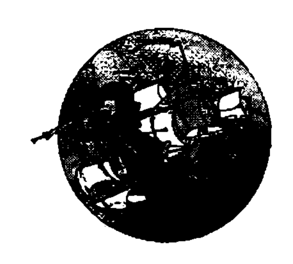
بعد القضاء على نابليون فى عام 1815 شكلت كل من : فرنسا ، وروسيا ، والنمسا ، وبروسيا حلفا أطلقوا عليه تسمية «التحالف المقدس The Holy Alliance» للقضاء على أي ثورة تنشب فى أي مكان في العالم .

وعندما طلبت أسبانيا مساعدة التحالف المقدس للقضاء على ثورة بعض الولايات الجنوبية ، صممت أمريكا أن تبسط يد الحماية على الولايات الحديثة الاستقلال.



وفى الخطاب السياسى السنوى الذى يلقيه الرئيس الأمريكى ، وفى اليوم الثانى من شهر ديسمبر سنة 1823 قال الرئيس الأمريكى «جيمس مونرو» ما يلى : «كمبدأ عام ولضمان حقوق ومصالح الولايات المتحدة، تقرر أن تكون القارتان الأمريكيتان ، من خلال وضع كل منهما الحر المستقل الذى تحقق لكل منهما بعد نضال طويل ، لا يمكن اعتبارا من الآن فصاعدا أن تكون خاضعة لأى حركة استعمارية فى المستقبل تقوم بها أى دولة أوربية ، وتعتبر الولايات المتحدة أى محاولة من هذا النوع أمرا خطيرا يمس سلامتها وأمنها واستقرارها»..

كانت هذه الرسالة التى كتبها «جون كوينسي آدامز John quincy Adams» الذى أصبح هو نفسه رئيسا للولايات المتحدة بعد ذلك ، كانت هى الرد الأمريكى على التحالف المقدس الأوربى، وأصبحت معروفة باعتبار أنها مبدأ مونرو .. ومع أن الكونجرس لم يتخذ أى إجراء لمناقشة ذلك المبدأ والموافقة عليه ، ولكن هذا التصريح الذى اتخذ شكل المبدأ العام السياسى قد أصبح جزءا ثابتا فى السياسة الخارجية الأمريكية ولا يزال مؤثرا فيها حتى الآن .. ومن المعروف أن للولايات المتحدة النفوذ الأقوى فى أمريكا الجنوبية ، وهى حامية للولايات الصغيرة ضد أى هجوم تقوم به أية قوة تأتى من خارج أمريكا.

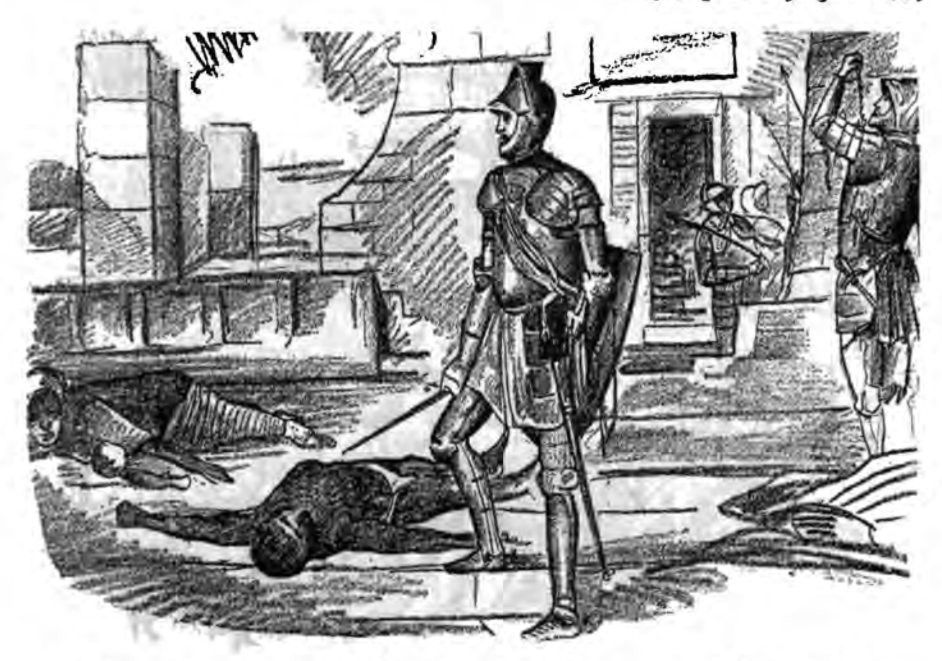


50 - الحرب المكسيكية (1846م - 1848م)

Mexican War (1846 - 1848)

تمثل هذه الحرب إحدى مراحل البلطجة الأمريكية لفرض سطوتها ونفوذها..

ففى عام 1835م تمردت منطقة تكساس على الحكومة المكسيكية ، وأعلنت قيام جمهورية تكساس فى عام 1836م بعدها ضمت الولايات المتحدة الأمريكية تكساس إليها لتكون إحدى ولاياتها.



لم تكتف الولايات المتحدة بذلك، بل طالبت بأن تكون حدودها الجنوبية الغربية عند نهر «ريوجراندى» داخل الأراضى المكسيكية.. إلا أن المكسيك رفضت ذلك المطلب، ورفضت كذلك دفع تعويضات للمواطنين الأمريكيين أو التنازل عن أية أراضٍ مقابل ذلك.. ولذا قامت الولايات المتحدة بغزو المكسيك واحتلت القوات الأمريكية مدينة المكسيك العاصمة.

وبموجب معاهدة «جوادالوبى هيدالجو» اشترت الولايات المتحدة من المكسيك أراضى : كاليفورنيا ، ونيفادوا وبوتا، ومعظم أراضى أريزونا ونيومكسيكو، وغيرها من الأراضى المكسيكية.



51 - سقوط سيباستبول (1855م)

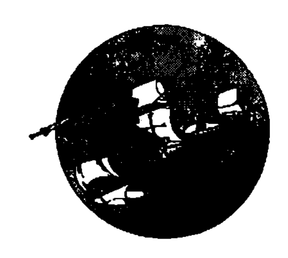
The Fall Of Sebastopol (1855)

فى منتصف القرن التاسع عشر 1850م حاولت روسيا احتلال أرض تابعة لتركيا.. واعتبرت كل من إنجلترا وفرنسا أن احتلال روسيا للقسطنطينية تهديدا لتجارة كل منهما مع أوربا من شرقها إلى غربها، ولذلك أعلنت كل من إنجلترا وفرنسا الحرب ضد روسيا.

وفى يوم 7 سبتمبر سنة 1854م توجهت حملة عسكرية مشتركة من الإنجليز والفرنسيين وبلغ عدد المحاربين للدولتين (57 000) مقاتل، بهدف الاستيلاء على سيباستبول ، وهى قاعدة بحرية تطل على البحر الأسود . وتقدمت الحملة الإنجليزية الفرنسية حتى وصلت إلى «إيوبا توريا Eupatoria» واقتربت من سيباستبول وفرضت عليها الحصار .

ودام الحصار أحد عشر شهرا ، وكان فصل الشتاء مليئا بكل أسباب الشقاء والآلام المفزعة للقوات التابعة للحليفتين التى استطاع الروس أن يقطعوا عنها خطوط الإمداد ، وحرموهم من الحصول على أى إمدادات جديدة . وأثناء احتدام المناورات للاستيلاء على المدينة لتنفيذ التعليمات الحكومية مات القيصر الروسى «نيقولا الأول Nicholas I» الذى كان يدعم مقاومة سيباستبول بقوة ويمدها بكل مطالب الدفاع والصمود. وفى اليوم الثامن من سبتمبر 1855 حدث الهجوم الشامل النهائى على المدينة، وفشل الهجوم البريطانى على قلعة «ريدان Redan» ، ولكن الفرنسيين تمكنوا من الاستيلاء على قلعة «مالاكوف Malakoff» وحسموا مصير سيباستبول التى فقد الروس فيها أكثر من مائة ألف مقاتل فى سبيل الدفاع عنها .

وحققت هذه المعركة الشرسة التى استغرقت زمنا طويلا ، قلما تستغرقه أى معركة أخرى ، نتائج سياسية قليلة ، ولكن قيمتها الحقيقية تكمن فى أنها قد كرست مفهوم أن إنجلترا لابد أن تحقق أهدافها فى كل حرب تكون طرفا فيها ، وأن إنجلترا لابد أن تنتصر فى كل المعارك البحرية كترجمة صحيحة للسيطرة الإنجليزية البحرية.



52 - غاريبالدى يحرر إيطاليا (1859 - 1860م)

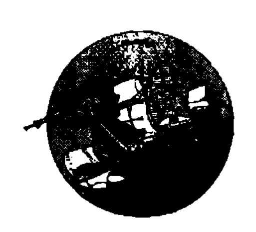
Garibaldi Frees Italy (1859 - 1860)

فى منتصف القرن التاسع عشر كانت إيطاليا تحت حكم «النمسا Austria» وحكم البابا والقيادة الكنسية التابعة له «The papal Court» ، وكانت مقسمة إلى كثير من الأقسام والدويلات المتنازعة. كانت صقلية ونابولى فى حرب مستمرة ، بينما كان «فيكتور إيمانويل الثانى Victor Imanuel II» ملك سردينيا وبيدمونت فى حرب مستمرة ضد جيوش النمسا .



وفى شهر يونيو سنة 1859 تقاتل جيش فيكتور إيمانويل الثانى بمساعدة حلفائه الفرنسيين وبقيادة «جوزيب غاريبا لدى Guiseppe Garibaldy» المتمرس بحرب العصابات مع الجيش النمساوى فى «ماجنتا Magnetta» وسوليفرينو Solferino» وهزم النمساويون هزيمة ساحقة أنهت وجودهم فى إيطاليا كلها .

وفى اليوم الحادى عشر من شهر مايو 1860 قاد غاريبا لدى جيشا صغيرا يتكون من ألف مقاتل فقط ، ونزل بهم إلى ميناء مارسالا Marsala فى جزيرة صقلية ، وانضم إليه كثير من الأهالى ، وتمكن من طرد القوات الموالية لنابولى ، وأعلن نفسه حاكما مطلق السلطات فى كل أنحاء صقلية، ثم هاجم غاريبا لدى نابولى نفسها، وهزم جيش الملك «فرنسيس الثانى Francis II» وتمكن بذلك من توحيد كل جنوب إيطاليا مما جعله يحرز شهرة مدوية كقائد عسكرى يتمتع بمستوى عال من الكفاءة . وتعاون غاريبا لدى أيضا مع فيكتور إيمانويل واشتركا فى الهجوم على سردينيا ، آخر معاقل نفوذ البابا الذى تقلص نهائيا عن كل جزء من الأرض الإيطالية.. وتم تتويج فيكتور إيمانويل لكل إيطاليا الموحدة بعد أن كانت ولايات مستقلة متصارعة. وبفضل شجاعة وبراعة غاريبا لدى وترفعه عن كسب السلطة والنفوذ وإنكار الذات تحققت الوحدة الكاملة للأراضى الإيطالية ، وهو حلم كان يبدو آنذاك مستحيل التحقيق فى الواقع الفعلى، إذ كان الواقع الفعلى فى كل أرجاء الأراضى الإيطالية هو التفتت والانقسام والصدام، وهذا هو السبب فى عظمة وبراعة مسلك غاريبا لدى عندما نجح فى تحقيق الوحدة الإيطالية.



53 - تحرير العبيد (1863م)

The Freeing Of The Slaves (1863)

دخلت «العبودية Slavery» إلى أمريكا بدءا من عام 1619 .. وكانت أعداد العبيد تزداد ببطء شديد فى الولايات الشمالية، بينما كان وجود أعداد متزايدة من العبيد ضروريا لزراعة وجنى وحلج القطن فى الجنوب، وغدت تجارة العبيد فى الولايات الجنوبية تجارة مربحة ورائجة وقوية الأركان.. وبدخول الولايات الأمريكية فى الاتحاد الذى عرف باعتبار أنه الولايات المتحدة الأمريكية، أصبحت مشكلة ازدياد أعداد العبيد فى ولايات الجنوب مسألة ملحة تفرض نفسها على مناقشات الكونجرس



دورة إثر دورة، وازدادت أهمية هذه المشكلة بتوالى الأعوام. وكان النواب والقادة وكل كبار المسئولين فى ولايات الشمال ينادون بتحرير العبيد، مع الحد من أعدادها فى الولايات المتحدة الأمريكية ، بينما كان النواب والقادة وكبار المسئولين فى ولايات الجنوب يرون على النقيض من ذلك أن ازدياد أعداد العبيد مع الإبقاء على نظام الرق ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها ، حيث أصبحت تجارة الرقيق تجارة ضرورية يمارسها كثير من الأثرياء الأقوياء ممن يصعب إغضابهم ، وأصبح وجود أعداد كبيرة من العبيد فى ولايات الجنوب من ضرورات زراعة وجنى وحلج القطن الذى زصبح محصولا رئيسيا من المحاصيل الزراعية.

ولأن أى مناقشة لا يمكن أن تكون مجدية لحسم هذا الخلاف فى وجهة النظر بين ولايات الشمال وولايات الجنوب. كانت الحرب هى الوسيلة الوحيدة لحسم هذا الخلاف.

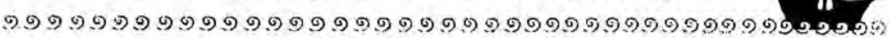
وفى عام 1862 ألغى الكونجرس الأمريكى العبودية فوق كل أراضى الولايات المتحدة الأمريكية. وفى يوم 22 سبتمبر من نفس العام أعلن الرئيس «لنكولن Lin-coln» تحذيرا مبدئيا للولايات الجنوبية بضرورة تحرير العبيد وتنفيذ القرار الذى اتخذه الكونجرس . وفى يناير سنة 1863 ، بعد حرب طاحنة بين الشمال والجنوب ، تمكن «لنكولن» من تحرير كل العبيد فى ولايات الشمال والجنوب.

وكان انتصار جيش الشمال بقيادة لنكولن انتصارا لمبدأ تحرير العبيد فى كل أنحاء أمريكا ، كما كان انتصاراً للوحدة بين الولايات المتحدة الأمريكية التى كاد أن يعصف بها اختلاف وجهات النظر بين ولايات الشمال وولايات الجنوب لأسباب اقتصادية قوية.

وعلى الرغم من أن تحرير العبيد فى الولايات الجنوبية قد أحدث بعض المتاعب فى مجال الزراعة وفى مجال الصناعة المتصلة بالزراعة، تعود الناس بالتدريج على ممارسة مناشط الحياة مع تحرير العبيد من قيود الرق والعبودية. وتحقق بذلك المبدأ الأساسى من مبادئ إعلان الاستقلال الأمريكى وهو المبدأ القائل : «كل الناس قد خلقهم الله أحرارا على قدم المساواة».

54- اكتشاف الأشعة السينية (1896 م)

The Discovery of (X) Rays (1896)





مع بداية عام 1896 تلقى كثير من العلماء فى شتى أنحاء الأرض رسائل بالبريد تحتوى على أغرب الصور .. كانت إحدى هذه الصور تمثل إبرة بوصلة داخل صندوقها .. والثانية تمثل مجموعة من الكتل الحديدية داخل صندوق خشبى مغلق .. أما أغرب هذه الصور ، فكان صورة للعظام داخل اليد البشرية!!

وكان ويلهلم كونراد رونتجن Wilhelm Conrad Rontgen (1845 – 1923) أستاذ الفيزياء بجامعة ويرز بورج بألمانيا هو الذى أرسل هذه الصور لكبار علماء الفيزياء فى العالم .. وخلال أسبوعين أصبح اسمه يتردد فى كل الأوساط العلمية ، باعتباره صاحب الفضل فى اكتشاف الأشعة السينية الغامضة.

كان اكتشاف رونتجن للأشعة السينية وليد الصدفة المحضة .. فكيف كان ذلك ؟

أثناء الدراسات التى كان يقوم بها رونتجن على أشعة المهبط ، كان يستخدم فى ذلك أنبوبة « كروكس» ، وهى أنبوبة زجاجية كبيرة شبيهة بصمام التليفزيون ، مفرغة الهواء ، وبطرفيها صفيحتان معدنيتان متقابلتان ، هما المهبط والمصعد .. وعند توصيلهما بدائرة كهربية ، يظهر توهج مختلف الأشكال يملأ الأنبوبة .. ونظراً لأن هذه التوهجات كانت تبدأ من صفيحة المهبط، فقط أطلق عليها اسم «أشعة المهبط» .

أثار هذا المشهد اهتمام رونتجن ، فقام بإظلام الحجرة التى يعمل بها ، ثم غلّف الأنبوبة بورق مقوى أسود اللون للتأكد من عدم نفاذ أية أشعة خارجها .

كان على المنضدة قطعة لوح من الزجاج مغطى بمادة كيميائية تعرف باسم «ملح الباريوم» ، ولم يكن لها علاقة بالتجربة التى يجريها رونتجن .. إلا أنه لاحظ

توهج هذا اللوح الزجاجى عند إمرار التيار الكهربى فى الدائرة على الرغم من تغليف الأنبوبة بغلاف ورقى أسود !!

إنها ظاهرة غريبة أثارت اهتمام رونتجن وفضوله !!

هنا أيقن أن هناك أشعة تخرج من الأنبوبة لتؤثر على اللوح الزجاجى المغطى بملح الباريوم ، فتحدث فيه هذا الوهج .. إلا أنه لا يعلم شيئاً عن طبيعة هذه الأشعة ، لذا أطلق عليها اسم أشعة إكس ، أو الأشعة السينية، إذ أن الحرفين (س) فى العربية ، (X) فى الإنجليزية يرمزان إلى الشىء المجهول.

بدأ رونتجن فى البحث عن طبيعة هذه الأشعة ، وأخذ يجرب وضع أشياء مختلفة بين الأنبوبة واللوح الزجاجى ، إلا أن أيا من هذه الأشياء كالخشب والزجاج ، والألمونيوم، لم يتمكن من منع وصول الأشعة إلى اللوح الزجاجى ، وبالتالى استمر التوهج .. إلا أنه عندما وضع قطعة من الرصاص بينهما اختفى التوهج!!

قام رونتجن باستبدال اللوح الزجاجى بلوح حساس ، فلم تكن الأفلام الحساسة معروفة آنذاك ، غلف رونتجن اللوح الحساس بورقة سوداء ، ووضعه بجوار الأنبوبة عدة ساعات ، وعندما فض الورقة وجد أن اللوح كما لو أن ضوءاً سُلط عليه .. ولم يكن هناك ضوء ، بل الأشعة السينية الصادرة من الأنبوبة !!

هنا أدرك رونتجن أنه بإمكانه تصوير أشياء مختلفة على هذا اللوح الحساس باستخدام الأشعة السينية .. فأخذ يد زوجته ووضعها بين الأنبوبة واللوح الحساس ، وكانت المفاجأة بعدما «حمّض» اللوح .. ظهرت عليه صورة عظام يدها مع الخاتم التى كانت تلبسه فى أصبعها الأوسط !!

وسرعان ما أرسل صوراً أخرى قام بتصويرها إلى العديد من علماء العالم .. وكان الأطباء أول من أدرك أهمية هذا الاكتشاف العظيم .. فقد استطاعوا ، للمرة الأولى، أن يروا ما بداخل جسم الكائن الحى .. واستطاعوا أن يحددوا أماكن الكسر فى العظام ، وأفضل طريقة لوضع الجبيرة عليها .

وتوالت بعد ذلك استخدامات الأشعة السينية فى أغراض شتى !!

55- غرق السفينة الأسطورة تايتانك (15 أبريل عام 1912)

Sinking of the legendary ship "Titanic"(1912)

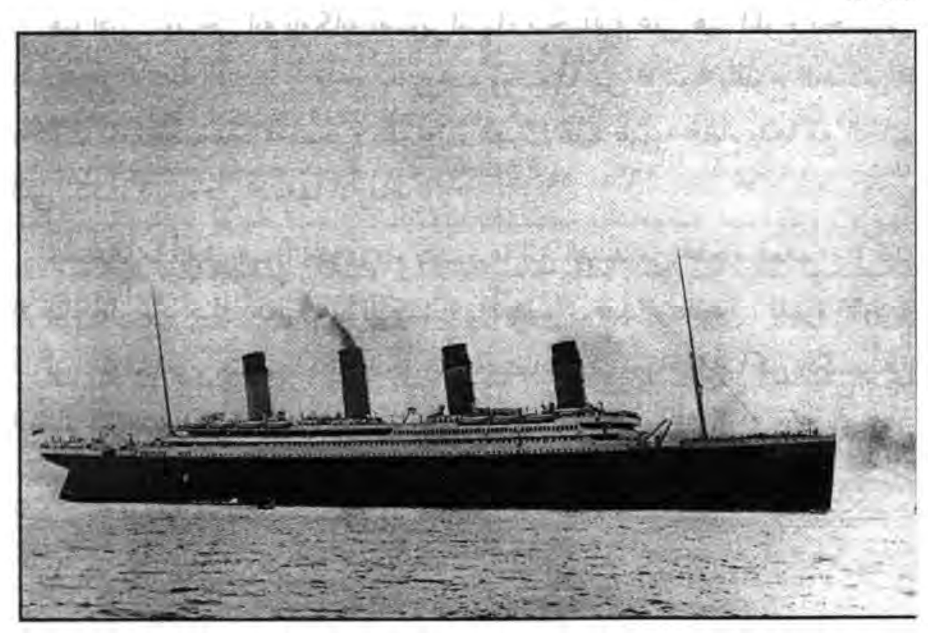
فى يوم العاشر من أبريل من عام 1912 ، كان العالم يترقب ذلك الحدث التاريخى، وهو قيام السفينة الأسطورة تايتانك بأول رحلاتها عبر المحيط الأطلسى من إنجلترا إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

سفينة من نوع خاص جدًا :

كانت السفينة تايتانك أضخم وأفخم سفينة عرفها العالم فى ذلك الوقت .. إذ كانت تزن أكثر من 52 ألف طن ، ويبلغ طولها نحو 882 قدمًا ، وعرضها نحو 94 قدماً .. أما ارتفاعها فهو يعادل ارتفاع مبنى مكون من أحد عشر طابقاً!!

يضم الجزء العلوى من السفينة الحجرات الخاصة بالدرجتين الأولى والثانية.. أما الجزء السفلى فيحتوى على حجرات الدرجة الثالثة.

صممت هذه السفينة بحيث تكون غير قابلة للغرق ، ولها القدرة على مواجهة كل المشاكل التى يمكن أن تتعرض لها خلال رحلاتها .. يتكون الجزء السفلى منها من 16 مقصورة لا يمكن أن ينفد الماء إليها حتى لو غاصت السفينة كلها فى الماء !!



كانت السفينة مجهزة بكل ما يحتاجه المسافر .. مطاعم ، غرف مجهزة بأرقى الأثاث ، ملاعب ، قاعات للاحتفالات ..

بداية الرحلة :

كانت السفينة راسية فى ميناء «كوينستون» بإنجلترا ، عملاقة شامخة .. احتشد الناس على الرصيف ليشاهدوا هذا الحدث التاريخى .. بينما أخذ الركاب فى الصعود إليها .. لم يكونوا ركاباً عاديين .. بل كانوا صفوة المجتمع الغربى .. وأثرى أثرياء العالم .. كانت قيمة التذكرة على متن هذه السفينة يزيد على دخل أى فرد من طاقمها طوال حياته !!

أبحرت السفينة فى موكب مهيب وعلى متنها 2227 راكبا .. كانت السفينة بالفعل مختلفة تماماً عما سواها .. كل شىء فيها مريح ومبهج.. وكان قبطانها كابتن «إدوارد سميث» هو أسعد من عليها، فهذه هى الرحلة الأخيرة له ، والتى يختتم بها حياته فى العمل كقائد للسفن فى أعالى البحار، والتى امتدت لأكثر من ثلاثين سنة.

بداية الخطر :

بعد أربعة أيام من بداية الرحلة ، وفى 14 أبريل تلقت أجهزة الاستقبال رسائل إنذار من سفن أخرى تشير إلى اقتراب دخول السفينة العملاقة فى منطقة جليدية مقابلة للساحل الشرقى لكندا.. وعلى الرغم من كثرة هذه الإنذارات إلا أن أحداً من طاقم السفينة لم يعرها اهتماماً ، لثقتهم فى سفينتهم، وأنها فوق كل هذه المخاطر !!

استمرت السفينة فى رحلتها وسط تلك المخاطر حتى اصطدمت بجبل جليدى .. وعلى الرغم من قوة الاصطدام إلا أن الركاب لم يسمعوا له صوتا مزعجًا ، ولذا استمروا فى ممارسة نشاطهم العادى ..

أما كابتن «سميث» فقد علم فعلاً أن الأمر جد خطير .. ولكن بعد فوات الأوان..

وبدأ بإرسال نداء الاستغاثة (SOS) وإنزال قوارب النجاة لنقل الركاب .. كل ذلك يحدث بينما بدأت السفينة العملاقة فى الغوص إلى قاع المحيط شيئًا فشيئاً.. لم يكن على متن السفينة العدد الكافى من قوارب النجاة ، ولعل ذلك يرجع إلى الثقة المفرطة فى قدرات هذه السفينة العملاقة، وأنها فوق الغرق!!

معظم الذين استخدموا قوارب النجاة لقوا حتفهم بعد صراع مرير وطويل مع البرد الشديد .. بينما مات غرقا جميع من تبقى على السفينة .. ولم ينجُ من الركاب سوى 705 فقط !!

وغاصت السفينة التى لا تغرق فى قاع المحيط وعليها أثرى أثرياء العالم!!

رحلة البحث عن السفينة الغارقة :

ما أن شاع خبر غرق السفينة العملاقة ، حتى بدأت رحلة البحث عنها .. لقد كانت السفينة محملة بالكنوز والثروات التى تركها أصحابها .. وبالتالى كان البحث عنها وإنقاذها حلما يراود العديد من المغامرين ..

وفى الوقت نفسه كان العثور على السفينة حلما يراود محبى البحار والشغوفين بدراسة قاع المحيطات ، ساعد على ذلك التقدم العلمى الهائل فى أجهزة الغوص وأجهزة التحكم على البعد ..

وبالفعل بدأ فريق البحث فى صيف عام 1985 بقيادة «د. روبرت بولارو» ..

ونجحت رحلة البحث عن السفينة التى ظلت غارقة فى قاع المحيط 73 عامًا. وعلى الرغم من ذلك كان الحطام لا يزال يحمل آثار الجمال والضخامة والفخامة !!

وتمكن «روبرت» من التقاط بعض الصور للسفينة وهى فى قاع البحر .

56 - الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918م)

The First World War (1914 - 1918)

بدأت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس من عام 1914 ، واستمرت قرابة أربع سنوات ، لتنتهى فى خريف عام 1918 .

اشترك فى هذه الحرب كل الدول العظمى فى أوربا ، بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا .. ثم امتدت هذه الحرب لتشمل معظم دول العالم !!

أما عن سبب قيام هذه الحرب ، فيذكر التاريخ أنه فى يوم 28 يونيو عام 1914 توجه ولى عهد النمسا «الأرشيدوق فرانسيس فرديناند» مع زوجته إلى مدينة سراييفو ، التى كانت آنذاك تابعة للنمسا ، وهناك اغتيل مع زوجته .. الأمر الذى أدى إلى توتر العلاقات بين صربيا وإمبراطورية النمسا – المجر .

هذا هو السبب الظاهرى لقيام تلك الحرب .. وهو كما يبدو ، سبب واهٍ غيرِ مقنع .. فإذا كان قتل ولى عهد النمسا وزوجته هو سبب الحرب بين الدولتين ، فلِم تورطت أوربا كلها فى تلك الحرب التى امتدت نيرانها إلى معظم دول العالم ؟

لابد وأن تكون هناك أسباب أخرى خفية أكثر إقناعًا .. وما حادث الاغتيال إلا بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير .



أدت الحرب إلى تدمير المدن وتحويلها إلى خرائب



الدبابة البريطانية إم كي استخدمت
لأول مرة عام 1917



مدفع رشاش هوتشكس عيار 8 مم



الغواصة الألمانية يو بى 2 حاملة قذائف الطوربيد



قاذفة القنابل البريطانية إير كو دى إتش 4

أسلحة الحرب العالمية الأولى

يؤكد التاريخ أن منطقة البلقان كانت تشهد صراعا داخليًا محتدمًا .. ففى عام 1912 قام حلف دول البلقان المؤلف من : صربيا ، واليونان ، والجبل الأسود ، وبلغاريا بإخراج تركيا من كثير من ممتلكاتها فى أوربا . وفى عام 1913 هزمت بلغاريا على يد حليفتيها السابقتين اليونان وصربيا .. وهكذا ظهرت صربيا ، على الساحة ، كقوة عظمى طموحة. وهذا ما أزعج إمبراطورية النمسا – المجر .. وجاء حادث الاغتيال ليكون قمة التحدى الصربى للنمسا!!

استغلت ألمانيا هذا التوتر بين الدولتين للقضاء على طموحات صربيا ، فشجعت النمسا على حرب صربيا وإدخالها فى ملكها .. وراحت النمسا تحت ضغط من ألمانيا ووعد بمساعدتها عسكريا فى حالة نشوب حرب ، تعمل على استفزاز صربيا .. فأرسلت إليها إنذارا شديد اللهجة ، تطالب فى حقها بالتدخل فى شئون صربيا للتحقيق فى قتل ولى عهدها ، ومحاكمة القتلة .. رفضت صربيا هذا التدخل السافر فى شئونها ، فأعلنت النمسا الحرب عليها فى 28 يوليو عام 1914.

أعلنت روسيا حالة التعبئة الشاملة ومساندتها لصربيا .. وانقسمت أوربا إلى قوتين.

قوى الوسط ، ويمثلها : ألمانيا ، والنمسا - المجر ، وتركيا (الإمبراطورية العثمانية).. وقوى الحلفاء ، ويمثلها : روسيا ، وصربيا ، والجبل الأسود ، وبلجيكا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، واليابان .

استطاع الألمان احتلال بلجيكا ، ثم زحفوا نحو باريس .. إلا أن مثل هذه المواجهة العسكرية لم تتكرر بعد ذلك .. وساد نوع من التوقف فى المعارك العسكرية، وقد يرجع ذلك إلى تكافؤ القوتين المتحاربتين ، إلا أن المواجهات العدوانية أخذت طابع حرب العصابات من خلال الخنادق العسكرية استمرت على مدى ثلاث سنوات، ومن ثم يمكن القول بأن الألمان حققوا انتصارا ملموسا فى الجبهة الغربية .

ولكن ماذا عن الجبهة الشرقية ؟

فى الأول من أغسطس عام 1914 أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا ، كان الجيش الروسى كثير العدد، ضعيف التسليح .. وتمكنت ألمانيا من هزيمة روسيا فى معركة «تاننبرج» بعد أيام قليلة من بداية المعركة .. حاولت روسيا شن هجوم مضاد ضد الألمان ، إلا أن هذا الهجوم منى بالفشل عام 1916 ، وكانت هذه الهزيمة الثقيلة من الأسباب الأساسية فى قيام الثورة الروسية وخروج روسيا من الجبهة !!

فى أكتوبر عام 1915 انضمت بلغاريا إلى ألمانيا ، ثم سقطت صربيا والجبل الأسود ، وانهزم الحلفاء فى «جاليبول» .. وفى مايو عام 1915 انضمت إيطاليا أيضا إلى الحلفاء إلا أنها هزمت فى «كابوريتو» سنة 1917.

توالى بعد ذلك انضمام البرتغال ورومانيا للحلفاء ، كما شاركت معهم اليونان فى حملة «سالونيكا» ضد ألمانيا عام 1917 .

أمريكا تدخل الحرب :

يبدو أن النشاط البحرى الذى مارسه الألمان قد جعل الولايات المتحدة الأمريكية تخرج عن حيادها عام 1915 خاصة بعد غرق السفينة «لوزيتانيا» ، ولذا اجتهد

الحلفاء فى إغلاق منافذ الأسطول الألمانى بعد معركة «جتلاند» مما جعل ألمانيا تهدد باستخدام حرب الغواصات عام 1916.

وكان من نتيجة ذلك أن قطعت الولايات المتحدة علاقاتها مع ألمانيا ، وأعلنت الحرب عليها فى أبريل من عام 1917 .. وبالفعل أرسلت الولايات المتحدة حملة أمريكية بقيادة الجنرال «بيرشنج» إلى فرنسا ، إلا أن هذه الحملة لم تشترك فى مواجهات فعلية إلا فى معركة «شاتوتيرى» عام 1918.

كان الألمان يسعون إلى تحقيق انتصار فى الغرب على غرار ما حققوه فى الجبهة الشرقية .. وكانوا يحاولون تعجيل ذلك قبل وصول الجيش الأمريكى ، الذى كانوا يتوقعون منه هجوما انتقاميا .. وحدث ما كان يخشاه الألمان ، فقد قام الحلفاء ومعهم الجيش الأمريكى بهجوم مضاد أتبعوه بهجوم واسع النطاق أقنع القيادة الألمانية بأنها قد خسرت الحرب ، فطلبت الصلح .. وكان من نتيجة ذلك تنازل القيصر عن العرش ، وظهرت حركات تمرد مناهضة للحرب ومؤيدة للبلشفيك .

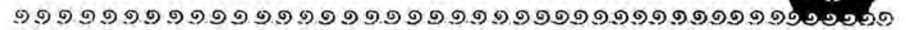
وقد تمخضت هذه الحرب عن العديد من النتائج ، بالإضافة إلى هزيمة ألمانيا وحلفائها ، وقيام الثورة الروسية ..

أدت الحرب والوضع المتأزم فى أوروبا إلى قيام الثورة العربية فى الشرق الأوسط، وانتهاء الحكم العثمانى للمنطقة ، وسقوط بغداد وبيت المقدس عام 1917 .. كان على دول العالم ، بعد أن رأت ويلات الحروب واكتوت بنيرانها ، أن تبحث عن سبل ارتقائها وتأمينها ، فكان الاتفاق على تأسيس هيئة دولية تعمل على سلامة العلاقات بين دول العالم ، تلك الهيئة التى عرفت فيما بعد باسم «عصبة الأمم»..

أما عن عدد القتلى فى تلك الحرب فقد فاق العشرة ملايين نسمة ، أما الجرحى فضعف ذلك !!

57 - اكتشاف البنسلين (1928م)

The Discovery of Penicillin (1928)





كان اكتشاف البنسلين ثورة حقيقية فى مجال الطب والدواء .. وقد وصف بأنه «العقار المعجزة» !! ظلت أمراض كثيرة تفتك بالإنسان «والحيوان أيضًا» .. ووقف الإنسان أمامها عاجزًا لا يملك شيئا ، حتى كانت ملاحظة «الكسندر فلمنج» والذى قادته بالصدفة لاكتشاف البنسلين.. فكيف كان ذلك ؟

كان الكسندر فلمنج Alexander flemming (1881 - 1955م) قد التحق بمدرسة «سانت مارى» للطب، وكان عليه أن يدفع مبلغ خمسة جنيهات للحصول على شهادة الزمالة فى الجراحة .. ولقد ندم على هذه الجنيهات كثيراً .. يقول فى مذكراته : « إن طبيعتى كإسكتلندى جعلتنى دائم الندم على الجنيهات الخمسة التى صرفتها لغير ما غرض!!» .. ومضى فلمنج فى دراسته حتى حصل على عضوية الكلية الملكية للجراحة .. إلا أنه اتجه لدراسة علم البكتيريا «البكتريولوچيا» .. وأقام بالمستشفى مع طبيب آخر كان يساعده فى إجراء التجارب .. وفى عام 1908 كتب فلمنج بحثا عن الإصابة البكتيرية الحادة ، جمع فيه كل خطوط المعركة التى ظل يخوضها ضد البكتيريا على مدى السنوات الماضية ، وأعد فى هذا البحث الوسائل التى كان يستخدمها الأطباء قبل عام 1908 لمكافحة البكتيريا المسببة للمرض .. ولم يكن يعلم فى ذلك الوقت أنه سوف يكتشف بعد نحو عشرين سنة أفضل وسيلة لمحاربة البكتيريا والقضاء عليها .

كان التطعيم Vaccination أول وسيلة تضمنتها قائمة فلمنج ، وفيه تؤخذ البكتيريا المسببة للمرض بعد إماتتها أو إضعافها ، وتحقن فى جسم المريض ، فتحثه على بناء قواعده الدفاعية لحمايته من المرض .. وبالتطعيم تم القضاء على بعض الأمراض ، مثل : الطاعون ، والتيفود ، وغيرهما .. وكانت الأمصال Serums هى

الوسيلة الثانية الواردة فى قائمة فلمنج، أو مضادات السموم Antitoxins .. وتحضر الأمصال بحقن بعض الحيوانات ، كالخيول مثلا ، بجرعات متزايدة من التوكسين ، أى السم ، الذى تفرزه بعض أنواع البكتيريا المسببة للأمراض ، فتقوم دماء هذه الحيوانات بتكوين مضادات لهذه السموم تعمل على إبطال مفعولها .. تؤخذ بعد ذلك دماء هذه الحيوانات ويفصل منها السائل «المصل» المحتوى على هذه المضادات السمية .. فإذا ما حقن هذا الم صل فى دم المريض، ساعد الدم على إبطال مفعول ما به من توكسينات «سموم» .

وكانت الجراحة تمثل الوسيلة الثالثة فى مكافحة البكتيريا ، وذلك باستئصال الأجزاء المصابة فى بعض الحالات ..

أما الوسيلة الرابعة لمكافحة البكتيريا فكانت استخدام بعض المطهرات Antiseptics، كحمض الكربوليك ، التى تقتل البكتيريا .. إلا أن استخدام هذه المطهرات كان قاصراً على الاستخدام الظاهرى فقط ، أى فى علاج الأجزاء السطحية من الجسم ، ولا يمكن استخدامها لقتل البكتيريا التى تصيب الأجزاء الداخلية من الجسم .

بعد نشوب الحرب العالمية الأولى ، والتى خاضتها بريطانيا وفرنسا ضد ألمانيا ، ذهب فلمنج إلى مستشفى بفرنسا لعلاج الجرحى .. كانت معظم الجروح ناجمة عن الاصابة بالرصاص والقذائف وقد تعذر تطهيرها بسبب التهتك الشديد .. حاول الأطباء استخدام اليود فى تطهيرها ، إلا أنه لم يكن فعالا .. مات الآلاف من الجنود .. وكان على فلمنج أن يبحث عن وسيلة أخرى ، وفى عام 1922 وجد أن الدموع واللعاب تحتوى على مادة «الليزوزيم» القاتلة للبكتيريا ، إلا أنه بعد تجارب أثبت أن أنواع البكتيريا التى تقتلها الدموع واللعاب ليست بالأنواع المقصودة ، وهى الأنواع المسببة للأمراض ..

فى عام 1928 كان فلمنج مشغولا بدراسة بكتيريا «الأستافيلو كوكاى» التى تتسبب فى إحداث بعض أنواع البثور والالتهابات ، فكان يقوم بتنمية (زراعة) مستعمرات من هذه البكتيريا فى أطباق زجاجية بها مادة مغذية شبه جلاتينية ، وكان من وقت لآخر يكشف أحد هذه الأطباق لفحصه تحت الميكروسكوب ، وفيما عدا ذلك كانت الأطباق كلها تترك مغطاة ..

وتصادف أن كان الجو فى لندن صيف هذا العام حاراً مشبعا بالرطوبة ، فترك فلمنج نوافذ معمله مفتوحة بغية دخول الهواء ، فكان فتح النوافذ بمثابة فتح جديد ونصر عظيم من أهم انتصارات العلم الحديث .

فبعد هذا الحادث بأيام قلائل ، وجد فلمنج أن عفنا أخضر مائلا للزرقة بدأ ينمو فى أحد الأطباق ، وأن المادة المغذية فى ذلك الطبق أصبحت مغطاة بالعفن .

كان فلمنج يعلم أن جراثيم العفن الدقيقة توجد سابحة فى الهواء الذى يحملها إلى كل مكان ، وأنها عندما تقع على فاكهة غير طازجة ، أو على الخبز فإنها تنمو بسرعة متناهية مكونة العفن ، لذلك استنتج أن جرثومة نوع ما من العفن (الفطر) قد دفع بها الهواء إلى المعمل خلال النافذة المفتوحة ، وأن هذا الفطر قد استقر على المادة الغذائية لحظة رفع الغطاء عند فحصه تحت الميكروسكوب .

أخذ فلمنج يتفحص مزرعة العفن ، فوجد أن المنطقة المحيطة بالعفن رائقة ، ولم يعد لها لون مستعمرات «الأستافيلوكوكاى» المائل للصفرة ، مما يدعو إلى الظن بأن شيئا ما بالعفن كان يعمل على إذابة البكتيريا من حوله .. وهذا ما سجله فلمنج فى ملاحظاته حيث كتب : «من المدهش حقا أن مستعمرات بكتيريا الأستافيلوكوكاى المحيطة بالعفن النامى كانت آخذة فى الانحلال من حول العفن وعلى بعد كبير منه، وقد ملأتنى هذه المشاهدة شغفا فقررت مواصلة البحث» .

عزل فلمنج بعضا من خيوط هذا العفن ووضعها على مادة جيلاتينية كان يعلم أنها بيئة مناسبة لنمو العفن .. وبالفعل نما عليها العفن بسرعة ، وظهرت المزرعة فى بادئ الأمر على هيئة كتل قطنية بيضاء ، ما لبثت أن تحولت إلى خضراء داكنة .. كان العفن ينمو بتكوين أفرع تشبه الأقلام الرصاص فى شكلها ، فاستدل من ذلك على أن هذا العفن ينتسب إلى عائلة البنسليوم Penicillium ، وهذا الاسم مشتق من نفس الأصل الذى اشتقت منه كلمة Pencil .

أجرى فلمنج تجاربه على العفن ، أو بمعنى أصح : العصير الناتج عنه ، فوجد أنه لا يقتل بكتيريا الأستافيلوكوكاى فحسب ، بل إنه قاتل قوى للكثير من أنواع البكتيريا الأخرى المسببة للأمراض ، ثم أخذ يختبر تأثير عصير العفن بعد تخفيفه على البكتيريا ، فوجد أن جميع المحاليل المخففة ، حتى التى تصل درجة تخفيفها إلى 1 : 500 تعمل جميعها على إذابة البكتيريا .

كان البنسلين عقاراً شديد الفاعلية والتأثير على البكتيريا ، إلا أن استخلاصه كان أمرا صعبا ، ونجح فلمنج فى تجربة البنسلين على الفئران ، ونجح فى تجربته على صديقه ستيوارت كرادوك Stuart Craddock الذى كان يشكو من التهابات جيوبه الأنفية ، حيث قام بغسيل هذه الجيوب بعصير العفن «البنسلين» ونجحت التجربة ..

وفى عام 1929 نشر فلمنج أول تقرير له عن البنسلين ، فلم يتحمس له الرأى العام إلا قليلا ، مما جعله يشعر بقنوط بالغ !!

ولم يفكر أحد فى أمر البنسلين طوال تسع سنوات ، حتى كان عام 1938 عندما عثر عالمان من جامعة إكسفورد ، هما «هارولد فلورى» و «إرنست تشين» Florey and Chain على تقرير فلمنج عن البنسلين .. وحاولا صنع البنسلين كما فعل فلمنج .. وفى عام 941 قاما بتجربة العقار على شرطى شاب من إكسفورد بعد أن انتشر المرض فى جميع جسده نتيجة خدش أصابه أثناء الحلاقة ، ووصلت الجراثيم إلى الدم وأصبح يصارع الموت .. أعلن الأطباء يأسهم من شفائه ، وبدأ فلورى فى حقن الشرطى المريض بالبنسلين مرة كل ثلاث ساعات ، وبعد أربع جرعات تمكن الشرطى من الوقوف على قدميه ، وتحسنت صحته فى اليوم التالى ، وطلب وجبة من الطعام .. وتوقع الأطباء أن يتم الشفاء بعد أسبوع من العلاج ، غير أن كمية البنسلين المجهزة لم تكن تكفى الأسبوع كاملا .. وما أن توقف العلاج بالبنسلين حتى مات الشرطى !! وأخذ فلورى وتشين فى تطوير استخلاص البنسلين ، وجرباه على العديد من المرضى ، فكتب لهم النجاح ..

كان البنسلين أقوى قاتل للميكروبات عرفه الأطباء ، وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية لم يمت من الجرحى إلا عدد قليل .

وقد مُنح فلمنج وفلورى وتشين جائزة نوبل . فقد كان عملهم بحق ثورة فى عالم الطب والدواء .

58 - الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945 م)

(The Second World War 1939 - 1945)

يرى بعض المؤرخين ، أن الحرب العالمية الثانية كانت امتداداً طبيعيا للحرب العالمية الأولى .. بل إن التفكير فى الحرب العالمية الثانية بدأ مع نهاية الحرب العالمية الأولى خاصة من جانب بعض الدول مثل : ألمانيا وإيطاليا واليابان !!



قام مشاة الحلفاء بعمليات إنزال على الشاطئ فى شمال فرنسا يوم 6 يونيو 1944

شهدت سنوات ما بعد الحرب العالمية الأولى وصول ديكتاتورين فاشيين لسدة الحكم فى بلديهما ، وهما : موسولينى فى إيطاليا .. وهتلر فى ألمانيا . كانت إيطاليا قد عانت من خسائرها الفادحة وخيبة أملها فى الحرب .. وما أن تولى موسولينى الحكم عام 1922 حتى سعى لاسترداد هيبة إيطاليا المفقودة وتعزيز مكانتها كدولة عظمى عن طريق الاحتلال الخارجى ، والتدخل الدبلوماسى العدوانى .. وبالفعل ضمت إيطاليا إليها الحبشة عام 1935 ، وتدخلت فى أسبانيا عام 1936 .



الألمان يوقعون وثيقة الاستسلام

أما ألمانيا فقد اتبع زعيمها أدولف هتلر سياسة قومية متطرفة ، كسب بفضلها تأييد مواطنيه الذين كانوا يعانون من بنود اتفاقية «فرساى» المجحفة ، والتى ألزمت ألمانيا بدفع تعويضات فادحة عقب الحرب العالمية الأولى .. هذا بالإضافة إلى الحلم الذى كان يراود هتلر ويسعى جاهداً لتحقيقه ، وهو توحيد الشعوب الناطقة بالألمانية وسط وشرق أوربا فى دولة واحدة .. وبالفعل أخذ هتلر فى تحقيق هذا الحلم ففرض سيطرته على النمسا عام 1936 .

أما اليابان ، هناك فى الشرق الأقصى، فقد كشرت هى الأخرى عن أنيابها ، وبرهنت عمليا على نواياها ، فاحتلت منشوريا عام 1931 ، وفى عام 1937 خاضت حربا مع الصين ، واستولت على مساحات كبيرة من البر الصينى!!

ولكن أين كانت الدول العظمى كفرنسا وبريطانيا ؟

كان ساسة هذه الدول مفرطين فى التفاؤل .. وعلى الرغم مما يرونه يحدث كل يوم أمام أعينهم على أرض الواقع ، وما يقوم به هتلر مبرهنا على صدق نواياه ، على الرغم من ذلك كله ، كان ساسة أوربا ، يرون استحالة قيام حرب عالمية ثانية ، وحاولوا إقناع أنفسهم أن كل شيء يمكن تسويته بالتفاوض!!

وقد خاب ظنهم ، عندما قام هتلر فى الأول من سبتمبر من عام 1939 بغزو بولندا بشكل مفاجئ وسريع أذهل العالم كله .. وفى خلال ثمانية أيام كانت الجيوش الألمانية تحكم سيطرتها على بولندا .. فأعلنت بريطانيا وفرنسا وقوفهما إلى جانب بولندا ، وأنذرتا ألمانيا بهذا الخصوص .. وانتهت مدة الإنذار ولم تذعن إليه ألمانيا .. ودخلت روسيا إلى بولندا بزعم حماية جمهوريتى أوكرانيا وبيلاروس «روسيا البيضاء» ، وانتهى الأمر بتقسيم بولندا بين روسيا وألمانيا .

فى أبريل من عام 1940 نجحت ألمانيا فى احتلال النرويج والدانمارك ، وفى مايو هاجمت ألمانيا بلجيكا ولوكسمبورج .. ثم توجهت القوات الألمانية نحو شرق فرنسا واكتسحت القنال الإنجليزى ، وسحقت قوات الحلفاء ، فانسحبت كتائب جيش

الحلفاء نحو «دنكرك» ثم دخلت القوات الألمانية جميع أنحاء فرنسا وسيطرت عليها عسكريا فى يونيو من نفس العام ..



لجأ سكان لندن إلى أنفاق القطارات كملجأ آمن من الغارات الجوية الألمانية

وماذا عن إيطاليا ؟

عقب احتلال ألمانيا لفرنسا ، دخلت إيطاليا الحرب بجانب ألمانيا ، وفى نفس الوقت اشتد الهجوم الألمانى على بريطانيا من خلال استخدام القاذفات الألمانية .. ولم تجد بريطانيا نصيراً لها ضد ألمانيا ، وذلك لأن ألمانيا كانت قد فرضت سيطرتها على معظم دول أوربا ..

وفى شمال إفريقيا ، اشتد القتال بين القوات الإيطالية والقوات البريطانية ، كذلك شهدت منطقة البلقان معارك وحشية بين إيطاليا واليونان ، ولذا قامت ألمانيا بمساندة إيطاليا فى شمال إفريقيا ، فأرسلت قوات بقيادة «إروين روميل» ..

وفى أبريل من عام 1941 تمكنت ألمانيا من غزو بلغاريا ويوغوسلافيا والمجر، وحققت هناك انتصارات كبيرة .

الخطأ الأكبر :

توالت انتصارات ألمانيا على كل الجبهات وحدث الخطأ الأكبر الذى وقع فيه الزعيم الألمانى «هتلر» ، وذلك بخرقه العهد مع الاتحاد السوفيتى .. وزحفت الجيوش الألمانية لتحتل مساحات شاسعة من الأراضى الروسية ، وخلال خمسة أشهر كانت الجيوش الألمانية على بعد 30 كيلو مترا من العاصمة موسكو ، ولم يوقف زحفها إلا الشتاء القارس والمقاومة الروسية العنيدة .

الدور الأمريكى :

بدأ التدخل الأمريكى فى تلك الحرب تدريجيا ، وذلك بعد أن وافق الكونجرس على مد قوات الحلفاء بالمعدات العسكرية مقابل مبالغ رمزية ، تلاه احتلال القوات الأمريكية أيسلندا وجرينلاند .

وازداد الموقف العالمى تأزماً فى السابع من ديسمبر عام 1941 حينما قامت القوات اليابانية بهجوم مفاجئ على الأسطول البحرى الأمريكى فى ميناء «بيرل هاربر» مما دفع الولايات المتحدة إلى دخول الحرب بشكل رسمى بجانب الحلفاء.. وعلى الرغم من ذلك ظلت قوات المحور تعيش أوج قوتها وانتصاراتها .. إذ تمكنت من الوصول إلى ستالنجراد والقوقاز ، كما اجتاحت الصحراء الغربية فى مصر بقيادة «روميل» ، وهددت الغواصات الألمانية سفن الحلفاء فى معظم البحار الدافئة .. ثم انقلبت الموازين ، ومع منتصف عام 1942 تمكن الحلفاء من تنظيم صفوفهم ضمن خطط عسكرية استطاع بها «مونتجمرى» الانتصار على قوات المحور فى العلمين ، ثم نزلت القوات الأمريكية الجزائر ، تلاه عدد من الانتصارات لدول الحلفاء فى إفريقيا ، مما أكد تفوقهم العسكرى فى تلك المناطق .. بعد ذلك غزا الحلفاء صقلية جنوب إيطاليا ، وتم السيطرة عليها فى سبتمبر عام 1943 .. وحققت القوات الأمريكية

انتصارات بحرية هامة على اليابان ، كما حققت تلك القوات بقيادة «ماك آرثر» انتصارات أخرى فى جزر المحيط الهادى ، واستردت الفلبين سنة 1945 ، وانتقلت المعارك بين القوات الأمريكية والقوات اليابانية إلى الأراضى اليابانية .

وفى روسيا ، حيث البرد الشديد ، استسلم عدد كبير من الجيش الألمانى ، بينما قتل الباقون ..

وقامت قوات الحلفاء بهجوم مضاد على طول الجبهة لطرد الألمان ، فنزلت قوات الحلفاء فى «نورماندى» بفرنسا عام 1944 بقيادة «أيزنهاور» وتم محاصرة الألمان داخل فرنسا ، حيث تم تحريرها مع نهاية العام .. كما تم تحرير بلجيكا فى نفس العام ، وانتقلت المعارك بعدها إلى هولندا ثم إلى قلب ألمانيا ، حيث تم تدمير المراكز الصناعية والعسكرية هناك ، وفى أبريل من عام 1945 تم القضاء على المقاومة الألمانية ، واستسلمت ألمانيا لدول الحلفاء فى السابع من مايو عام 1945 دون قيد أو شرط بعد أن انتحر هتلر !!



الجنود الأمريكان يدخلون روما أول عواصم دول المحور سقوطا

ومن ناحية أخرى أسقطت الولايات المتحدة الأمريكية قنبلتين ذريتين على اليابان، الأولى فوق هيروشيما ، كان ذلك فى يوم 6 أغسطس عام 1945 ، والثانية فوق نجازاكى وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء القنبلة الأولى .. فأعلنت اليابان استسلامها التام .

وتمخضت الحرب عن عدد هائل من الضحايا البشريين ، بالإضافة إلى الدمار الذى أصاب معظم البلدان .



قاذفة القنابل الأمريكية بى -17 ذات الدروع الثقيلة والمدافع الرشاشة

عربة برمائية بست عجلات تستخدم فى نقل الإمدادات والتموين من سفن النقل إلى شواطئ العدو . أطلق عليها لقب «البطة»

الطائرة لبمقاتلة البريطانية طراز اسبتفاير - 1 المشهورة بسرعتها وقدرتها على المناورة

دبابة ألمانية ثقيلة عرفت باسم النمر الألمانى «البانتسر»

حاملة الطائرات الأمريكية «واسب» وقد ازدانت من الخارج برسوم غير منتظمة للتمويه حتى يصعب على غواصات العدو تحديد مسارها

أسلحة الحرب العالمية الثانية

59 - معركة بيرل هاربر (1941 م)

The Battle of Pearl Harbour (1941)

بيرل هاربر ، هو ميناء يقع على الساحل الجنوبى لجزيرة «أواهو» إحدى جزر ولاية هاواى الأمريكية، على بعد نحو عشرة كيلومترات غربى مدينة هونوكوك ..

وكلمة «بيرل هاربر» تعنى ميناء اللؤلؤ، وذلك لكثرة محارات اللؤلؤ التى تنمو فى حوض الميناء .

وهو ميناء حربى، ويعتبر أكبر القواعد الحربية الأمريكية، وترجع قصة هذا الميناء إلى عام 1887، عندما حصلت الولايات المتحدة الأمريكية من ملك هاواى، وكان يدعى «كالاكاوا» على امتياز بإنشاء محطة بحرية فى موقع الميناء لتزويد السفن بالفحم وإصلاحها .. وقد برزت أهمية هذا الميناء كقاعدة بحرية استراتيجية أثناء الحرب الأمريكية الأسبانية فى أواخر القرن التاسع عشر .. لذا عمدت الولايات المتحدة إلى تطوير هذا الميناء وجعله قاعدة بحرية كبيرة، خاصة بعد أن أصبحت «هاواى» مقاطعة تابعة لها .



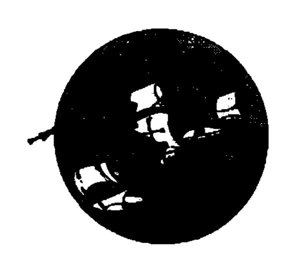
قاعدة بيرل هاربور

وقد دخل هذا الميناء التاريخ بعد أن دمره سلاح الجو اليابانى فى الحرب العالمية الثانية .. فكيف كان ذلك ؟

فى صباح يوم الأحد الموافق 7 ديسمبر من عام 1941 ، قام سلاح الجو اليابانى بغارة مباغتة على هذا الميناء، وفى أقل من ساعتين، هما عمر الغارة ، تم تدمير 177 طائرة أمريكية ، وتدمير وإغراق 19 سفينة، كان أكبرها السفينة «أريزونا»، وقتل نحو 2500 شخص، وجرح نحو 1120 آخرين كلهم من الجانب الأمريكى .. بينما لم تفقد اليابان سوى 29 طائرة من مجموع طائراتها والتى يتراوح عددها ما بين 150 إلى 200 طائرة ..

وعلى إثر هذه الغارة المدمرة ، قررت الولايات المتحدة الأمريكية دخول الحرب العالمية الثانية بصفة رسمية ، والانتقام من اليابان .. وهذا ما حدث بالفعل عندما ضربت الولايات المتحدة الأمريكية مدينتى هيروشيما وناجازاكى بالقنابل الذرية..

ويعتبر ميناء بيرل هاربر الآن مقر القيادة المركزية للقوات البحرية الأمريكية فى المحيط الهادى .. كما يمثل خط الدفاع الأول عن السواحل الأمريكية الغربية .

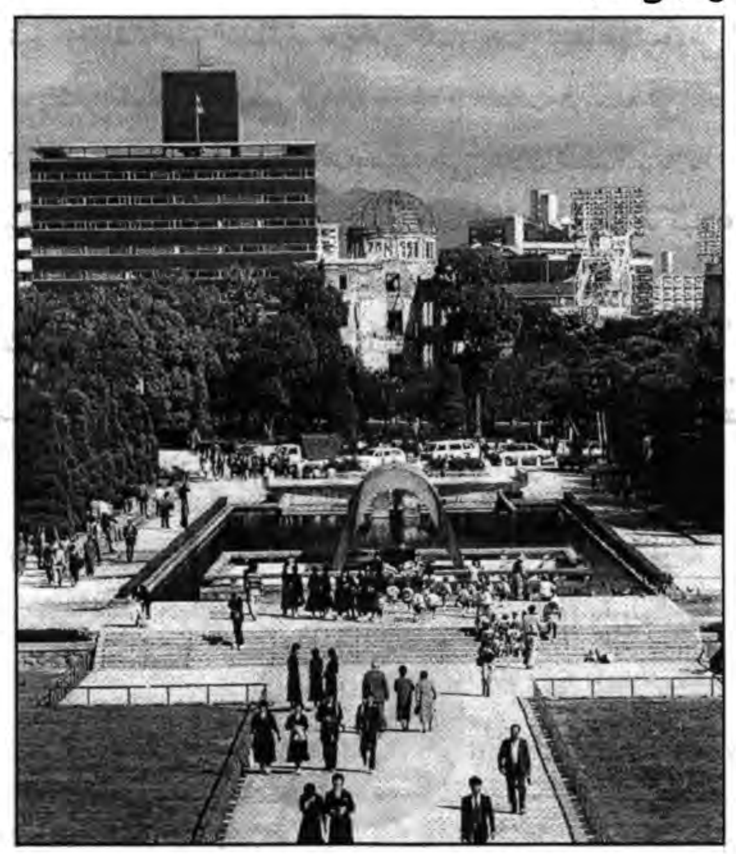


60 - تدمير اليابان (1945م)

The Destruction of Japan (1945)

مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، تعرضت اليابان لدمار شامل بسبب قنبلتين ذريتين ألقتهما الطائرات الأمريكية على مدينتى هيروشيما وناجازاكى .

ففى الساعة الثامنة والربع من صباح يوم السادس من أغسطس من عام 1945 ، ألقت طائرة أمريكية مقاتلة من طراز B29 قنبلة ذرية وزنها أربعة أطنان ونصف الطن فوق مدينة هيروشيما اليابانية .. وانفجرت القنبلة وهى على ارتفاع 600 متر من الأرض ، وتسببت فى قتل نحو ثمانين ألف نسمة ، وجرح نحو ذلك ، وتدمير نحو 90 % من مبانى المدينة .



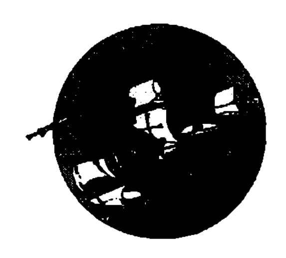
النصب التذكارية فى هيروشيما لضحايا أول قنبلة ذرية

أما المادة المتفجرة المستخدمة فى هذه القنبلة فقد بلغت نحو عشرين كيلو جرامًا من اليورانيوم 235، بنقاء بلغ 96٪ ، قامت بفصلها وتصفيتها مصانع مدينة «أوك ردج Oak Ridge» الأمريكية .. أما قدرة نسف القنبلة فقد قدرت بنحو عشرين ألف طن من مادة TNT .

وبعد ذلك بثلاثة أيام ألقيت القنبلة الثانية على مدينة نجازاكى الصناعية ، وقد خلّفت نحو سبعة وثلاثين ألف قتيل ، وأكثر من ذلك قليلا من الجرحى.. أما مادتها المتفجرة فلم تكن يورانيوم 235 كما كان الحال فى قنبلة هيروشيما ، وإنما كانت البلوتنيوم .. وقد صنعت فى مصانع «هانفورد» بمقاطعة واشنطن ، وهى مصانع أنشئت خصيصاً عام 1943 لإنتاج البلوتنيوم.

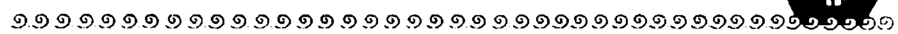
وقد نتج عن إلقاء هذه القنبلة سحب من الغبار وصل ارتفاعها حوالى 15 ألف متر . بعد إلقاء القنبلتين وتدمير اليابان ، ونجاح القوات الروسية فى الدخول إلى «منشوريا» .. اضطر إمبراطور اليابان «هيروهيتو» إلى إعلان استسلام بلاده .. وتمت عملية الاستسلام فى الثانى من سبتمبر من عام 1945 فى ميناء طوكيو على ظهر السفينة الحربية «ميسورى» تحت إشراف الجنرال «ماك أرثر» وبحضور وزير خارجية اليابان «شيجيمتو» نيابة عن حكومته ، وكذا الجنرال «أومازو» ممثلاً للقوات المسلحة .

وخضعت اليابان بذلك للاستعمار والحماية الأمريكية ، كما اضطرت للتنازل عن أسطولها الحربى .. أما الإمبراطور فقد تنحى عن العرش بعد الاستسلام .



61 - قيام إسرائيل (1948)

Rise out of Israel (1948)



لعل قيام دولة إسرائيل هو أهم أحداث القرن العشرين .. بل لعله من أهم أحداث منطقة الشرق الأوسط على وجه الإطلاق ..

وقد ارتبط ، فى أذهاننا ، قيام إسرائيل بوعد بلفور عام 1917 .. إلا أن التمهيد لقيامها يمتد بجذوره فى أعماق التاريخ إلى ما هو أبعد من ذلك .. منذ أن نشطت الجمعيات اليهودية والصهيونية ، وتسللت إلى النفوذ الأوربى، وكثرت مؤتمراتها التى تنادى بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين .

وقد أثمرت الجهود الصهيونية فى الحصول على موافقات قادة أوربا ، لإقامة الدولة اليهودية .. كانت هذه الموافقات شفوية ، فى بداياتها ، ثم أصبحت عهوداً موثقة ، نشطت هذه الجمعيات فى المطالبة بتطبيقها ولم تهدأ حتى قامت إسرائيل على أرض فلسطين .

لم يكن «بلفور» هو أول من أعطى لليهود وعداً بإقامة دولة لهم فى فلسطين.. بل إن من المؤرخين من يؤكد أن نابليون بونابرت سبق بلفور ، بأكثر من مائة عام ، فى منحه هذا الوعد !!

ولنرجع بالتاريخ إلى عام 1799م ، أثناء حصار نابليون لمدينة عكا .. لقد حاصرها شهرين كاملين ، وفشل فى فتحها .. كان هذا أول فشل يصيب نابليون .. فشل فى عكا قبل أن يفشل وينتهى فى ووترلو .. صدم نابليون وتقلصت أحلامه ، وبدأ مرحلة السقوط إلى الهاوية، وفرّ من مصر هارباً.. وكأنما أصابته لعنة وعده لليهود !!

فماذا قال نابليون فى وعده المشئوم ؟

قال : «إن العناية الإلهية أرسلتنى إلى هنا ، على رأس جيشى هذا ، وقد جعلت هذه العناية الإلهية نشر العدل وتحقيقه مطلبى ، وتكفلت بظفرى المستمر .. وجعلت من القدس مقرى العام .. وبعد قليل ستجعل مقرى فى دمشق، وسوف أكون جاراً لبلد «داود» ، يا ورثة فلسطين الشرعيين !!

إن الأمة العظيمة التى تنجب الرجال تناديكم الآن ، لا للعمل على إعادة احتلال وطنكم فحسب ، ولا لاسترجاع ما فقد منكم ، بل لأجل ضمان مؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم ، ولكى تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين !!

انهضوا وبرهنوا على أن القوة الساحقة التى كانت لأولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئاً ، ولم تثبط همة أبناء الأبطال أجدادكم .. أجدادكم الذين كانت محالفتهم تشرف أسبرطة وروما» !!

هذا هو النص الحرفى لوعد نابليون !!

لقد خاطب نابليون اليهود بأنهم ورثة فلسطين الشرعيين ، وأنها فقدت منهم وسوف يسترجعها لهم .. وأن هذا هو العدل .. وأن العناية الإلهية ضمنت له النصر .

وكلها مزاعم كذبتها العناية الإلهية في الحال .. فقد هزمته العناية الإلهية أمام عكا بعد أيام من هذا الوعد ، وضرب جيشه بالطاعون .. وفر هاربا فى جنح الظلام !

وماذا قبل ؟

قبل حملته على مصر ، كان نابليون قد عقد اجتماعاً سرياً مع بعض الشخصيات اليهودية فى فرنسا .

وقبل هذا الاجتماع السرى كان «توماس كوربت» ، اليهودى الأيرلندى البارز ، قد أرسل رسالة إلى «باراراس» عضو الدركتوار «حكومة الإدارة» ، ينصح فيها الفرنسيين باستعمار الشرق ، والعمل على إيجاد وطن لليهود فى فلسطين ، يكون ركيزة لفرنسا داخل هذا الوطن .

وجاء فى هذه الرسالة : «إن اليهود سوف يكونون لكم عنصراً استعماريا ثابت الأركان ، يحل فى آسيا محل الإمبراطورية الآخذة الآن فى الانحلال ، إمبراطورية العثمانيين ، وسوف يقدم لكم هذا العنصر اليهودى أهم الضمانات لبث الفوضى ، وهدم الدين وإشعال الأزمات ، وسوف يلين هذا العنصر التركى الصلد ، والمتعصب ،

نتيجة الاحتكاك والاختلاط باليهود القادمين من مختلف البلدان ، حاملين مختلف النظريات والثقافات !! بل إننى أعتقد أن الصين نفسها ستتأثر باليهود» !!

لقيت هذه الرسالة من الأيرلندى اليهودى ، اهتماماً بالغاً ، عقد على إثره الاجتماع السرى بين نابليون ويهود فرنسا .. وتمت فى هذا الاجتماع مساومة مكشوفة بين نابليون واليهود .. يصرف اليهود على نابليون وحروبه ، على أن يقتسم الطرفان المغانم .. لنابليون السلطة والمجد ، ولليهود العائد المادى ونشأة إسرائيل !!

وبناءً على هذا الاجتماع صدر البيان اليهودى التالى :

إن عددنا 6 ملايين منتشرون فى كل بقاع العالم ، وفى حوزتنا ثروات وأموال طائلة ، وعلينا أن نتزرع بكل قوتنا لاستعادة بلادنا !!

إن الفرصة سانحة ، ويجب استغلالها .. يجب أن نعمل بالوسائل الآتية لتحقيق مشروعنا المقدس .

يجب إقامة مجلس يهودى عالمى ينتخب من يهود 15 دولة ، هى : إيطاليا ، وسويسرا ، والمجر ، وبولندا ، وروسيا ، وشمال بريطانيا ، وأسبانيا ، والسويد ، وتركيا ، ودول من آسيا ، وإفريقيا .

هذه اللجنة اليهودية الدولية تكون قراراتها مقبولة لدى كل يهود العالم ، بحيث تصبح قانونا مخضعا وملزما .. واقتراحات هذا المجلس الدولى تبلغ إلى الحكومة الفرنسية إذا اقتضى الحال ذلك .

أما البلاد التى تنوى قبولها مع فرنسا فهى : إقليم الوجه البحرى من مصر إلى عكا .. والبحر الميت إلى البحر الأحمر .. هذا المكان من العالم هو الأكثر ملاءمة من أى بقعة فى العالم .. ونحن فيه نصبح قابضين على تجارة الهند ، وبلاد العرب ، وإفريقيا الجنوبية والشمالية .. ولن تتأخر إثيوبيا عن إقامة علاقات تجارية معنا بمحض رضاها ، فهى البلاد التى قدمت للملك سليمان الذهب والعاج والجواهر الكريمة !!

ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا ، وموقع بلدنا هذا على ساحل

البحر الأبيض المتوسط يمكننا من إقامة مواصلات سهلة مع فرنسا ، وإيطاليا ، وأسبانيا، وسائر دول أوربا .

إن هذا المكان المتوسط من العالم ، سوف يصبح وكأنه مستودع لجميع الحاصلات التى تنتجها الأرض الغنية حوله ..

أما الاتفاقات والترتيبات الأخرى باقتراحاتنا للباب العالى ، فلا تنشر علنا ، وسوف نضطر لإبقائها منوطة بحسن إدارة الأمة الفرنسية ..

انتهى البيان اليهودى !!

وماذا بعد نابليون ؟!

مات نابليون كمدا فى منفاه ، وبدأ زعماء اليهود فى توطيد علاقاتهم بزعماء أوربا ، وبخاصة بريطانيا التى ارتفعت أسهمها بعد هزيمة فرنسا ، ونهاية نابليون .. وكذا ألمانيا ، والإمبراطورية النمساوية المجرية .

يقول الأستاذ الدكتور على الدين هلال ، فى مقال له بمجلة الدوحة [1]. تنبهت الحركة الصهيونية منذ نشأتها إلى ضرورة الحصول على دعم القوى الكبرى ذات التأثير والنفوذ فى فلسطين والمنطقة .. وحدد ذلك مؤتمر بازل بسويسرا عام 1897م، الذى أنشأ الحركة الصهيونية ، والذى نصت مقرراته على أن إحدى وسائل الحركة هى اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على ترخيص دولى Charter يدعم الهدف الصهيونى ، وتصدره عدة دول ، لا دولة واحدة .. وكان «هرتزل» مؤسس الحركة يعطى للجانب الدولى أهمية كبيرة ، وقبل انعقاد المؤتمر بعامين كتب فى يومياته ، بتاريخ 7 يونيو 1895 يقول:

حالما يتم الاتفاق على الأرض ، وتوضع اتفاقية أولى مع الحاكم الموجود ، سوف نبدأ مباحثاتنا الدبلوماسية مع جميع الدول الكبرى للحصول على الضمانات !!

وفى 19 يونيو من نفس العام أرسل رسالة إلى بسمارك، طالبا تأييده للمشروع الصهيونى .

---

(1) العدد 121 ، يناير 1986 م .

وفى أبريل 1896 ، قابل هرتزل ، مستشار قيصر ألمانيا للسعى من أجل الحصول على تأييد ألمانيا لأهداف الحركة الصهيونية .

ومنذ بداية الحركة الصهيونية حرص قادتها على عدم تركيز جهودهم على دولة واحدة ، والإبقاء على خطوط الاتصال مع عدد من الدول الأخرى .. لذلك فإنه مع تركيز هرتزل على ألمانيا ، فإنه سعى فى نفس الوقت لدى إنجلترا ، والإمبراطورية النمساوية المجرية ، وبابا الكنيسة الكاثوليكية ، وروسيا ، وفرنسا ، كما سعى للاتصال بالسلطان العثمانى .

وفى يونيو ، سافر إلى القسطنطينية ، عارضاً على المسئولين فيها تسهيل الاستيطان اليهودى فى فلسطين مقابل مساعدة اليهود فى حل المشكلات المالية التى كانت تواجه الدولة العثمانية ، وكذا مساعدتها فى حل مشكلة الأرض .. ولكن السلطان عبد الحميد رفض هذا العرض .

توزيع الأدوار :

وقام حاييم وايزمان ، الذى خلف هرتزل فى قيادة المنظمة الصهيونية ، بالسير فى نفس الاتجاه .. وخلال الحرب العالمية الأولى ، نشط القادة الصهيونيون للحصول على تأييد كل من الحلفاء من ناحية ، وألمانيا وتركيا من ناحية أخرى .. فخلال السنوات الأولى للحرب ، كان عدد من أبرز قيادات المنظمة الصهيونية يعيشون فى برلين والإمبراطورية النمساوية المجرية ، مثل الدكتور «تشلينوت» ، د. ماكس بودينهايمر .. ومن ناحية أخرى ، كان وايزمان ومجموعة أخرى من قادة الحركة الصهيونية يسعون للحصول على التأييد البريطانى ، وسعوا لكسب عدد من رجال السياسة والصحافة والفكر للمطالب الصهيونية .. من هؤلاء : وايزمان سكوت ، محرر جريدة المانشستر جارديان ، ولويد جورج ، وهربرت صموئيل .

وفى مارس 1915 ، بعث إدوارد جراى ، وزير الخارجية البريطانى ، إلى وزير الخارجية الروسى رأى بريطانيا حول العلاقة بين فلسطين واليهود .. وأن الحكومة البريطانية مهتمة بإيجاد وسيلة لكسب تأييد أغلبية يهود العالم لقضية الحلفاء .. وعبرّ

الروس عن تأييدهم للعرض .. ولكنهم أصروا على ضمان حماية المصالح الدينية الروسية فى الأراضى المقدسة .

وفى عام 1917، استطاع «سوكلوف» أن يحصل من «جوليه كامبو» ، الأمين العام لوزارة الخارجية الفرنسية على رسالة تعرب عن عطف الحكومة الفرنسية على القضية اليهودية .

وهكذا ، وبانتهازية سياسية نادرة ، سعت الحركة الصهيونية إلى الاستفادة من كل الدول .. وخاطبت كلا منها باللغة التى تفهمها ، وبالحجج التى تستثيرها، بحيث تخرج الحركة الصهيونية مستفيدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أيا كانت نتيجة الحرب !!

وعد بلفور :

فى الثانى من نوفمبر من عام 1917 ، أى قبل أن يحتل الجيش البريطانى فلسطين ، أصدر آرثر بلفور ، وزير خارجية بريطانيا ، ما يعرف اليوم بوعد بلفور ، وذلك فى شكل رسالة موجهة إلى اللورد «روتشيلد» ، جاء فيها :

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى .

الغرب .. ووعد بلفور :

ومع أن وعد بلفور يشار إليه عادة إلى أنه وثيقة بريطانية ، إلا أنه فى الحقيقة يعبر عن الموقف السياسى للدول الغربية الكبرى .. فقد لعبت الولايات المتحدة دوراً أساسياً فى إصداره .. واستشير الرئيس الأمريكى «ويلسون» بالنسبة لنص التصريح ، وكانت له تعديلات على المسودة الأولى له ، وأرسل خطابا بهذا المعنى إلى رئيس الوزراء البريطانى .. وكان الموقف الأمريكى من العوامل المشجعة لبريطانيا من إصدار

التصريح، وخاصة مع ازدياد الدور العسكرى والاقتصادى الأمريكى فى دعم الحرب ، لذلك لم يكن من الغريب أن قال وايزمان : «كان هذا التأييد من أهم العوامل التى شجعت الحكومة الإنجليزية على الموافقة على التصريح» .



هرتزل وايزمان

الرخصة الدولية لقيام إسرائيل:

وبعد صدور التصريح توالى التأييد الغربى لأهدافه ، فأيدته فرنسا فى فبراير 1918 ، وتبعتها إيطاليا فى مايو من نفس العام ، ثم بقية دول الحلفاء .

وعندما عقد مؤتمر الصلح فى باريس فى يناير من عام -1919 ، تقدمت الحركة الصهيونية بهدف الحصول على تلك الرخصة الدولية ، والتى سعت من أجلها طويلاً، بحيث يصدر عن المؤتمر وثيقة دولية تتضمن ما ورد فى وعد بلفور .. وأيدت هذا المطلب كل من بريطانيا والولايات المتحدة ، وعبر الرئيس الأمريكى «ويلسون» عن موقف حكومته فى مارس عام 1919 ، حين قال : قررت الأمم المتحالفة ، بالإضافة إلى التأييد القوى لحكومتنا وشعبنا ، وضع الأساس للدولة اليهودية فى فلسطين !!

وأثمرت هذه الجهود عن نص وثيقة صك الانتداب البريطاني على فلسطين، الصادر فى 1922 ، والذى تضمن مضمون وعد بلفور ، فتقرر :

تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية ، وإدارية ، واقتصادية ، تضمن إنشاء الوطن القومى اليهودى !!

بينما تقرر المادة الرابعة : يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين ، والتعاون معها فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية ، وغير ذلك من الأمور التى قد تؤثر فى إنشاء الوطن القومى اليهودى ، ومصالح السكان اليهود فى فلسطين !!

ويختتم الدكتور على الدين هلال مقاله بقوله :

وبعد .. لعله لا توجد سابقة دولية أخرى تشابه ما تم وصفه فى هذا المقال ، ولا توجد وثيقة فريدة فى غرابتها مثل وعد بلفور !!

لقد وعدت الحكومة البريطانية بتقديم أرض لا تملكها ، وليس لها صفة قانونية فيها ، بل لم تكن حتى تسيطر عليها عسكريا عند صدور هذا الوعد!!

ومن ثم يحتار الباحث فى الأساس القانونى ، ناهيك عن الاعتبار الأخلاقى الذى يسمح بذلك !!

يزيد من غرابة هذا الوعد ، أنه ورد فى شكل خطاب من وزير الخارجية الإنجليزى إلى مواطن إنجليزى !!

وأخيراً ، فإنه بمقتضى هذا الوعد ، تعهدت الحكومة الإنجليزية أن تعطى أرضا ، كانت تابعة للدولة العثمانية ، إلى اليهود الذين كانوا يعيشون فى كل أنحاء الدنيا وقتذاك ، ولا يمثلون فى فلسطين سوى أقلية ضئيلة تمثل أقل من 10٪ من السكان!!

62 - الحرب الكورية (1950 - 1953)

The Korian War (1950 - 1953)

كانت الحرب الكورية أول الحروب التى تلعب فيها الأمم المتحدة دوراً عسكرياً ..

وقد علق الرئيس الأمريكى «ترومان» على تلك الحرب ووصفها بأنها اختبار للحرب الأيديولوجية على الأرض الكورية بين النظام الشيوعى والنظام الديمقراطى .

بدأت الحرب عندما قامت قوات من كوريا الشمالية ، فى ظل الحكم الشيوعي، بغزو كوريا الجنوبية ، ووصفت الأمم المتحدة الحرب بأنها انتهاك للسلام العالمى، وطالبت الشيوعيين بالانسحاب من كوريا الجنوبية .

ولما استمر الشيوعيون فى قتالهم ، دعت الأمم المتحدة الدول الأعضاء بها إلى تقديم المساعدة العسكرية لكوريا الجنوبية .. فأرسلت ست عشرة دولة من أعضاء المنظمة الدولية قوات لمساندة كوريا الجنوبية ، بينما أرسلت إحدى وأربعون دولة معدات عسكرية ومعونات عينية أخرى .. وقد أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية وحدها نحو 90 % من القوات والعتاد العسكرى والإمدادات الأخرى .

وعلى الجانب المقابل قاتلت الصين والاتحاد السوفيتى بجانب كوريا الشمالية.. وانتهت الحرب بعدما وقعت الأمم المتحدة وكوريا الشمالية اتفاق هدنه.. ولم تبرم حتى الآن أية معاهدة لإحلال السلام الدائم بين الكوريتين الشمالية والجنوبية !!

الجدير بالذكر أن تلك الحرب خلّفت نحو 000 893 1 قتيل !!



الأهالى من سكان كوريا الجنوبية يبحثون عن ذويهم بين جثث القتلى الذين لقوا حتفهم على يد مقاتلى كوريا الشمالية

63 - زراعة الأعضاء والأنسجة (1954)

Limb and tissue implantation (1954)

كانت زراعة الأعضاء والأنسجة بمثابة ثورة كبرى فى عالم الطب ، ساعد فيها التقدم الهائل فى علوم الأدوية والتشريح .

وزراعة الأعضاء والأنسجة هى عملية يتم فيها نقل لأنسجة أو أعضاء من جسم شخص إلى جسم شخص آخر ، أو إلى جسم نفس الشخص ، مع المحافظة على استمرار عمل ذلك النسيج أو العضو بعد نقله (زراعته) إلى بيئته الجديدة فى جسم المريض الذى أجريت له عملية الزرع (النقل) .

وتشمل الأعضاء التى يتم زرعها : قرنية العين ، والكلية ، والقلب ، والكبد ، والبنكرياس ، والقلب والرئة معًا ، ونخاع العظام ، والجلد والشعر .. كما يقوم العلماء بتجربة زرع بعض خلايا المخ لعلاج الشلل الرعاش .

ويؤخذ الأعضاء إما من أشخاص متبرعين أحياء ، أو من أشخاص أوصوا قبل موتهم بالتبرع بأعضائهم ، فتؤخذ منهم هذه الأعضاء عقب الوفاة مباشرة.

وقد انتشرت زراعة الأعضاء ، وأصبحت وسيلة لإنقاذ حياة الآلاف من البشر فى كثير من بلدان العالم ، ممن يعانون تلف هذه الأعضاء فلا تستجيب للعلاج الدوائي.. وتدل الإحصاءات على تحقيق نسبة عالية من النجاحات لزراعة هذه الأعضاء بعد التقدم المذهل الذى وصل إليه الطب حاليا .

أول عملية زرع للأعضاء :

كان زرع قرنية العين أول عملية زرع أنسجة تمت بنجاح .. وساعد على نجاحها عدم تعرضها لعملية الطرد .. إذ أنه ، وكما هو معلوم ، أن الجسم لا يقبل وجود أنسجة أو أعضاء خارجة عنه ، فيحاول التخلص منها بواسطة جهازه المناعى ، والسبب فى عدم تعرض القرنية للطرد هو عدم احتوائها على الدم والكرات البيضاء والأجسام المضادة التى تقوم بعملية الطرد .



كما تعتبر زرع الكلية من أهم وأنجح عمليات زرع الأعضاء ، فقد نجحت أول عملية لنقلها من توأم لأخيه فى بوسطن عام ١٩٥٤ ، وكان معظم العمليات السابقة لها تواجه فشلاً كبيراً بسبب عملية الطرد .

وفى الستينيات من القرن الماضى تم استخدام مركبات الكورتيزون وأدوية أخرى لتثبيط الجهاز المناعى ، وبالتالى تجنب عملية الطرد ..

وبهذا تحسنت النتائج .. وظهر تحسن آخر فى بداية الثمانينيات بعد اكتشاف عقار «السيكلوسبورين» العائق للطرد .

على أن استخدام هذه الأدوية المثبطة للجهاز المناعى لا يخلو من أضرار جسيمة يتعرض لها المريض .. إذ أن المريض الذى تمت له عملية الزرع عليه استخدام تلك الأدوية المثبطة لجهازه المناعى طوال حياته ، وهذا فى حد ذاته يضعف مقاومته للأمراض ، ويجعله أكثر عرضة وقابلية للإصابة بالعدوى ، كما يزيد من احتمال إصابته ببعض الأورام الخبيثة فى الجهاز الليمفاوى.

ومن أهم عوامل نجاح عمليات زرع الأعضاء ، تطابق أو توافق ، أنسجة المانح (المُعْطى) والمستقْبِل (الآخذ) .. هذا فضلا على أن تطوير وتحسين وسائل حفظ

الأعضاء بعد نزعها من جسم المانح وحتى تزرع فى جسم المستقبل بصورة جيدة ساعد كثيراً فى نجاح هذا النوع من الجراحات ، خصوصاً فى عمليات نقل القلب والكبد .

ويسمى النسيج أو العضو الذى يزرع طُعْمًا .. وهناك عدة أنواع من الطعوم ، منها:

* الطُعْم الذاتى : وهو الذى يؤخذ من مكان ما من الجسم ليزرع فى مكان آخر فى نفس الجسم .. كما هو الحال عند زراعة الجلد فى حالات الحروق ، وزرع جزء من وريد فى حالات انسداد الشرايين التاجية فى القلب ، ونقل أوتار العضلات فى جراحات العظام .. وهذه لا يحدث فيها طرد ، لأنها من نفس الجسم ، فهى ليست غريبة .

* الطعْم المماثل : وهو الذى ينقل من شخص لآخر مماثل له تماما من الناحية النسيجية والفصائل الدموية .

* الطعم المختلف : وهو الذى ينقل من شخص لآخر مخالف له من الناحية النسيجية وفصيلة الدم .. وفى هذه الحالة لابد من استخدام الأدوية المثبطة للجهاز المناعى .

* الطعم الغريب .. وهو نقل عضو من جنس إلى جنس آخر مخالف ، كما هو الحال عند نقل كلية أو قلب قرد إلى إنسان .. وزراعة الطعم فى هذه الحالة يواجه أكبر نسبة من الفشل .

أما أول عملية زرع كُلية فى العالم فقد أجراها د. دافيد هيوم ، الأستاذ بجامعة هارفارد وذلك عام 1950 .

أول عملية زراعة قلب :

بدأت قصة عمليات زرع القلوب عام 1907 ، عندما جرب الجراح الفرنسى «الكسيس كاريل» زرع القلوب فى الحيوانات ، إلا أن تجاربه لم تنجح .. ومع بداية عام 1950 وحتى عام 1960 بدأ الجراحان «شمونى» و«ريتشارد لوور» سلسلة تجارب

لزراعة القلوب فى الكلاب ، وحققا نجاحا ملحوظا ، إذ أجريا 8 عمليات على الكلاب ، عاش منها خمسة كلاب لفترات تتراوح بين 6 ، 21 يوماً ..

وفى عام 1964 ، بدأت التجارب الأولية لزراعة القلب فى الإنسان ، وذلك حينما قام فريق طبى فى جامعة المسيسيبى بقيادة الجراح «جيمس هاردى» بزراعة قلب شمبانزى لإنسان عمره 68 سنة .. إلا أن المريض مات بعد ساعة ونصف من إجراء العملية . بعدها توالت التجارب ، وكل منها يسجل تقدماً ملحوظا .

بعد ذلك بدأ التفكير فى زراعة قلوب صناعية تعمل بطريقة ميكانيكية .. ففى عام 1982 ، بدأ البحث عن المريض المناسب لزراعة أول قلب صناعى فى تاريخ البشرية ، كان ذلك على يد فريق طبى يقوده الجراح العالمى «وليام دى فرييس» . وكان فى ذلك العام هناك طبيب الأسنان المتقاعد «بارنى كلارك» من مدينة سياتل الأمريكية ، وكان قد بلغ من العمر 61 عاماً .. كان يشكو من ألم شديد فى عضلة القلب منذ ثلاث سنوات .. ولم تفلح جميع الأدوية فى شفائه .. وكان البديل الذى رآه الأطباء آنذاك ، زراعة قلب صناعى له فى صدره!!

فى منتصف يوم 3 ديسمبر من عام 1982 كان الجراحون جاهزين .. شقوا الصدر ، ونزعوا البطينين الأيمن والأيسر ، وتركوا التجويفين العلويين (الأذين الأيمن والأذين الأيسر) ليرتكز عليهما القلب الصناعى ، وتمت زراعة القلب وخاطوه بإحكام بخيوط الداكرون «خيوط صناعية شديدة المرونة» .. وتمت العملية بصعوبة بالغة ، إذ أن أنسجة القلب كانت هشة جداً بسبب الأدوية التى كان يتعاطاها «كلارك» لفترة طويلة مما أعاق عملية الخياطة ..

وفى آخر ديسمبر كتب «دى فرييس» فى تقريره عن حالة «كلارك» : إن صحته جيدة جدا ، وله الخيار فى مغادرة المستشفى إذا أراد ذلك ، ولكن حركته الأولى يجب أن تكون فى غرفة خاصة ومجهزة ..

إلا أنه بعد مرور الوقت ، بدأت حالة كلارك تزداد سوءاً ، فأصبح يعانى من تلف الكليتين ، وصعوبة شديدة فى التنفس ، وانخفاض شديد فى ضغط الدم .. ومات «كلارك» صاحب أول قلب صناعى بعد 112 يوماً من زراعته !!

64 - حرب فيتنام (1957 : 1975)

Vetnam War (1957 - 1975)

كانت فيتنام جزءاً من مستعمرة الهند الصينية الفرنسية .. وفى عام 1946 قام الفيتناميون بحربهم ضد فرنسا ، واستطاع الفيتناميون بعد حرب طويلة وشرسة إلحاق الهزيمة بفرنسا عام 1954 .

بعد ذلك انقسمت فيتنام إلى قسمين : فيتنام الشمالية ، ويسيطر عليها الشيوعيون ، وفيتنام الجنوبية . وفى عام 1957 شنت فيتنام الشمالية (الشيوعية) ، بالتحالف مع الشيوعيين فى فيتنام الجنوبية ، حرباً على فيتنام الجنوبية .. وخوفاً من ازدياد النفوذ الشيوعى وسيطرته على القسم الجنوبى .. وقفت الولايات المتحدة بجوار الجيش الفيتنامى الجنوبى .. بينما ساعدت كل من الصين والاتحاد السوفيتى الجيش فى فيتنام الشمالية ، وذلك بإرسال المعدات فقط دون إشراك جنود منهما .. وقد أطلق الشيوعيون على هذه الحرب اسم حرب التحرير ، أو حرب التحرر الوطنى .



إحدى المذابح التى قام بها الجنود الأمريكيون ضد الفيتناميين



جثث القتلى تملأ شوارع فيتنام وقد صار أمرًا مألوفًا لدى المارة

فى الفترة من عام 1957 إلى عام 1965 كان الصراع يدور أساساً بين القوات المسلحة فى فيتنام الجنوبية من ناحية والشيوعيين فى فيتنام الجنوبية نفسها ، الذين كانوا يعرفون وقتذاك باسم «الفييت كونج» .. وفى الفترة من عام 1965 إلى عام 1969 ، وقعت حروب كثيرة بين الولايات المتحدة الأمريكية وفيتنام الشمالية .. وقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية سحب قواتها فى عام 1969 .

وفى يناير من عام 1973 أبرم اتفاق لوقف إطلاق النار ، وبعد شهرين غادرت آخر مجموعة عسكرية أمريكية أرض فيتنام ، بعد أن استخدمت القوات الأمريكية هناك كل أنواع الأسلحة التدميرية التى عرفت فى ذلك الوقت .. بعد ذلك دخلت فيتنام فى حرب شبه داخلية بين الشيوعيين وغيرهم .. ولم تنته هذه الحرب إلا بعد استسلام فيتنام الجنوبية فى 30 إبريل من عام 1975 .

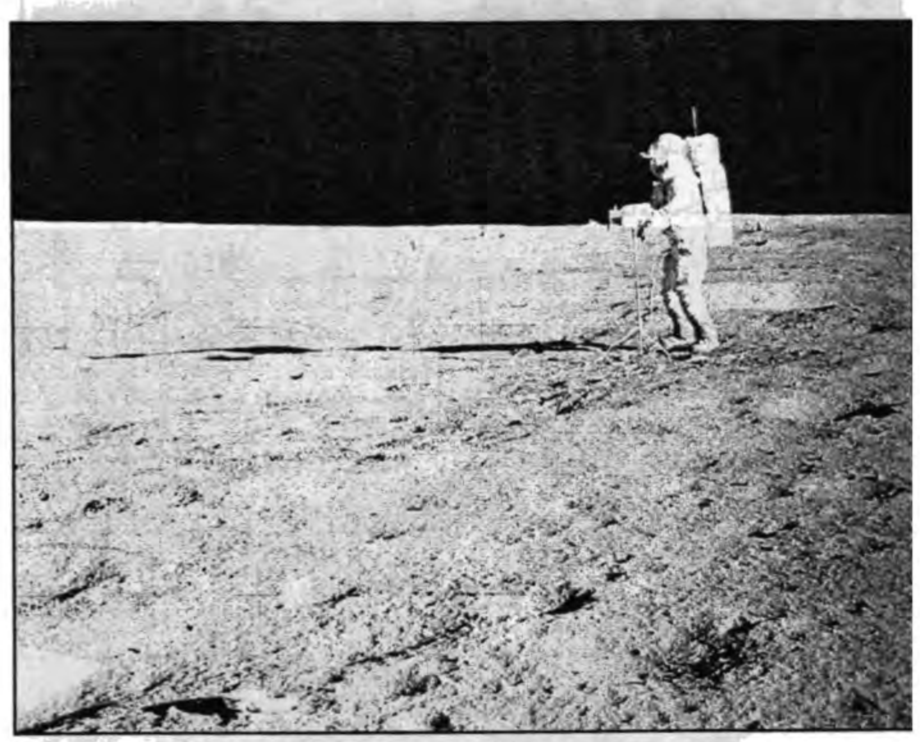
65 - هبوط الإنسان على سطح القمر (1969م)

Landing of Man on the moon surface (1969)

ظل القمر فترة طويلة من الزمن مصدر إلهام للبشر .. وكان الوصول إليه أبعد من مجرد حلم .. فما هو القمر ؟

القمر ، هو أقرب جيران الأرض إليها فى الفضاء .. وهو أكثر الأجرام السماوية سطوعًا فى السماء ليلا . إلا أنه لا يشع الضوء من تلقاء نفسه ، بل يعكس ضوء الشمس .

يمر القمر بالعديد من الأطوار .. فقد يبدو فى ليلة هلالا وليدا نحيلا .. بينما يبدو فى ليلة أخرى بدرًا تام الاستدارة .



يرتدى رائد الفضاء بذلة خاصة تزوده بالأكسجين والضغط اللازم ؛ لأن سطح القمر يخلو من الهواء نظرًا لضعف جاذبيته الذى لا يتيح له الاحتفاظ بغلاف جوى . وبدون الضغط الجوى تتعرض أنسجة الجسم للدمار بفعل الضغط الداخلى

وبينما لا يغير القمر شكله أو حجمه ، إلا أن هيئته تتغير بمقدار إضاءة الشمس لأجزائه المختلفة .

يدور القمر حول الأرض مرة كل 27 يومًا ونصف يوم .. ويدور حول نفسه فى نفس المدة ، ولذا ، فإنه يواجه الأرض بجانب واحد فقط .. يبلغ قطر القمر حوالى 3476 كيلو متراً ، أى ما يعادل نحو ربع قطر الأرض .. ولا يوجد عليه أى نوع من أنواع الحياة ، ولا يحيط به هواء أو رياح .. وعلى القمر تبدو السماء دائمًا سوداء حتى أثناء النهار ، وتظل النجوم بادية للعيان دائماً .

أما فى الليل فإن سطح القمر الصخرى الزاخر بفوهات البراكين يكون بارداً جداً.. وأثناء النهار تصبح درجة حرارة الصخور أعلى قليلا من درجة غليان الماء.

كان هناك محاولات عديدة للوصول إلى القمر ، من أبرزها رحلة السفينة السوفيتية «فوستوك 1» والتى انطلقت فى الثانى عشر من إبريل عام 1961 وعلى متنها رجل الفضاء الروسى يورى جاجارين، وهو أول رائد فضاء يسبح فى الفضاء الخارجى .. دارت السفينة حول الأرض دورة كاملة ، وقطعت الرحلة فى 108 دقيقة.. بعدها عاد جاجارين ليعلن أن الطريق إلى الكواكب الأخرى أصبح ممهداً ..

وقد تبع هذه الرحلة الناجحة رحلات عديدة لمركبات فضاء سوفيتية وأمريكية.

وفى عام 1969 كان القمر أول جرم سماوى يصله الإنسان .. وذلك عندما هبطت على سطحه مركبة الفضاء الأمريكية «أبوللو 11» .. ومنذ ذلك الوقت ساد اعتقاد بأن سطح القمر يخلو من المياه .. إلا أن وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية «ناسا» أعلنت عام 1977 عن اكتشاف الماء على قطبى القمر .



تربة القمر لينة ، وكما نرى فى الصورة طبعة لخطوة رائد الفضاء على القمر

66 - سقوط شاوشيسكو آخر طواغيت أوربا فى القرن العشرين (1989م)

The Fall of Chaucisco (1989)

ما أقسى الطغاة .. وما أشد ظلمهم !!

قد يطول حكم الطواغيت ويمتد إلى سنوات وسنوات .. ومع ذلك فما أسرع سقوطهم !! إنهم يتساقطون بلا مقدمات وبأيسر الأسباب !!

الطاغية فى حكمه يشبه الجبل الرملى ، بارتفاعه الشامخ ، وجثومه فوق سطح الأرض ، فإذا ما تسربت قطرات يسيرة من الماء تحته سرعان ما انهار وتفتت إلى ذرات صغيرة من الرمل لا وزن لها !! أو كشجرة تبدو قوية عتيقة ، إلا أنه لا جذور لها ، فإذا ما وصلت إليها دابة الأرض ونخرتها هوت من عليائها !!

«وشاوشيسكو» طاغية رومانيا ، لا يختلف كثيراً عن غيره من الطواغيت فى حكمهم وإذلالهم لشعوبهم .. وقد يكون الاختلاف الوحيد بين هؤلاء الطغاة هو فى طريقه الإذلال ، وكيفية السقوط !!

قالوا له : إن الناس يكرهونك .. فأجابهم : هذا لا يعنينى مادام الخوف منى يملأ قلوبهم !!



كان سقوط شاوشيسكو أشبه بحلم سريع الأحداث .. وعلى الرغم من أنه رأى بعينيه رموز الطغيان فى العالم تتهاوى من حوله ، إلا أنه استبعد ذلك عن نفسه ، ورأى أنه شىء مختلف تماماً عن غيره !!

فقد رأى تهاوى الطغيان الشيوعى فى بولندا ، والمجر ، وبلغاريا .. وكثير من دول أوربا الشرقية .. إلا أن شاوشيسكو ، الذى تولى حكم رومانيا عام 1965 لم يدر بخلده أن الدور حتما سيأتى عليه .. وأعلن فى خطاب له قبيل إعدامه : إن التغيير سيصل إلى رومانيا فى حالة واحدة .. عندما تطرح أشجار الحور العتيقة ثمار الكمثرى !!

كان آخر خطاب ألقاه تحت حراسة أمنية مشددة ، منع الصحفيون الأجانب من تغطية وقائع هذا المؤتمر ، الذى وقف فيه شاوشيسكو يخطب لمدة خمس ساعات ويؤكد أن رومانيا تسير قدماً فى طريق الفردوس الاشتراكى !!

أى فردوس هذا ، والناس هناك ضياع مشتتون طلبا ، ليس فقط لقوتهم اليومى ، ولكن طلبا لما يسد حاجتهم لوجبة واحدة !!

وهذا ما نستنتجه من حال تلك السيدة ، التى تمكنت بعد صمود وصبر وطول انتظار فى طابور أمام أحد المحلات لبيع البيض ، وأخيراً ظفرت ببيضتين ، وما أن انصرفت حتى وقعت بيضة منهما على الأرض ، فجلست تلم محتويات البيضة وقد اختلطت بالتراب ، وتقول إن هذا أيسر بكثير من محاولة شراء بيضة أخرى !!

لقد كانت تعلم أن شراء بيضة أخرى ضرب من ضروب المستحيلات !!

وقس على تلك السيدة جموع الشعب فى رومانيا !!

أما فى القرى فيقف الآباء فى طوابير طويلة أمام المتاجر فى المساء بعد عودتهم من العمل لشراء احتياجاتهم ، ويتسلم الأجداد منهم نوبة الشراء فيقفون أمام المتاجر بدورهم اعتباراً من الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ليحجزوا مكانًا لهم انتظارا لافتتاح المتاجر فى الصباح ، وبعد الشراء يتوجهون إلى بيوتهم للنوم ، باعتبار أنهم متقاعدون عن العمل .. وهذا تنظيم جديد مبتكر فى الأسرة الواحدة ابتكره نظام شاوشيسكو الطاغية !!

كان هذا عن حال الشعب .. فماذا عن حال شاوشيسكو وأعوانه ؟!

كان شاوشيسكو وأعوانه يعيشون حياة ترف وبزخ لا حد لها .. كان الشعب ينظر بمرارة وحسرة إلى مشروع «قصر الشعب العملاق» وقد أوشك أن يكتمل، وهو قصر الرئاسة الجديد الذى كان شاوشيسكو يأمل أن ينتقل إليه ، إلا أن القدر لم يمهله .. كان يفخر بأن مساحة هذا القصر تفوق مساحة قصر الإليزيه بفرنسا .. ويخرج من فناء القصر طريق جديد أطلق عليه اسم «الثورة الاشتراكية» .. وقد أقيم هذا القصر على أطلال مساكن كانت تعج بالبشر من عامة الشعب .. أزيلت هذه المساكن ليقام على أنقاضها قصر الشعب!!

وقد ذكرت صحيفة «لاتريبيون دى جينيف» السويسرية أن عائلة شاوشيسكو تمتلك نحو 400 مليون دولار ذهبًا فى البنوك السويسرية ، كما أن السفارة الرومانية فى باريس كانت تعمل لحساب «إيلينا» زوجة شاوشيسكو لاختيار أفخر الثياب والحلى من باريس ..

وكان لدى شاوشيسكو ثلاثة مكاتب ، وخمسة قصور للسكن ، 39 بيتا للضيافة معدة له خصيصا فى مختلف أنحاء رومانيا ، تظل مغلقة طوال العام باستثناء ساعات قليلة يقضيها فيها ليقيم هناك حفلاته الصاخبة .. إلى جانب ذلك كان لديه 21 شقة رئاسية فى السفارات بالخارج ، وكان يمتلك تسع طائرات وثلاث طائرات هليكوبتر مجهزة ، وثلاثة قطارات رئاسية من أحدث الطرز ، ومستشفى مخصص لعلاجه وأفراد أسرته .. وكان مخصصا له بدلة جديدة وحذاء جديد كل يوم من أيام السنة ، ويحرقان فى نهاية اليوم حتى لا يرتديهما أحد من بعده !!

أما عن بزخ زوجته «إيلينا» وابنته «زويا» فحدث ولا حرج .. كل هذا فى الوقت الذى كان فيه الشعب الرومانى أفقر شعوب أوربا !!

لم يكن شاوشيسكو يقبل أى نقد لنظامه ، حتى لو كان هذا النقد صادراً من أحد رجالته .. كتب إليه المدعى العسكرى خطابا اتهم فيه حرس الحدود بالرشوة وارتكاب أعمال وحشية ضد المواطنين .. وبدلاً من أن يأمر شاوشيسكو بالتحقيق فى ذلك ، أمر بفصل المدعى العسكرى من عمله ، ثم أودعه السجن بعد أيام ، ومارس

عليه كل أنواع التغذيب ، حتى تمكن من الهرب إلى المجر برفقة زوجته تاركا أطفاله الثلاثة فى جحيم شاوشيسكو !!

بداية الانهيار:

قالوا : معظم النار من مستصغر الشرر .. وهذا ما حدث بالفعل فى رومانيا .. كان بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير .. فما تلك القشة ؟

فى يوم السبت السادس عشر من ديسمبر عام 1989 ، حاولت قوات الأمن المعروفة باسم «السيكوريتات» القبض على قس من أصل مجرى يقيم فى مدينة تيموشوارا ، شمال غربى البلاد ، وذلك بسبب معارضته نظام حكم شاوشيسكو، ولما علم السكان بذلك قاموا بعمل طوق أمنى حول بيت القس لمنع قوات الأمن من القبض عليه .. وتحول ذلك إلى مظاهرة غاضبة تهتف بسقوط الحكومة وتطالب بالحرية .. واتسع نطاق المظاهرات ليشمل مدناً جديدة!!

بعد يومين من اشتعال تلك المظاهرات ، أى فى يوم 18 ديسمبر توجه شاوشيسكو لزيارة إيران تاركا قوات الأمن تتعامل مع المتظاهرين بوحشية . واشترك الجيش بمختلف أسلحته فى قمع تلك المظاهرات .. وسقط العديد من الضحايا ، وحفرت المقابر الجماعية على عجل لإخفاء تلك الجثث .

وعاد شاوشيسكو من الخارج ليعلن حالة الطوارئ فى البلاد ، وليعطى أوامره بضرورة وقف هذه المظاهرات مهما كان الثمن .. وطالب حكومته بعمل مظاهرة تأييد ، ووقف يخطب فى تلك المظاهرة المؤيدة ، إلا أنه لأول مرة يسمع الهتافات التى تطالب باستقالته ومحاكمته !!

استدعى شاوشيسكو وزير دفاعه «فاسيلى ميليا» وأمره أن يقضى على هذه المظاهرات ولو بقتل جميع المتظاهرين .. وكان رد الوزير مفحماً حينما قال : ياسيدى إن الجيش لا يستطيع قتل 23 مليون مواطن هم عدد المتظاهرين ، وهم أيضا عدد سكان رومانيا !!

فصاح فيه شاوشيسكو : لقد كشفت عن وجهك الحقيقى أيها الخائن .. ووجه إليه ثلاث رصاصات قاتلة !!

ولم يكن مقتل وزير الدفاع إلا إيذاناً بتخلى الجيش على مقاومة المتظاهرين فحسب ، بل بالانضمام إلى هولاء المتظاهرين .. وازداد موقف شاوشيسكو سوءاً ، خاصة بعد أن هاجمته الدول الخارجية .. ولم يكن أمام شاوشيسكو سوى الهرب .. كان بقصر الرئاسة مجموعة من الأبواب السرية تؤدى إلى أنفاق تحت الأرض .. اختفى شاوشيسكو وزوجته فى أحد هذه الأنفاق ، وتمكنا من الصعود فوق القصر ، حيث كانت الطائرة فى انتظارهما ، وطارا إلى مدينة «تيرجوفست» على بعد حوالى 70 كيلو متراً من العاصمة ، وكان شاوشيسكو قد أعد هناك مقراً سرياً للإقامة فيه فى حالة الطوارئ .

وما أن وصل شاوشيسكو وزوجته إلى هناك حتى وجدا قوات الجيش فى انتظارهما ، ووضعا رهن الاعتقال ، وقُدّما إلى محاكمة عاجلة ، وفى الخامس والعشرين من ديسمبر حكمت المحكمة عليهما بالإعدام !!

واقتاد الحراس شاوشيسكو وزوجته فى سيارة مصفحة إلى غرفة الإعدام ، وقد ارتسمت علامات الشرود على وجهه ، أما زوجته فقد انهارت تماماً ، وإن كانت تحاول الظهور متماسكة !!

وتكونت فرقة الرماة من ثلاثة جنود .. وتم تنفيذ الحكم فى شاوشيسكو وزوجته رميا بالرصاص ، وليسدل الستار على حياة شاوشيسكو وعائلته وعلى فترة كئيبة من تاريخ رومانيا ، وليتنفس الشعب الرومانى نسيم الحرية بعد ظلم النظام الاشتراكى الذى ظل جاثماً على صدره بقيادة نيكولاى شاوشيسكو وأسرته!!



67 - أحداث الحادى عشر من سبتمبر 2001
وأولى حروب القرن الحادى والعشرين
The events of 11th September (2001)

سوف يسجل التاريخ يوم الحادى عشر من سبتمبر عام 2001 ، كيوم حاسم فى تاريخ العالم ، والنظام العالمى الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

ففى هذا اليوم تم تفجير طائرات ركاب فى مبنى برجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك ، ومبنى وزارة الدفاع «البنتاجون» فى واشنطن !!

وسوف يذكر التاريخ أن أمريكا بدأت تؤسس تحالفا دوليا كبيراً لمواجهة ما أسمته «الحرب ضد الإرهاب» على مستوى العالم ، واتهمت حينئذ تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن بالتخطيط لهذه الأحداث.



وبدأت واشنطن فى تهديد نظام طالبان فى أفغانستان ، من أجل تسليم أسامة بن لادن إليها .. وأمام رفض حكومة كابول ذلك المطلب الأمريكى ، بدأت العمليات العسكرية الأمريكية فى أفغانستان فى السابع من أكتوبر ، أى بعد ستة وعشرين يومًا من تلك الأحداث .

لم تكد الحرب لتضع أوزارها فى أفغانستان ، حتى بدأ الرئيس الأمريكى جورج بوش ، فى البحث عن عدو جديد ، أو بمعنى أدق : فى توسيع نطاق الحرب ، فخرج علينا بما اصطلح على تسميته «محور الشر» والذى يتألف من العراق ، وإيران، وكوريا الشمالية !!

وبالفعل بدأ بوش حربه القذرة ضد العراق ، ولا ندرى على من سوف تدور الدائرة!!

وكأن أمريكا كانت فى انتظار مثل هذا الحدث ، لتعلن على العالم ، بل لتفرض عليه نظامها الجديد .. والذى يتحزب فيه العالم إلى حزبين :

حزب تتزعمه الولايات المتحدة ليفرض سيطرته على العالم ، رغما عنه ، بكل وسائل السطو والبلطجة .

وحزب آخر ، لا حول له ولا قوة ، يعارض ذلك ، ويتمسك بأهداب واهية من الديمقراطية وحقوق الإنسان ، وغير ذلك من الشعارات التى لا تجدى أمام منطق القوة والبلطجة !!

وإمعاناً فى الغرور ، أعلن الرئيس الأمريكى ، جورج بوش ، أن الولايات المتحدة ستقوم بحربها ضد الإرهاب ، ومن ليس معنا فهو علينا .. أى من لم يقف بجانب الولايات المتحدة ، وتبديدها فى حملتها للسيطرة على العالم ونهب ثرواته ، تحت شعار الحملة على الإرهاب ، فهو ضدها .. ومن يقدر على أمريكا ؟!!

وبالتالى أصبحت دول الحزب الآخر تعلن رفضها للولايات المتحدة على استحياء ، بما يشبه التأييد المطلق !!

وكانت النتيجة أن صار العالم كله تحت سطوة أمريكا ، تفعل ما تشاء ، بمن تشاء ، كيف تشاء ، وأين تشاء !!

أصبحت مطارات دول العالم وموانيها تحت إمرة أمريكا ، لا أحد يجرؤ على مخالفة أوامرها !!

ولكن : أى إرهاب ذلك الذى تقصده ، وتتصدى له ، وتحاربه ؟

أليس هذا الذى تفعله فى أفغانستان والعراق هو الإرهاب بعينه ، بل قد يفوقه؟!!

وسيظل السؤال الذى يبحث ، بحق ، عن إجابة شافية :

- من المسئول عن أحداث الحادى عشر من سبتمبر ؟

- من الذى قام بهذا التخطيط المتقن الذى لم يخطئ شيئا من أهدافه ؟

أهم أفراد تنظيم القاعدة ، العزل الذين يعيشون حياة البداوة فى الصحراء ؟

أم إنهم أناس آخرون يمتلكون تكنولوجيا فائقة الدقة ، وعلى درجة عالية من النظام والتخطيط ؟

إن الاحتمال الثانى هو ما يرجحه كل ذى عقل سليم ، ويؤمن به حكماء العالم وقادته ، بما فيهم حكماء وقادة أمريكا نفسها ، وإن رفضوا الإفصاح عن ذلك ، لا لشىء إلا لحاجة فى نفس يعقوب !! ويظل السؤال قائما : من الذى ضرب أمريكا؟



المراجـــع

- *Great Moments in History - Nisenson Iparker .*

- *Pictorial History of The World - Henry Steele Commager .*

- *The History of World Events - Rodney Castlden .*

- موسـوعـة الطفل - وزارة الثـقـافـة - الهيـئـة المصرية العامة للكتاب .


الفهـرس

أحداث تاريخية

غيرت مجرى العالم

تمضي الأيام، وتنقضي الأعوام، وتتوالي الأحداث، ويقف التاريخ شاهداً علي التقلبات التي تطرأ علي العالم بين الحين والآخر.. ويجد المتأملون لهذه المتغيرات أنفسهم وقد سرحوا بخيالهم إلي آفاق بعيدة، حيث إن هناك من المواقف ما يسلب الألباب ويأخذ بنواصي القلوب، لأنها تخرج عن نطاق التوقعات وتنأى عن منطقية الواقع.. ولعل في بعض الأحداث ما يشفي الغليل، وفي بعضها ما يدمي الضمائر ويوغر النفوس، وفي بعضها الآخر ما يثلج الصدور ويسرّ الوجدان.. وإزاء هذا وذاك فإن الجميع يحرص دائما علي قراءة التاريخ ومتابعته حتي يكون علي بينة من وقائعه وأحداثه دائمة التغيير والتبديل.

وفي هذا الكتاب يقدم المؤلف مجموعة من الأحداث التي أثرت علي مجريات الأمور في معظم بلدان العالم، وقد ذكرها الكتاب مرتبة من الأقدم إلي الأحدث حتي يسهل علي القارئ مقارنة الوقائع التاريخية وتداعياتها، وما ترتب علي كل حدث منها.

وقد جاءت الأحداث متنوعة وموزعة في جميع المناطق، حيث لم يقتصر علي مجموعة بلدان بعينها، بل هو يتابع هنا وهناك حتي تكون الدائرة مكتملة، وتتحقق الفائدة لجميع القراء..

الناشر

ISBN 977-271-711-5

